

الإمامة

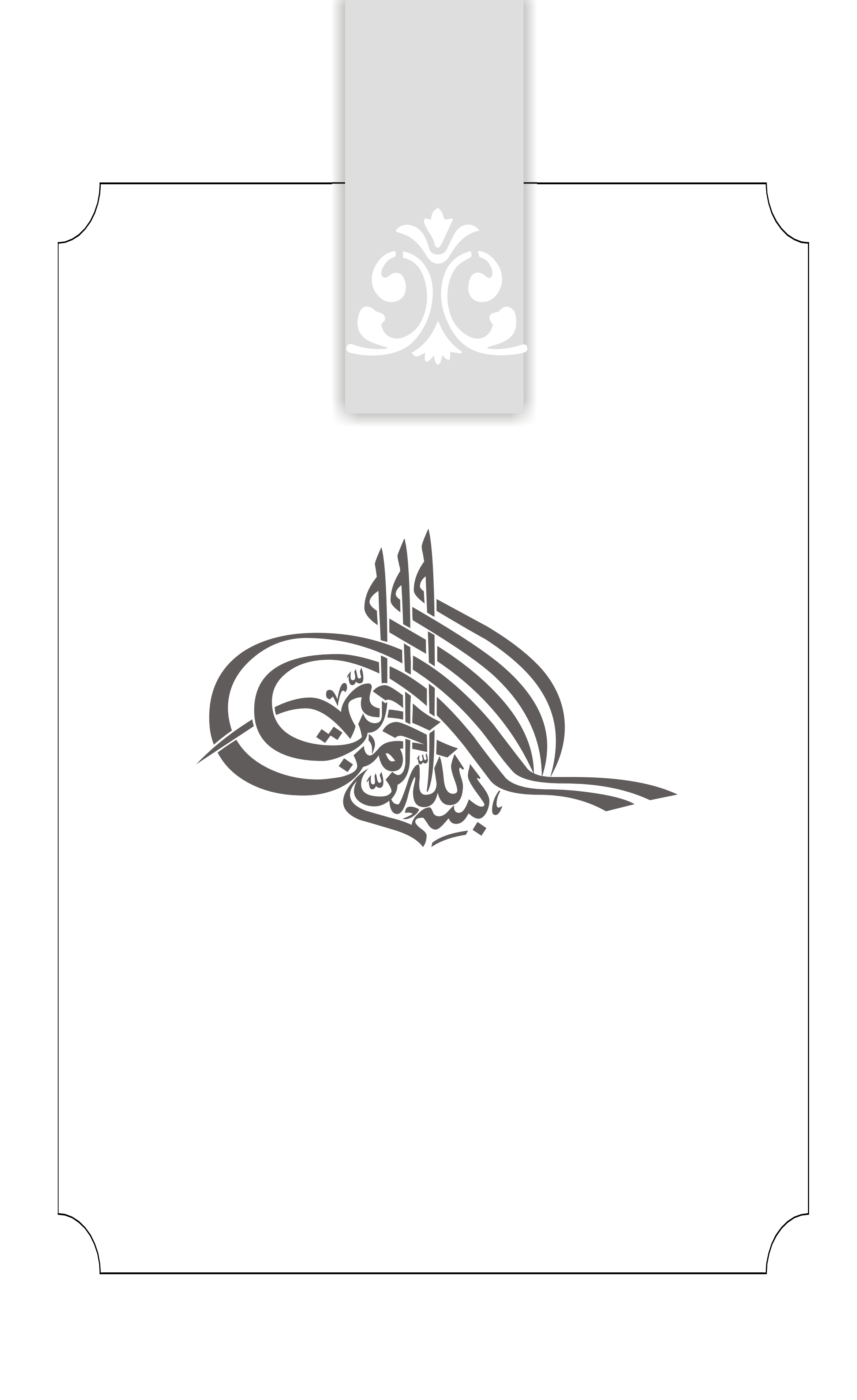
عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية

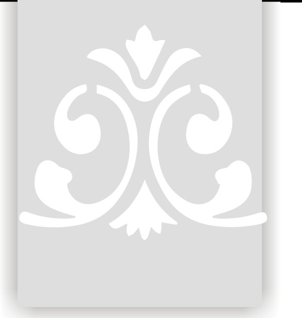
الإمامة

عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية

تأليف

الدكتور: محمد علي الصلابي


بسم الله الرحمن الرحيم



مدخل

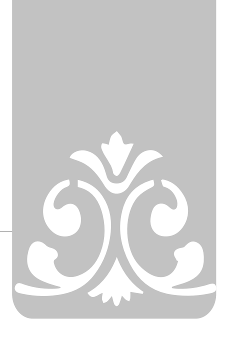
التطور العقدي للشيعة عبر الزمن

أولاً: الشيعة في اللغة والاصطلاح .

ثانياً: الرفض في اللغة والاصطلاح .

ثالثاً: نشأة الشيعة الغالية ، وبيان دور ابن سبأ في نشأتهم .

رابعاً: المراحل التي مرت بها الشيعة الغالية .



مدخل

التطور العقدي للشيعة عبر الزمن

أولاً ـ الشيعة في اللغة والاصطلاح:

١ ـ تعريف الشيعة في اللغة:

شيعة الرجل: أتباعه وأنصاره، ويقال: شايعه كما يقال: والاه؛ من الولي... وتشيع الرجل أي: ادَّعى دعوى الشيعة، وتشايع القوم: صاروا شيعاً، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شِيَع، وقوله تعالى: ﴿ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ﴾ [سبأ: ٥٤] أي: بأمثالهم من الأمم الماضية(١).

وجاء في (المصباح المنير): والشيعة: الأتباع والأنصار، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، ثم صارت الشيعة نبزاً ـ أي وصفاً ـ بجماعة مخصوصة، والجمع شيع؛ مثل: سدرة وسدر، والأشياع جمع الجمع، وشيعت رمضان بست من شوال: أتبعته بها(٢).

فالشيعة: من حيث مدلولها اللغوي تعني: القوم والصحب والأتباع والأعوان، وقد ورد هذا المعنى في بعض آيات القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ [القصص: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿ ۞وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الصافات: ٨٣]؛ فلفظ الشيعة في الأولى: تعني القوم، وفي الثانية: تشير إلى الأتباع، الذين يوافقون على الرأي والمنهج ويشاركون فيهما.

---

(١) الصحاح للجوهري، ولسان العرب مادة: (شيع).

(٢) المصباح المنير: (شيع).

٢ ـ تعريف الشيعة في الاصطلاح :

إن تعريف الشيعة مرتبط أساساً بأطوار نشأتهم ، ومراحل التطور العقدي لهم ؛ ذلك أن من الملحوظ : أن عقائد الشيعة وأفكارها في تغير وتطور مستمر ، فالمتشيع في العصر الأول غير المتشيع فيما بعده ، ولهذا كان في الصدر الأول لا يسمى شيعياً إلا من قدَّم علياً على عثمان ، ولذلك قيل : شيعي وعثماني ، فالشيعي من قدم علياً على عثمان[١] .

فعلى هذا يكون التعريف للشيعة في الصدر الأول : أنهم الذي يقدِّمون علياً على عثمان فقط[٢] .

ولهذا ذكر ابن تيمية : أن الشيعة الأولى الذين كانوا على عهد علي كانوا يفضلون أبا بكر وعمر[٣] . وقد منع شريك بن عبد الله ـ وهو ممن يوصف بالتشيع ـ إطلاق اسم التشيع على من يفضل علياً على أبي بكر وعمر ، وذلك لمخالفته لما تواتر عن علي في ذلك . والتشيع يعني المناصرة والمتابعة لا المخالفة والمنابذة[٤] .

وروى ابن بطة عن شيخه المعروف بأبي العباس بن مسروق قال : حدثنا محمد بن حميد ، حدثنا جرير ، عن سفيان ، عن عبد الله بن زياد بن جرير قال : قدم أبو إسحاق السَّبيعي الكوفة ، قال لنا شهر بن عطية : قوموا إليه ، فجلسنا إليه ، فتحدثوا ، فقال أبو إسحاق : خرجت من الكوفة وليس أحد يشك في فضل أبي بكر وعمر وتقديمهما ، وقدمت الآن وهم يقولون ، ويقولون ، ولا والله ما أدري ما يقولون[٥] ؟!

قال محب الدين الخطيب : هذا نص تاريخي عظيم في تحديد تطور التشيع ، فإن أبا إسحاق السبيعي كان شيخ الكوفة وعالمها[٦] ؛ ولد في خلافة أمير المؤمنين عثمان قبل شهادته بثلاث سنين ، وعمّر حتى توفي سنة (١٢٧ هـ) ، وكان طفلاً في خلافة أمير المؤمنين علي ، وهو يقول عن نفسه : رفعني أبي حتى رأيت علي بن أبي طالب يخطب ، أبيض الرأس واللحية ، ولو عرفنا متى فارق الكوفة ، ثم عاد فزارها ، لتوصلنا إلى معرفة

---

(١) أصول الشيعة الإمامية (١/ ٦٤) .
(٢) فتاوى ابن تيمية (٣/ ١٥٣) ؛ فتح الباري (٧/ ٣٤) .
(٣) منهاج السنة (٢/ ٦٠) .
(٤) أصول الشيعة الإمامية الإثني عشرية (١/ ٦٥) .
(٥) المنتقى ، ص ٣٦٠ .
(٦) انظر ترجمته في : تهذيب التهذيب (٨/ ٦٣) ؛ الخلاصة ، ص ٢٩١ .

الزمن الذي كان فيه شيعة الكوفة يرون ما يراه إمامهم من تفضيل أبي بكر، وعمر ، ومتى أخذوا يفارقون علياً ويخالفونه فيما كان يؤمن من يؤمن به ، ويلعنه على منبر الكوفة من أفضلية أخويه، صاحبي رسول الله ﷺ ووزيريه وخليفتيه على أمته في أنقى وأطهر أزمانها[١] .

وقال ليث بن أبي سليم: أدركت الشيعة الأولى وما يفضلون على أبي بكر وعمر أحداً[٢] .

وذكر صاحب مختصر التحفة: إن الذين كانوا في وقت خلافة الأمير رضي الله عنه من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، كلهم عرفوا له حقه ، وأحلوه من الفضل محله ، ولم ينتقصوا أحداً من إخوانه أصحاب رسول الله ﷺ فضلاً عن إكفاره وسبه[٣] .

ولكن لم يظل التشيع بهذا النقاء والصفاء ، والسلامة والسمو ، بل إن مبدأ التشيع تغير ، فأصبحت الشيعة شيعاً ، وصار التشيع قناعاً يتستر به كل من أراد الكيد للإسلام والمسلمين من الأعداء الموتورين الحاسدين. . ولهذا نسمي الطاعنين بالشيخين: الرافضة ، لأنهم لا يستحقون وصف التشيع[٤] .

ومن عرف التطور العقدي لطائفة الشيعة لا يستغرب وجود طائفة من أعلام المحدثين ، وغير المحدثين من العلماء والأعلام ؛ أطلق عليهم لقب الشيعة ، وقد يكونون من أعلام السنة ، لأن للتشيع في زمن السلف مفهوماً وتعريفاً غير المفهوم والتعريف المتأخر للشيعة ، ولهذا قال الذهبي في معرض الحديث عمّن رمي ببدعة التشيع ، إن البدعة على ضربين.

فبدعة صغرى: كغلو التشيع ، أو كالتشيع بلا غلو ، فهذا كثير في التابعين ، وأتباعهم مع الدين الورع والصدق ، فلو رُدَّ حديث هؤلاء لذهبت جملة من الآثار النبوية ، وهذه مفسدة بينة.

ثم **بدعة كبرى**: كالرفض الكامل ، والغلو فيه ، والحط من أبي بكر وعمر رضي الله

---

(١) حاشية المنتقى ، ص ٣٦٠ ـ ٣٦١.

(٢) المنتقى ، ص ٣٦٠ ـ ٣٦١.

(٣) مختصر التحفة الاثني عشرية ، ص ٣.

(٤) أصول الشيعة الإمامية الاثني عشرية (١/ ٦٦ ، ٦٧).

عنهما ، والدعاء إلى ذلك ، فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة أيضاً ، فما استُحْضِرَ الآن في هذا الضرب رجلاً صادقاً، ولا مأموناً، بل الكذب شعارهم، والتقية والنفاق دثارهم ، فكيف يُقْبَلُ نَقْلُ مَنْ هذه حاله؟! حاشا وكلا .

فالشيعي الغالي في زمان السلف وعرفهم هو من تكلّم في عثمان والزبير ، وطلحة ومعاوية ، وطائفة ممن حارب علياً ـ رضي الله عنه ـ ، وتعرض لسبهم ، والغالي في زمننا وعُرفنا هو الذي يكفر هؤلاء السادة ويتبرأ من الشيخين؛ فهذا ضالٌّ مفتر[١] .

إذن التشيع درجات، وأطوار، ومراحل، كما أنه فرق وطوائف ، وقبل أن ندع الحديث حول تعريف الشيعة نشير إلى أنه يلحظ على تعريفات الشيعة الواردة في معظم كتب المقالات ، أنها دأبت على القول في التعريف للشيعة الإمامية بأنهم أتباع علي . . . إلخ .

وهذا يؤدي إلى نتيجة خاطئة تخالِفُ إجماع الأمة كلها ؛ هذه النتيجة : أن يكون علي شيعياً يرى ما يراه الشيعة ، وعلي ـ رضي الله عنه ـ بريء مما تعتقده الشيعة فيه وفي بنيه ، ولذلك لا بد من وضع قيد واحتراز في التعريف رفعاً للإيهام ، فيقال : هم الذين يزعمون أنهم أتباع علي ، حيث إنهم لم يتبعوا علياً على الحقيقة ، وليس أمير المؤمنين على ما يعتقدون[٢] ، أو يقال : بأنهم المدّعون التشيع لعلي، أو الرافضة، ولذلك عبر عنهم بعض أهل العلم بقوله : الرافضة المنسوبون إلى شيعة علي[٣] ، فهم أيضاً ليسوا على منهج شيعة علي المتبعين له ، بل هم أدعياء ورافضة[٤] .

ثانياً ـ الرفض في اللغة والاصطلاح:

١ ـ الرفض في اللغة :

هو الترك ، يقال : رفضت الشيء : أي تركته[٥] ؛ فالرفض في اللغة معناه : الترك والتخلّي عن الشيء .

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي (١/ ٥ ـ ٦) ؛ لسان الميزان (١/ ٩ ـ ١٠) .
(٢) أصول الشيعة الإمامية الاثني عشرية (١/ ٦٨) .
(٣) منهاج السنة (٢/ ١٠٦) .
(٤) أصول الشيعة الإمامية الاثني عشرية (١/ ٦٩) .
(٥) القاموس المحيط للفيروز آبادي(٢/ ٣٣٢) ؛ مقاييس اللغة (٢/ ٤٢٢) .

٢ ـ الرافضة في الاصطلاح:

هي إحدى الفرق المنتسبة للتشيع لآل البيت، مع البراءة من أبي بكر وعمر وسائر أصحاب النبي ﷺ إلا القليل منهم، وتكفيرهم لهم وسبهم إياهم[١]. قال الإمام أحمد رحمه الله: الرافضة: هم الذين يتبرؤون من أصحاب محمد رسول الله ﷺ ويسبونهم وينتقصونهم[٢].

وقال عبد الله بن أحمد رحمه الله: سألت أبي عن الرافضة؟ فقال: الذين يشتمون ـ أو يسبون ـ أبا بكر وعمر ـ رضي الله عنهما[٣] ـ.

وقال أبو القاسم التيمي الملقب بقوام السنة في تعريفهم: وهم الذين يشتمون أبا بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ ورضي عن محبهما[٤].

وقد انفردت الرافضة من بين الفرق المنتسبة للإسلام بمسبة الشيخين أبي بكر وعمر، دون غيرها من الفرق الأخرى[٥].

يقول ابن تيمية، رحمه الله: فأبو بكر وعمر أبغضتهما الرافضة ولعنتهما، دون غيرهم من الطوائف[٦].

وقد جاء في كتب الرافضة ما يشهد لهذا: وهو جعلهم محبة الشيخين وتوليهما من عدمهما هي الفارق بينهم وبين غيرهم ممن يطلقون عليهم النواصب، فقد روى الدرازي عن محمد بن علي بن موسى قال: كتبت إلى علي بن محمد عليه السلام[٧] عن الناصب: هل يحتاج في امتحانه إلى أكثر من تقديمه الجبت والطاغوت[٨]، واعتقاد إمامتهما؟

---

(١) الانتصار للصحب والآل، ص ٥٢.

(٢) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١/ ٣٣).

(٣) السنة للخلال، رقم ٧٧٧، وقال المحقق: إسناده صحيح.

(٤) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٤٧٨).

(٥) الانتصار للصحب والآل، ص ٢٦.

(٦) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٣٥).

(٧) هو أحد الأئمة الاثني عشرية عند الإمامية؛ وفيات الأعيان (٣/ ٢٧٢).

(٨) يعنون بهما: أبا بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ كما جاء ذلك في تفسير العياشي (١/ ٢٤٦)، وهو من أهم كتب التفسير عندهم، عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

فرجع الجواب : من كان على هذا فهو ناصب[١] .

٣ ـ سبب تسميتهم رافضة :

يرى جمهور المحققين : أنَّ سبب إطلاق هذه التسمية على الرافضة ، لرفضهم زيد بن علي ، وتفرّقهم عنـه بعد أن كانوا في جيشه ، حين خروجه على هشام بن عبد الملك ، في سنة إحدى وعشرين ومئة ، وذلك بعد أن أظهروا البراءة من الشيخين ، فنهاهم عن ذلك .

يقول أبو الحسن الأشعري : وكان زيـد بن علي يفضِّل علي بن أبي طالب على سائر أصحاب رسول الله ﷺ ، ويتولى أبا بكر وعمر ، ويرى الخروج على أئمة الجور ، فلمّا ظهر في الكوفـة في أصحابـه الذين بايعوه سمع من بعضهم الطعن في أبي بكر وعمر ، فأنكر ذلك على من سمعه منه ، فتفرق عنه الذين بايعوه ، فقال لهم : رفضتموني ، فيقال : إنهم سموا رافضة لقول زيد لهم : رفضتموني[٢] . وبهذا القول قال قوام السنة[٣] ، والرازي[٤] ، والشهرستاني[٥] وابن تيمية[٦] ـ رحمهم الله ـ .

وذهب الأشعري في قول آخر : إلى أنهم سموا بالرافضة لرفضهم إمامة الشيخين ، قال : وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر[٧] .

٤ ـ رافضة اليوم :

والرافضة اليوم يغضبون من هذه التسمية ولا يرضونها ، ويرون أنها من الألقاب التي ألصقها بهم مخالفوهم ، يقول محسن الأمين : الرافضة لقب ينبز به من يقدم علياً ـ رضي الله عنه ـ في الخلافة ، وأكثر ما يستعمل للتشفي والانتقام[٨] .

ولهذا يتسمون اليوم الشيعة ، وقد اشتهروا بهذه التسمية عند العامة ، وقد تأثر بذلك

---

(١) المحاسن النفسانية ، لمحمد آل عصفور الدرازي ، ص ١٤٥ .
(٢) مقالات الإسلاميين (١/ ٣٧) .
(٣) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٤٧٨) .
(٤) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، ص ٥٢ .
(٥) الملل والنحل (١/ ١٥٥) .
(٦) منهاج السنة (١/ ٨) ؛ مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦) .
(٧) مقالات الإسلاميين (١/ ٨٩) .
(٨) أعيان الشيعة (١/ ٢٠) ، **ونحن سنسير في كتابنا هذا على تسميتهم هم : الإمامة الإثني عشرية .**

بعض الكتاب والمثقفين ، فنجدهم يطلقون عليهم هذه التسمية ، وفي الحقيقة : إن الشيعة مصطلح عام يشمل كل من شايع علياً ـ رضي الله عنه[١] ـ. وقد ذكر أصحاب الفرق المقالات أنهم ثلاثة أصناف :

أ ـ غالية : وهم الذين غلوا في علي ، وادعوا فيه الألوهية أو النبوة .

ب ـ وإمامية : وهم الذين يدّعون النص على استخلاف علي ، ويتبرؤون من الخلفاء قبله وعامة الصحابة .

ج ـ وزيدية : وهم أتباع زيد بن علي ، الذين كانوا يفضلون علياً على سائر الصحابة ، ويتولون أبا بكر وعمر[٢] .

فإطلاق الشيعة على الرافضة من غير تقييد لهذا المصطلح غير صحيح ؛ لأن هذا المصطلح يدخل فيه الزيدية[٣] ، وهم يتولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، بل إن تسميتهم بالشيعة يوهم التباسهم بالشيعة القدماء الذين كانوا في عهد علي ـ رضي الله عنه ـ ومن بعدهم ؛ فإن هؤلاء مجمعون على تفضيل الشيخين على علي ـ رضي الله عنه ـ ، وإنما كانوا يرون تفضيل علي على عثمان ، وهؤلاء كان فيهم كثير من أهل العلم ممن هو منسوب إلى الخير والفضل ، ويقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : ولهذا كانت الشيعة المتقدمون الذين صحبوا علياً ، أو كانوا في ذلك الزمان لم يتنازعوا في تفضيل أبي بكر وعمر ، وإنما كان نزاعهم في تفضيل علي وعثمان[٤] .

ولذا فإن تسمية الرافضة بالشيعة من الأخطاء البينة الواضحة التي وقع فيها بعض المعاصرين تقليداً للرافضة في سعيهم للتخلص من هذا الاسم ، لما رأوا من كثرة ذم السلف لهم ، ومقتهم إياهم ، فأرادوا التخلص من ذلك الاسم تمويهاً وتدليساً على من لا يعرفهم بالانتساب إلى الشيعة على وجه العموم ، فكان من آثار ذلك ما وقع فيه بعض الطلبة المبتدئين ممن لم يعرفوا حقيقة هذه المصطلحات ؛ من الخلط الكبير بين أحكام الرافضة وأحكام الشيعة ، لما تقرر عندهم إطلاق مصطلح التشيع على الرافضة ، فظنوا أن ما ورد في كلام أهل العلم المتقدمين في حق الشيعة أنه يتنزل على الرافضة ، في حين

---

(١) مقالات الإسلاميين (١/ ٦٥) ؛ الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٤٤) .
(٢) المصدر السابق نفسه (١/ ٦٦ ، ٨٨ ، ٣٧) ، المصدر السابق نفسه (١/ ٢٥) .
(٣) الانتصار للصحب والآل ، ص ٢٩ .
(٤) منهاج السنة (١/ ١٣) .

أن أهل العلم يفرقون بينهما في كافة أحكامهم(١) .

وعليه فإن من الواجب ، أن يسمَّى هؤلاء الروافض باسمهم الحقيقي الذي اصطلح عليه أهل العلم ، وعدم تسميتهم بالشيعة على وجه الإطلاق ، لما في ذلك من اللبس والإيهام . وإذا ما أطلق عليهم مصطلح التشيع فينبغي أن يقيد بما يدل عليهم خاصة ، كأن يقال : الشيعة الإمامية ، أو الشيعة الإثنا عشرية على ما جرت بذلك عادة العلماء عند ذكرهم(٢) ، والله تعالى أعلم .

ثالثاً ـ نشأة الشيعة الغالية ، وبيان دور ابن سبأ في نشأتهم:

أول من دعا إلى أصول عقائد الشيعة الغالية التي انْبَنَتْ عليها عقائدهم الأخرى : رجل يهودي اسمه عبد الله بن سبأ من يهود اليمن ، أسلم في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان ـ رضي الله تعالى عنه ـ ، وأخذ يتنقَّل بين أمصار المسلمين للدعوة لهذا المعتقد الفاسد .

وهذا نص ما ذكره الطبري في «تاريخه» قال : كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء ، أمه سوداء ، فأسلم زمان عثمان ، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم ؛ فبدأ بالحجاز ، ثم البصرة ، ثم الكوفة ، ثم الشام ، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام ، فأخرجوه ، حتى أتى مصر ، فاعتمر فيهم ، فقال لهم فيما يقول : لعجب ممّن يزعم أن عيسى يرجع ، ويكذب بأن محمداً يرجع ، وقد قال الله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ [القصص : ٨٥] ، فمحمد أحق بالرجوع من عيسى ، قال : فقبل ذلك عنه ، ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها ، ثم قال لهم بعد ذلك : إنه كان ألف نبي ولكل نبي وصيّ ، وكان عليّ وصيّ محمد ، ثم قال : محمد خاتم الأنبياء ، وعلي خاتم الأوصياء ، ثم قال لهم بعد ذلك : مَنْ أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ ، ووثب على وحيِّ رسول الله ﷺ وتناول أمر الأمة ، ثم قال لهم بعد ذلك : إن عثمان أخذها بغير حق ، وهذا وصي رسول الله ﷺ ؛ فانهضوا في هذا الأمر فحركوه ، وابدؤوا الطعن على أمرائكم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تستميلوا الناس ، وادعوهم إلى هذا الأمر . فبث دعاته وكاتب من كان استفسده في الأمصار

(١) الانتصار للصحب والآل ، ص ٣٠ .

(٢) المصدر السابق نفسه ، ص ٣٢ .

وكاتبوه ، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم(١) .

وهكذا كانت بدايـة الغلو، وما زالت تلك العقائد التي دعا إليها ابن سبأ تسير في نفوس أناس من أهل الزيغ والضلال ، وتتشرَّبها قلوبهم وعقولهم ، حتى كان من ثمارها مقتل الخليفة الراشد ذي النورين عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ على يد هذه الشرذمة الفاسدة .

حتى إذا ما جاء عهد علي بن أبي طالب بدأت تلك العقائد تظهر إلى الوجود أكثر من ذي قبل ، إلى أن بلغت علياً ـ رضي الله عنه ـ ، فأنكرها أشد ما يكون الإنكار ، وتبرأ منها ومن أهلها ، وممّا صحّ في ذلك عن علي رضي الله عنه : ما رواه ابن عساكر عن عمار الدهني قال : سمعت أبا الطفيل يقول : رأيت المسيب بن لجبة أتىٰ به مُلَبِّبَهُ يعني ـ ابن السوداء ـ ، وعلي على المنبر ، فقال علي : ما شأنه؟ فقال : يكذب على الله ورسوله(٢) .

وعن يزيد بن وهب عن علي قال : مالي ولهذا الحُميت(٣) الأسود(٤) .

ومن طريق يزيد بن وهب أيضاً عن سلمة عن شعبة ، قال علي بن أبي طالب : ما لي ولهذا الحميت الأسود ـ يعني عبد الله بن سبأ ـ ، وكان يقع في أبي بكر وعمر(٥) .

وهذه الروايات ثابتة عن علي رضي الله عنه بأسانيد صحيحة(٦) .

وحكى المؤرخون وأصحاب الفرق والمقالات : أن ابن سبأ ادعى الربوبية لعلي ـ رضي الله عنه ـ ، فأحرقه علي ـ هو وأصحابه ـ بالنار(٧) ، يقول الجرجاني : السبئية هم أصحاب عبد الله بن سبأ ، قال لعلي رضي الله عنه : أنت الإله حقّاً، فنفاه عليٌّ إلى المدائن(٨) .

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٧) .

(٢) تاريخ دمشق ؛ الانتصار للصحب والآل ، ص ٣٥ .

(٣) الحَميت : هو وعاء سمن الذي متن بالرُّب ، ويطلق على المتين من كل شيء ، وفي حديث وحشي : كأنه حميت ، قال ابن حجر : أي : زق كبير ، وأكثر ما قال ذلك إذا كان مملوءاً . فتح الباري (٧/ ٣٦٨) .

(٤) فتح الباري (٧/ ٣٦٨) .

(٥) المصدر السابق نفسه .

(٦) عبد الله بن سبأ للعودة ، ص ٩٨ ، الأسانيد حكم عليها الألباني .

(٧) الانتصار للصحب والآل ، ص ٣٦ .

(٨) التعريفات ، ص ١٥٥ ط دار الكتاب العربي .

ويقول الملطي في معرض حديثه عن السبئية: هم أصحاب عبد الله بن سبأ. قالوا لعلي رضي الله عنه: أنت! قال: ومن أنا؟ قالوا: الخالق الباري! فاستتابهم فلم يرجعوا، فأوقد لهم ناراً ضخمة وأحرقهم، وقال مرتجزاً:

لمَّــا رَأَيْــتُ الأَمْــرَ أَمْــراً مُنْكَــرا أَجَّجْــتُ نَــارِي وَدَعَــوْتَ قَنْبَــرَا[١]

وذهب بعض المؤرخين إلى أن علياً ـ رضي الله عنه ـ لم يحرِّق ابن سبأ، وإنما نفاه إلى المدائن. ثم ادعى بعد موت علي ـ رضي الله عنه ـ أن علياً لم يمت، وقال لمن نعاه: لو جئتمونا بدماغه في سبعين صرة ما صدقنا موته[٢]. ولعل القول الأول هو الصحيح، ويشهد له ما جاء في «صحيح البخاري»، وعن عكرمة قال: أتي علي ـ رضي الله عنه ـ بزنادقة، فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله ﷺ: «لا تعذبوا بعذاب الله» ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ: «مَنْ بدل دينه فاقتلوه»[٣].

قال ابن حجر في شرح الحديث بعد أن ذكر بعض الروايات في هؤلاء المحرّقين وفيها: إنهم ناس كانوا يعبدون الأصنام، وفي بعضها إنهم قوم ارتدوا عن الإسلام، وعلى اختلاف بين الروايات في تعيينهم... قال بعد ذلك: وزعم أبو المظفر الإسفراييني في «الملل والنحل»: أن الذين أحرقهم علي طائفة من الشيعة الغلاة ادعوا فيه الإلٰهية وهم السبئية، وكان كبيرهم عبد الله بن سبأ يهودياً أظهر الإسلام، وابتدع هذه المقالة، وهذا يمكن أن يكون أصله: ما رويناه... من حديث أبي طاهر المخلص من طريق عبد الله بن شريك العامري قال: قيل لعلي: إن هنا قوماً على باب المسجد يدعون أنك ربهم، فدعاهم: ويلكم ما تقولون؟! قالوا: أنت ربنا خالقنا ورازقنا[٤]، ثم ساق بقية الرواية؛ وفيها: أن علياً ـ رضي الله عنه ـ استتابهم ثلاثاً فلم يرجعوا، فحرقهم بالنار في أخاديد قد حفرت لهم، وقال:

لَمَّــا رَأَيْــتُ الأَمْــرَ أَمْــراً مُنْكَــرَا أَجَّجْــتُ نَــارِي وَدَعَــوْت قَنْبَــرَا

قال ابن حجر: وهذا سند حسن[٥]، والمقصود هنا: هو ظهور عقائد الشيعة الغلاة

---

(١) التنبيه على أهل الأهواء والبدع، ص ٨ وقنبر هو مولى علي رضي الله تعالى عنه.
(٢) الفصل لابن حزم (٥/ ٣٦)، التبصير في الدين للإسفراييني.
(٣) البخاري، كتاب استتابة المرتدين، رقم ٦٩٢٢.
(٤) فتح الباري (١٢/ ٢٧٠).
(٥) المصدر السابق نفسه.

في علي ـ رضي الله عنه ـ في تلك الفترة الزمنية ، وإمعان علي ـ رضي الله عنه ـ في عقوبتهم ، حتى قال ابن عباس ما قال ، كما ثبت إنكار علي رضي الله عنه لكل العقائد الأخرى التي ظهرت في عهده ، وانتظمت في سلك التشيع له ـ كتفضيله على عامة الصحابة ، وتقديمه على الشيخين ، وكان انتشار سب الصحابة والإزراء عليهم بين أولئك الضُّلال .

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: ولما أُحدثت البدعَ الشيعةُ في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ردها ، وكانت ثلاث طوائف: غالية ، وسبابة ، ومفضلة:

فأما **الغالية** ، فإنّه حرقهم بالنار؛ فإنه خرج ذات يوم من باب كندة فسجد له أقوام ، فقال : ما هذا؟! فقالوا: أنت هو الله! فاستتابهم ثلاثاً فلم يرجعوا ، فأمر في الثالث بأخاديد فخدت وأضرم فيها النار ، ثم قذفهم فيها . . .

وأما **السبابة** : فإنّه لما بلغه مَنْ سَبَّ أبا بكر وعمر طلب قتله ، فهرب منه إلى قرقيسياء وكلم فيه ، وكان علي يداري أمراءه ، لأنه لم يكن متمكِّناً ، ولم يكن يطيعونه في كل ما يأمرهم به .

وأما **المفضلة**: فقال لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفترين. قال: وروي عنه من أكثر من ثمانين وجهاً أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر[١] .

وعلى كل حال فعقائد الشيعة الغلاة مع ظهورها في عهد علي ـ رضي الله عنه ـ إلا أنها بقيت محصورة في أفراد لا تمثلها طائفة أو فرقة ، حتى انقضى عهد علي رضي الله عنه وهي على تلك الحال.

وقد أفرد الدكتور سعدي الهاشمي عقيدة ابن سبأ والبدع التي نادى بها في رسالته (ابن سبأ حقيقة لا خيال) ، وذكرها في كتابه (الرواة الذين تأثروا بابن سبأ) وأهم البدع التي نادى بها ابن سبأ:

القول بالوصية ، وهو أول من قال بوصية رسول الله ﷺ لعلي ، وأنه خليفته على أمته من بعده بالنص.

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٨٤ ـ ١٨٥).

وأول من أظهر البراءة من أعداء علي رضي الله عنه بزعمه ، وكاشف مخالفيه ، وحكم بكفرهم .

وأول من قال بألوهية وربوبية علي رضي الله عنه ، وكان أول من ادَّعى النبوة من فرق الشيعة الغلاة .

وكان أول من أحدث القول برجعة علي رضي الله عنه إلى الدنيا بعد موته ، وبرجعة رسول الله ﷺ .

وأول من ادعى أن علياً رضي الله عنه هو دابة الأرض ، وأنه هو الذي خلق الخلق وبسط الرزق .

وقالت السبئية : إنّهم لا يموتون ، وإنما يطيرون بعد مماتهم وسموا بالطيارة ، وقال قوم منهم ـ السبئية ـ: بانتقال روح القدس في الأئمة ، وقالوا : بتناسخ الأرواح ، وقالت السبئية : هدينا لوحي ضلَّ عنه الناس ، وعلمٍ خفي عنهم ، وقالوا: إن علياً في السحاب ، وإنَّ الرعد صوته ، والبرق سوطه ، هذه أبرز البدع التي كان يعتقد بها ابن سبأ وأتباعه ، وصاروا بها من الغلاة(١) .

إن فرق الشيعة الغلاة ، كفكر وعقيدة ؛ لم تولد فجأة ، بل إنها أخذت طوراً زمنياً ، ومرت بمراحل ، ولكن طلائع العقيدة الشيعية الإمامية وأصل أصولها ظهرت على يد السبئية باعتراف كتب الشيعة التي قالت بأن ابن سبأ أول من شهد بالقول بفرض إمامة علي ، وأن علياً وصي محمد ـ كما مر ـ ، وهذه عقيدة النصّ على علي بالإمامة ، وهي أساس التشيع الإمامي الاثني عشري كما يراه شيوخ الشيعة الإمامية الإثني عشرية ، ومن ذلك ما جاء في «الكافي» عن أبي الحسن قال: ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء ، ولن يبعث الله رسولاً إلا بنبوة محمد ـ ﷺ ـ ووصية علي عليه السلام(٢) .

وشهدت كتب الشيعة الإمامية ـ كما سيأتي تفصيله بإذن الله ـ بأن ابن سبأ وجماعته هم أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان أصهار رسول الله ﷺ وأرحامه وخلفائه ، وأقرب الناس إليه ـ رضي الله عنهم ـ ، والطعن في الصحابة الآخرين ، وهذه عقيدة الشيعة الإمامية في الصحابة كما هي في كتبهم المعتمدة ، كما أن ابن سبأ قال برجعة

(١) الرواة الذين تأثروا بابن سبأ ، د. سعدي الهاشمي ، ص ١٩ ، ٢٠ .
(٢) أصول الكافي (١/ ٤٣٧) ؛ أصول الشيعة الإمامية(١/ ٧١) .

علي[١] ، والرجعة من أصول الشيعة الإمامية كما سيأتي بإذن الله ، كما أن ابن سبأ قال بتخصيص علي وأهل البيت بعلوم سرية خاصة ، كما أشار إلى ذلك الحسن بن محمد ابن الحنفية[٢] في رسالة الإرجاء[٣] .

وهذه المسألة أصبحت من أصول الاعتقاد عند الشيعة الإمامية ، وقد ثبت في «صحيح البخاري» ما يدل على أن هذه العقيدة ظهرت في وقت مبكر ، وأن علياً ـ رضي الله عنه ـ سئل عنها ، وقيل له : هل عندكم شيء مما ليس في القرآن ، أو مما ليس عند الناس؟ فنفى ذلك نفياً قاطعاً[٤] .

هذه من أهم الأصول التي تدين بها الشيعة الإمامية[٥] ، وقد وجدت إثر مقتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ ، وفي عهد علي ـ رضي الله عنه ـ ولم تأخذ مكانها في نفوس فرقة معينة معروفة ، بل إن السبئية ما كادت تطلُّ برأسها حتى حاربها علي رضي الله عنه كما مر معنا ، ولكن ما تلا ذلك من أحداث هيأ جواً صالحاً لظهور هذه العقائد، وتمثله في جماعة كمعركة صفين ، وحادثة التحكيم التي أعقبتها ، ومقتل علي ، ومقتل الحسين رضي الله عنهما ، كل هذه الأحداث دفعت القلوب والعواطف إلى التشيع لآل البيت ، فتسلل الفكر الوافد من نافذة التشيُّع لعلي وآل بيته ، وصار التشيُّع وسيلة لكل من أراد هدم الإسلام من ملحد ومنافق وطاغوت ، ودخلت إلى المسلمين أفكار ومعتقدات أجنبية اكتست ثوب التشيع وتيسر دخولها تحت غطائه ، وبمرور الأيام كانت تتسع البدعة ويتعاظم خطرها ، حيث وجد لابن سبأ خلفاء كثيرون ، ولم يكن استعمال لقب الشيعة في عهد علي رضي الله عنه إلا بمعنى الموالاة والنصرة ، ولا يعني بحال الإيمان بعقيدة من عقائد الشيعة الإمامية اليوم[٦] .

إن التشيع لآل البيت وحبّهم أمر طبيعي ، وهو حب لا يفرق بين الآل ، ولا يغلو فيهم ، ولا ينتقص أحداً من الصحابة ، كما تفعل الفرق المنتسبة للتشيع ، وقد نما الحب

---

(١) المقالات والفرق للقمي ، ص ٢١ ؛ فرق الشيعة للنوبختي ، ص ٢٣ ؛ أصول الشيعة الإمامية (١/ ٩٦) .
(٢) تهذيب التهذيب (٢/ ٣٢) .
(٣) رسالة الإرجاء ضمن كتاب الإيمان لمحمد العدني ، ص ٢٩٤ ـ ٢٥٠ .
(٤) البخاري ، كتاب العلم مع الفتح (١/ ٢٠٤) .
(٥) أصول الشيعة الإمامية الاثني عشرية (١/ ٩٧) .
(٦) المصدر السابق نفسه (١/ ٩٨) .

وزاد للآل بعدما جرى عليهم من المحن والآلام بدءاً من مقتل علي ثم الحسين رضي الله عنهما إلخ ، هذه الأحداث فجرت عواطف المسلمين ، فدخل الحاقدون من هذا الباب ، ذلك أن آراء ابن سبأ لم تجد الجو الملائم؛ لتنمو وتنتشر إلاّ بعد تلك الأحداث. . . لكن التشيع بمعنى عقيدة النص على علي رضي الله عنه ، والرجعة ، والبداء ، والغيبة ، وعصمة الأئمة . . . إلخ ، فلا شك أنها عقائد ما أنزل الله بها من سلطان ، دخيلة على المسلمين ـ ترجع أصولها لعناصر مختلفة ، ذلك أنه قد ركب مطية التشيع كل من أراد الكيد للإسلام وأهله ، وكل من احتال ليعيش في ظل عقيدته السابقة باسم الإسلام ، من يهودي ، ونصراني ، ومجوسي ، وغيرهم ، فدخل في التشيع كثير من العقائد الفاسدة ، كما سيتبين ذلك عند دراسة أصول عقائدهم ، ولهذا ذهب ابن تيمية رحمه الله إلى أن المنتسبين للتشيع قد أخذوا من مذاهب الفرس ، والروم ، واليونان ، والنصارى ، واليهود ، وغيرهم أموراً مزجوها بالتشيع ، ويقول: وهذا تصديق لما أخبر به النبي ﷺ ، وساق بعض الأحاديث الواردة في أن هذه الأمة «ستركب سنن من قبلها . . . » ، وقال بأن هذا بعينه صار في المنتسبين للتشيع[1] .

رابعاً ـ المراحل التي مرت بها الشيعة الغالية:

مرت الشيعة الغالية في نشأتها بعدة مراحل ، حتى أصبحت فرقة مستقلة متميزة بعقيدتها واسمها عن سائر فرق الأمة ، ويمكن إبراز ذلك من خلال أربع مراحل رئيسة :

١ ـ المرحلة الأولى :

دعوة عبد الله بن سبأ على ما ادّعى إليه من الأصول التي انبنت عليها عقيدة الشيعة الغالية ، كدعوته لعقيدة الرجعة ، وإحداثه القول بالوصية لعلي رضي الله عنه ، والطعن في الخلفاء السابقين لعلي في الخلافة ، وقد ساعد ابن سبأ في ترويج فكره الضالّ البعيد عن روح الإسلام أمران :

أ ـ اختيار ابن سبأ البيئة المناسبة لدعوته ، حيث بثَّ دعوته في بلدان مصر ، والعراق ، بعد أن أكثر التنقل بين هذه الأمصار ، كما مر في كلام الطبري[2] ، فنشأت هذه الدعوة في مجتمعات لم تتمكن من فهم الإسلام الفهم الصحيح ، وتترسخ أقدامها في العلم الشرعي والفقه بدين الله تعالى ، وذلك لقرب عهدها بالإسلام ، فإن تلك

---

(١) منهاج السنة (٤/ ١٤٧) ؛ أصول الشيعة الإمامية (١/ ١٠٩) .
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٧) .

الأمصار إنما فتحت في عهد عمر رضي الله عنه ، هذا بالإضافة إلى بعدها عن مجتمع الصحابة في الحجاز وعدم التفقه والتتلمذ والتربية على أيديهم .

ب ـ إن ابن سبأ مع اختياره لدعوته تلك المجتمعات ، فإنه زيادة في المكر والخديعة ، أحاط دعوته بستار من التكتم والسرية ، فلم تكن دعوته موجهة لكل أحد ، وإنما لمن علم أنهم أهل لقبولها من جهلة الناس ، وأصحاب الأغراض الخبيثة ، ممن لم يدخلوا في الإسلام إلا كيداً لأهله بعد أن قوضت جيوش الإسلام عروش ملوكهم ، ومزقت ممالكهم ، وقد تقدم كلام الطبري السابق عن ابن سبأ : فبث دعاته ، وكاتب من كان استفسده في الأمصار ، وكاتبوه ، ودعوا في السير إلى ما عليه رأيهم[١] . . . يقول في سياق وصفهم : وأوسعوا في الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون[٢] .

٢ ـ المرحلة الثانية :

إظهار هذا المعتقد والتصريح به ، وذلك بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ، وانشغال الصحابة رضوان الله عليهم بإخماد الفتنة التي حصلت بمقتله ، فوجد هؤلاء الضلّال متنفساً في تلك الظروف ، وقويت تلك العقائد الفاسدة في نفوسهم ، إلا أنه مع كل ذلك بقيت هذه العقائد محصورة في طائفة مخصوصة ، ممن أصلهم ابن سبأ ، وليست لهم شوكة ولا كلمة مسموعة عند أحد سوى من ابتلي بمصيبتهم في مقتل عثمان رضي الله عنه ، وشاركهم في دمه من الخوارج المارقين .

ومما يدل على ذلك ما نقله الطبري : وتكلم ابن السوداء فقال : يا قوم إن عزكم في خلطة الناس فصانعوهم[٣] . وهذا القول لا يقوله صاحب شوكة ومنعة ، ومع هذا فإنه لا ينكر دور هؤلاء السبئية وقتلة عثمان في إشعال نار الحرب بين الصحابة ، بل ذلك مقرر عند أهل التحقيق للفتنة وأحداثها . يقول ابن حزم مقرراً ذلك : وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا ، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان الإراعة والتدبير عليهم ، فبيتوا عسكر طلحة والزبير ، وبذلوا السيوف فيهم ، فدفع القوم عن أنفسهم[٤] .

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٧) .

(٢) المصدر السابق نفسه (٥/ ٣٤٨) .

(٣) المصدر السابق نفسه (٥/ ٥٢٦) .

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٢٣٩) .

٣ ـ المرحلة الثالثة :

اشتداد أمرهم وقوتهم واجتماعهم تحت قيادة واحدة ، وذلك بعد مقتل الحسين رضي الله عنه للأخذ بثأر الحسين والانتقام له من أعدائه ، يقول الطبري في حوادث سنة أربع وستين للهجرة : وفي هذه السنة تحركت الشيعة بالكوفة ، وأعدوا الاجتماع بالنخيلة سنة خمس وستين للمسير لأهل الشام للطلب بدم الحسين بن علي ، وتكاتبوا في ذلك[١] .

وكان مبدأ أمرهم ما ذكره الطبري من رواية عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدي : أنه قال : لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنه ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة ، فدخل الكوفة ، تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندم ، ورأت أنها قد أخطأت خطأً كبيراً بدعائهم الحسين إلى النصرة وتركهم إجابته ، وقتله إلى جانبهم ولم ينصروه ، ورأوا أنه لا يغسل عارهم والإثم عنهم في مقتله إلا بقتل من قتله ، أو القتل فيه ، ففزعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رؤوس الشيعة : إلى سليمان بن صُرد الخزاعي ، وكانت له صحبة مع النبي ﷺ ، وإلى المسيب بن نجبة الرازي ، وكان من أصحاب علي وخيارهم ، وإلى عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي ، وإلى عبد الله بن وال التيمي ، وإلى رفاعة بن شداد البجلي ، ثم إن هؤلاء النفر الخمسة اجتمعوا في منزل سليمان بن صُرد ، وكانوا من خيار أصحاب علي، ومعهم أناس من الشيعة وخيارهم ووجوههم[٢] ، وكان هذا الاجتماع عام يشمل كافة الشيعة ، وقد اجتمع إلى سليمان بن صرد نحو من سبعة عشر ألفاً ، ثم لم تعجب سليمان قلّتهم ، فأرسل حكيم بن منقذ فنادى في الكوفة ، وخرج الناس معهم فكانوا قريباً من عشرين ألفاً[٣] .

ثم إنه في هذه الأثناء قدم المختار بن أبي عبيد الثقفي إلى الكوفة ، فوجد الشيعة قد التفت على سليمان بن صرد وعظموه تعظيماً زائداً ، وهم معدون للحرب ، فلما استقر المختار عندهم بالكوفة دعا إلى إمامة المهدي محمد بن علي بن أبي طالب ؛ وهو محمد ابن الحنفية ، ولقّبه بالمهدي ، فاتبعه على ذلك كثير من الشيعة ، وفارقوا سليمان بن صرد ، وصارت الشيعة فرقتين :

---

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٤٨٧ ـ ٥٠١) .

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) البداية والنهاية (٨/ ٢٥٤) .

الجمهور منهم مع سليمان ، يريدون الخروج على الناس ليأخذوا بثأر الحسين .

وفرقة أخرى مع المختار يريدون الخروج للدعوة إلى إمامة محمد ابن الحنفية ، وذلك عن غير أمر ابن الحنفية ورضاه ، وإنما يتقوَّلون عليه ليروجوا على الناس به ، وليتوصلوا إلى أغراضهم الفاسدة[١] ، فكان هذا بداية اجتماع الشيعة .

ثم يذكر المؤرخون خروج سليمان بن صرد بمن كان معه من الشيعة إلى الشام ، فالتقوا مع أهل الشام عند عين تسمى عين الوردة ، واقتتلوا قتالاً عظيماً لمدة ثلاثة أيام ، يقول ابن كثير : لم ير الشيب والمرد مثله ، لا يحجز بينهم إلا أوقات الصلوات إلى الليل[٢] ، ثم انتهى القتال بينهم بقتل سليمان بن صرد رضي الله عنه وكثير من أصحابه ، وهزيمتهم ، ودعوة من بقي من أصحابه إلى الكوفة[٣] .

وأما المختار بن أبي عبيد الثقفي فلمّا رجع مَنْ بقي من جيش سليمان إلى الكوفة وأخبروه بما كان من أمرهم ، وما حل بهم ، فترحَّم على سليمان ومن كان قتل معه ، وقال : وبعد فأنا الأمير المأمون قاتل الجبارين والمفسدين ، إن شاء الله ، فأعدوا واستعدوا وأبشروا[٤] .

يقول ابن كثير : وقد كان قبل قدومهم أخبر الناس بهلاكهم عن ربه ، الذي كان يأتي إليه من الشيطان ، فإنه قد كان يأتي إليه شيطان فيوحي إليه قريباً ممّا كان يوحي شيطان مسيلمة له[٥] ، ثم إن المختار بعث الأمر إلى النواحي والبلدان ، والرساتيق من أرض العراق وخراسان وعقد الألوية والرايات . . . ثم شرع المختار يتتبع قتلة الحسين من شريف ووضيع فيقتله[٦] .

٤ ـ المرحلة الرابعة :

انشقاق الشيعة الرافضة عن الزيدية ، وباقي فرق الشيعة ، وتميزها بمسماها

---

(١) المصدر السابق نفسه .
(٢) المصدر السابق نفسه (٨/ ٢٥٧) .
(٣) المصدر السابق نفسه (٨/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧). وعين وردة هي المسمّاة اليوم رأس العين في الجزيرة الفراتية .
(٤) المصدر السابق نفسه (٨/ ٢٥٨) .
(٥) المصدر السابق نفسه .
(٦) المصدر السابق نفسه (٨/ ٢٧١) .

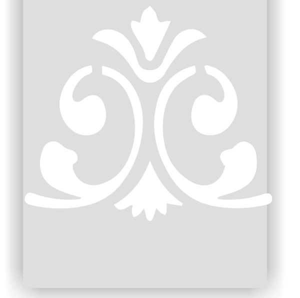
وعقيدتها ، وكان ذلك على وجه التحديد في سنة إحدى وعشرين ومئة عندما خرج زيد بن علي بن الحسين على هشام بن عبد الملك[١] ، فأظهر بعض من كان في جيشه من الشيعة الطعن على أبي بكر وعمر فمنعهم من ذلك ، وأنكر عليهم فرفضوه ، فسموا بالرافضة ، وسميت الطائفة الباقية معه بالزيدية[٢] .

يقول ابن تيمية رحمه الله : إن أول ما عرف لفظ الرافضة في الإسلام ، عند خروج زيد بن علي في أوائل المئة الثانية ، فسئل عن أبي بكر وعمر ، فتولاهما ، فرفضه قوم فسموا رافضة[٣] . وقال : ومن زمن خروج زيد افترقت الشيعة إلى رافضة وزيدية ، فإنه لما سئل عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما رفضه قوم فقال لهم : رفضتموني ، فسموا رافضة لرفضهم إياه ، وسمي مَنْ لم يرفضه من الشيعة زيدياً لانتسابهم إليه[٤] . ومنذ ذلك التاريخ تميزت الرافضة عن باقي فرق الشيعة ، فأصبحت فرقة مستقلة باسمها ومعتقدها[٥] ، والله تعالى أعلم .

هذا وقد تحدّث علماء الفرق عن الفرق المنسوبة للشيعة ، فذكروا منها : السبئية ، والغرابية ، والبياتية ، والمغيرية ، والهاشمية ، والخطابية ، والعلبائية ، والكيسانية ، والزيدية الجارودية ، والسليمانية ، والصالحية ، والبترية ، وبعض هذه الفرق غالت غلواً عظيماً ، والبعض الآخر أقل غلواً ، ومن أراد الاستزادة فليراجع (مقالات الإسلاميين) لأبي الحسن الأشعري ، و(الملل والنحل) للشهرستاني ، و(الفرق بين الفرق) لأبي الطاهر البغدادي ، و(فرق معاصرة) للدكتور غالب بن علي عواجي ؛ وهو من أفضل من اطلعت عليه من المعاصرين .

* * *

(١) تاريخ الطبري (٧/ ١٦٠) ؛ الانتصار للصحب والآل ، ص ٤٧ .
(٢) الانتصار للصحب والآل ، ص ٤٧ .
(٣) مجموع الفتاوى(١٣/ ٣٦) .
(٤) منهاج السنة(١/ ٣٥) .
(٥) الانتصار للصحب والآل ، ص ٤٨ .



الإمامة

عند الإمامية الإثني عشرية

تمهيد

يعتقد الشيعة الإمامية الاثنا عشرية : أن الإمامة ركن عظيم من أركان الإسلام ، وأصل أصيل من أصول الإيمان ، لا يتم إيمان المرء إلا باعتقادها ، ولا يقبل منه عمل إلا بتحقيقها . وأول من تحدث عن مفهوم الإمامة بالصورة الموجودة عند الشيعة الإمامية هو ابن سبأ ، الذي بدأ يشيع القول بأن الإمامة هي وصاية من النبي ومحصورة بالوصي ، وإذا تولاها سواه يجب البراءة منه وتكفيره .

فقد اعترفت كتب الشيعة الإمامية بأن ابن سبأ كان أول من أشهر القول بفرض إمامة علي، وأظهر البراءة من أعدائه ، وكاشف مخالفيه، وكفَّرهم[١] ، لأنه كان يهودي الأصل ، يرى أن يوشع بن نون وصي موسى ، فلما أسلم أظهر هذه المقالة في علي بن أبي طالب[٢] .

وهذا ما تعارف عليه شيوخ الشيعة الإمامية ، فابن بابويه القمي يسجل عقائد الشيعة في القرن الرابع ويقول بأنهم يعتقدون بأن لكل نبي وصياً أوصى إليه بأمر الله تعالى[٣] ، ويذكر أن عدد الأوصياء مئة ألف وصي ، وأربعة وعشرون ألف وصي[٤] .

كما ذكر المجلسي في أخباره : أن علياً هو آخر الأوصياء[٥] . وجاء في بعض عناوين الأبواب في الكافي : باب أن الإمامة عهد من الله عز وجل معهود من واحد إلى واحد[٦] ،

---

(١) رجال الكشي ، ص ١٠١ ؛ المقالات والفرق للقمي ، ص ٢٠ .
(٢) رجال الكشي ، ص ١٠١ ؛ أصول الشيعة (٢/ ٧٩٢) .
(٣) عقائد الصدوق ، ص ١٠٦ .
(٤) المصدر السابق نفسه .
(٥) بحار الأنوار (٣٩/ ٣٤٢) .
(٦) أصول الكافي (١/ ٢٢٧) .

وباب ما نص الله عز وجل ورسوله على الأئمة واحداً فواحداً[١] ، وقد ضمنها مجموعة من أخبارهم التي يعدونها من الأدلة التي لا يرقى إليها الشك .

ولهذا قال شيخهم مقداد الحلي (ت ٨٢١ هـ) بأن مستحق الإمامة عندهم لا بد أن يكون شخصاً معهوداً من الله تعالى ورسوله لا أي شخص اتفق[٢] .

ويقرر محمد حسين آل كاشف الغطاء أحد مراجع الشيعة الاثني عشرية في هذا العصر : أن الإمامة منصب إلٰهي كالنبوة ، فكما أن الله سبحانه يختار ما يشاء من عباده للنبوة والرسالة ويؤيد بالمعجزة التي هي كنص من الله عليه . . فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه ، وأن ينصبه إماماً للناس من بعده[٣] .

فأنت ترى أن مفهوم الإمامة عندهم كمفهوم النبوة ، فكما يصطفي الله سبحانه من خلقه أنبياء ، يختار سبحانه أئمة ، وينص عليهم ، ويعلم الخلق بهم ، ويقيم بهم الحجة ، ويؤيدهم بالمعجزات ، وينزل عليهم الكتب ، ويوحي إليهم ، ولا يقولون أو يفعلون إلا بأمر الله ووحيه . . أي أن الإمامة هي النبوة ، والإمام هو النبي ، والتغيير في الاسم فقط ، ولذلك قال المجلسي : إن استنباط الفرق بين النبي والإمام من تلك الأخبار لا يخلو من إشكال[٤] ، ثم قال : ولا نعرف جهة لعدم اتصافهم بالنبوة إلا رعاية خاتم الأنبياء ، ولا يصل عقولنا فرق بين النبوة والإمامة[٥] !

هذا قولهم في مفهوم الإمامة ، ويكفي في نقده أنه لا سند لهم فيه إلا ابن سبأ[٦] .

* * *

(١) المصدر السابق (١/ ٢٨٦) .
(٢) النافع يوم الحشر ، ص ٤٧ .
(٣) أصول الشيعة الإمامية ، ص ٥٨ .
(٤) بحار الأنوار (٢٦/ ٨٢) .
(٥) المصدر السابق نفسه (٢٦/ ٨٢) .
(٦) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٧٩٤) .



منزلة الإمامة عند الإمامية

وحكم من جحدها

مسألة الإمامة عند أهل السنة ليست من أصول الدين التي لا يسع المكلَّفُ الجهل بها ، كما قرره جمع من أهل العلم[1] .

ولكنّها عند الشيعة الإمامية لها شأن آخر ، ففي «الكافي» رواياتٌ تجعل الإمامة أعظمَ أركان الإسلام .

روى الكُليني بسنده عن أبي جعفر قال : بني الإسلام على خمس : على الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والولاية ، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية ، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذا ـ يعني الولاية ـ[2] .

فأنت ترى أنهم أسقطوا الشهادتين من أركان الإسلام ، ووضعوا مكانهما الولاية ، وعدّوها من أعظم الأركان ، كما يدل عليه قولهم : ولم ينادَ بشيء كما نودي بالولاية ، وكما يدل عليه حديثهم الآخر ، وقد ذكر فيه نص الرواية السابقة وزاد : قلت ـ الراوي ـ : وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال : الولاية أفضل[3] .

ويقول المجلسي : ولا ريب في أن الولاية والاعتقاد بإمامة الأئمة عليهم السلام والإذعان لـهم من جملة أصول الدين ، وأفضل من جميع الأعمال البدنية لأنها مفتاحهن[4] .

ويقول المظفر ـ وهو من علمائهم المعاصرين ـ : نعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين ، لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها ، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمربين ،

---

(١) غاية المرام للآمدي ، ص : ٣٦٣ ؛ الاقتصاد للغزالي ، ص ١٣٤ .

(٢) أصول الكافي (٢/ ١٨) ، رقم ٣ .

(٣) المصدر السابق نفسه .

(٤) مرآة العقول (٧/ ١٠٢) .

مهما عظموا ، بل يجب النظر فيها ، كما يجب النظر في التوحيد والنبوة[١] . بل وصلت الأخبار إلى أكثر من هذا حينما قالت : عُرِج بالنبي ﷺ بالولاية لعلي والأئمة من بعده أكثر مما أوصاه بالفرائض[٢] .

هذه الروايات الشيعية الإمامية ومثيلاتها في كتب الشيعة الإمامية كانت كفيلة بأن تجعل الإمامة هي الحكم على إيمان الرجل أو كفره ، وأن تجعل المسلم معرضاً للاتهام بالكفر لمجرد اختلافه مع الشيعة الإمامية في عقيدة الإمامة التي يعتقدونها ، ولذا رأينا بعض كبار علماء الشيعة الإمامية السابقين واللاحقين يصرحون بهذه الحقيقة المرة .

يقول **ابن بابويه القمي** في رسالته (الاعتقادات) : واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه كمن جحد نبوة جميع الأنبياء ، واعتقادنا فيمن أقر بأمير المؤمنين وأنكر واحداً من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من أقر بجميع الأنبياء ، وأنكر نبوة محمد ﷺ[٣] .

ويقول **يوسف البحراني** في موسوعته (الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة) : وليت شعري أي فرق بين من كفر بالله سبحانه وتعالى ورسوله وبين من كفر بالأئمة عليهم السلام مع ثبوت كون الإمامة من أصول الدين[٤] ؟! .

ويقول **المجلسي** : اعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على مَنْ لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام ، وفضل عليهم غيرهم ؛ يدل أنهم مخلدون في النار[٥] .

وقال **ابن المطهر الحلي** : الإمامة لطف عام ، والنبوة لطف خاص لإمكان خلو الزمان من نبي حي بخلاف الإمام ، وإنكار اللطف العام شر من إنكار اللطف الخاص[٦] .

فهو يجعل من لم يؤمن بأئمتهم أشـد كفراً من اليهود والنصارى ، وقد بنى على ذلك أن الزمان لا يخلو من إمام ، وهو إشارة إلى عقيدتهم بالإيمان بوجود إمامهم المنتظر

---

(١) عقائد الإمامية ، ص ١٠٢ .
(٢) بحار الأنوار (٢٣/ ٦٩) .
(٣) الاعتقادات ، ص ١٠٣ ؛ ثم أبصرت الحقيقة ، محمد الخضر ، ص ١٢٧ .
(٤) الحدائق الناضرة(١٨/ ١٥٣) .
(٥) بحار الأنوار (٢٣/ ٣٩٠) .
(٦) الألفين ، ص ٣ ؛ أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٦٧) .

الغائب ، والذي أنكره طوائف من الشيعـة ، وقرر المحققون من علماء النسب والتاريخ أنه لم يولد أصلاً ، ولكن شيخ الشيعة الإمامية يرى أن إنكاره أعظم من الكفر[(١)] .

وينقل شيخهم المفيد اتفاقهم على هذا المذهب في تكفير أمة الإسلام فيقول : اتفقت الإمامية على أن مَنْ أنكر إمامة أحد من الأئمة وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة ؛ فهو كافر ضالّ مستحقّ للخلود في النار[(٢)] .

وبلغ الأمر بشيخهم نعمة الله الجزائري أن يعلن انفصال الشيعة عن المسلمين بسبب قضية الإمامة فيقول: لم نجتمع معهم على إلٰه ولا نبي ولا على إمام، وذلك أنهم يقولون : إن ربهم هو الذي كان محمد ﷺ نبيه ، وخليفته بعد أبو بكر ، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي، بل نقول : إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ، ولا ذلك النبي نبينا[(٣)] .

إن الإمامة صنو النبوة أو أعظم ، وهي أصل الدين وقاعدته الأساسية عندهم ، لهذا جاء حكم الشيعة الإثني عشرية على من أنكر إمامة واحد من أئمتهم الإثني عشر مكملاً لهذا الغلو ، حيث حكموا عليه بالكفر والخلود في النار ، وخصصوا باللعن والحكم بالردة جميع فئات المسلمين ما عدا الإثني عشرية ، فتناول تكفيرهم :

١ ـ الصحابة رضوان الله عليهم:

كتب الإمامية مليئة باللعن والتكفير لمن رضي الله عنهم ورضوا عنه ، من المهاجرين والأنصار ، وأهل بدر وبيعة الرضوان ، وسائر الصحابة أجمعين ، ولا تستثني منهم إلا النزر اليسير الذي لا يبلغ عددهم أصابع اليد ، وأصبحت هذه المسألة بعد ظهور كتبهم وانتشارها من الأمور التي لا تحجب بالتقية[(٤)] ، كما أن من أهل العلم وأصحاب المقالات من اطلع على هذا الأمر عند الشيعة الإمامية ، قال القاضي عبد الجبار : وأما الإمامية فقد ذهبت إلى أن الطريق إلى إمامة الاثني عشر النص الجلي ، الذي يكفر من أنكره ، ويجب تكفيره ، فكفّروا لذلك صحابة النبي عليه السلام[(٥)] .

---

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٦٧) .

(٢) المسائل للمفيد ، وقد نقل ذلك عنه المجلسي في البحار (٨/ ٣٦٦) .

(٣) الأنوار العلمانية (٢/ ٢٧٩) .

(٤) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٦٨) .

(٥) شرح الأصول الخمسة ، ص ٧٦١ .

وقريب من هذا المعنى قال عبد القاهر البغدادي : وأما الإمامية فقد زعم أكثرهم[١] أن الصحابة ارتدت بعد النبي ﷺ سوى علي وابنيه ومقدار ثلاثة عشر منهم[٢] .

ويقول ابن تيمية رحمه الله : إن الإمامية تقول : إن المهاجرين والأنصار كتموا النص ، فكفروا إلا نفراً قليلاً . . إما بضعة عشر أو أكثر ، ثم يقولون : إن أبا بكر وعمر ونحوهما ما زالا منافقين، وقد يقولون: بل آمنوا ثم كفروا، وتقول كتب الإثني عشرية: إن الصحابة بسبب توليتهم لأبي بكر قد ارتدوا إلا ثلاثة ، وتزيد بعض رواياتهم ثلاثة أو أربعة آخرين رجعوا إلى إمامة علي ، ليصبح المجموع سبعة ، ولا يزيدون عن ذلك ، ولقد تداولت الشيعة أنباء هذه المقالة في المعتمد من كتبها، فسجلوا ذلك في أول كتاب ظهر لهم وهو كتاب سليم بن قيس[٣] ، ثم تتابعت كتبهم في تقرير ذلك وإشاعته وعلى رأسها (الكافي) أوثق كتبهم الأربعة، و(رجال الكشي)[٤]، عمدتهم في كتب الرجال وغيرها من مصادرهم[٥]، وسيأتي الحديث عن موقف الإماميةمن الصحابة مفصلاً بإذن الله تعالى .

٢ ـ تكفيرهم أهل البيت:

إن الروايات التي تحكم بالردة على ذلك المجتمع المثالي الفريد ، ولا تستثني منهم جميعاً إلا سبعة في أكثر تقديراتها ، ولا تذكر من ضمن هؤلاء السبعة أحداً من أهل بيت رسول الله باستثناء بعض روايات عندهم جاء فيها استثناء علي فقط، وهي رواية الفضيل بن يسار عن أبي جعفر، قال: صار الناس كلهم أهل جاهلية إلا أربعة: علي، والمقداد، وسلمان، وأبو ذر، فقلت: فعمّار؟ فقال: إن كنت تريد الذين لم يدخلهم شيء فهؤلاء الثلاثة[٦] ، فالحكم بالردة في هذه النصوص شامل للصحابة، وأهل البيت النبوي من زوجات رسول الله ﷺ وقرابته ، مع أن واضعها يزعم التشيع لأهل بيت رسول الله ﷺ ، فهل هذا إلا دليل واضح على أن التشيع إنما هو ستار لتنفيذ أغراض خبيثة ضد

---

(١) تلحظ أن عبد القاهر لا يعمم هذا المذهب على الإمامية كلها .
(٢) الفرق بين الفرق ، ص ٣٢١ .
(٣) كتاب سليم بن قيس ، ص ٧٤ ـ ٧٥ .
(٤) رجال الكشي ، ص٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١١ .
(٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٧٨٠) .
(٦) تفسير العياشي (١/ ١٩٩) ؛ البرهان (١/ ٣١٩) ؛ تفسير الصافي (١/ ٣٨٩)؛ أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٩١) .

الإسلام وأهله، وأن واضعي هذه الروايات أعداء للصحابة وللقرابة[١].

وقد خصت الإمامية بالطعن والتكفير جملة من أهل بيت رسول الله ﷺ، كعم النبي العباس، حتى قالوا بأنه نزل فيه قولـه سبحانه: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٧٢]، وكابنـه عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن الـذي خصصوه باللعن وبأنـه سخيف العقل[٢]، كما جاء في (الكافي)، وفي (رجال الكشي): اللهم العن ابني فلان وأعم أبصارهما، كما عميت قلوبهما.. واجعل عمى أبصارهما دليلاً على عمى قلوبهما[٣]. وعلق على هذا شيخهم حسن المصطفوي فقال: هما عبد الله بن عباس وعبيد الله بن عباس[٤].

وبنات النبي ﷺ يشملهن سخط الشيعة الاثني عشرية وحنقهم، فلا يذكرون فيمن استثني من التكفير، بل ونفى بعضهم أن يكن بنات للنبي ﷺ ما عدا فاطمة[٥] رضي الله عنهن، فهل يحب رسول الله ﷺ من يقول فيه وفي بناته هذا القول[٦]؟!

وقد نص صاحب (الكافي) في رواياتـه على أن كل من لم يؤمن بالاثني عشر إماماً فهو كافر، وإن كان علوياً فاطمياً[٧]. وهذا يشمل في الحقيقة التكفير لجيل الصحابة ومن بعدهم بما فيـه الآل والأصحاب؛ لأنهم لم يعرفـوا فكرة الإثنـي عشر التي لم توجـد إلا بعد سنة ٢٦٠ هـ، كما باؤوا بتكفير أمهـات المؤمنين أزواج رسول الله ﷺ، إذ لم يستثنوا واحدة منهن في نصوصهم، ولكنهم يخصون منهن عائشة[٨]، وحفصة رضي الله عنهن أجمعين، بالذم واللعن والتكفير[٩].

وقد عقد شيخهم المجلسي باباً بعنوان باب أحوال عائشة وحفصة؛ ذكر فيه ١٧ رواية[١٠]،

---

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٩١).
(٢) أصول الكافي (١/ ٢٤٧).
(٣) رجال الكشي، ص ٥٢.
(٤) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٩٢).
(٥) كشف الغطاء لجعفر النجفي، ص ٥ ؛ أصول الشيعة (٢/ ٨٩٢).
(٦) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٩٢).
(٧) أصول الكافي (١/ ٣٧٢ ـ ٣٧٤).
(٨) المصدر السابق نفسه (١/ ٣٠٠) ؛ رجال الكشي، ص ٥٧ ـ ٦٠.
(٩) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٩٣).
(١٠) بحار الأنوار (٢٢/ ٢٢٧ ـ ٢٤٧).

وأحال في بقية الروايات إلى أبواب أخرى[١]، وقد آذوا فيها رسول الله ﷺ في أهل بيته أبلغ الإيذاء، حتى اتهموا في أخبارهم من برأها الله من سبع سموات ، عائشة بنت الصديق بالفاحشة ، فقد جاء في أصل أصول التفاسير عندهم ، تفسير القمي[٢] قذف شنيع متضمن تكذيب القرآن العظيم .

قال ابن كثير في تفسير سورة النور: أجمع أهل العلم ـ رحمهم الله ـ قاطبة على أن من سبها ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في الآية ، فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن[٣] ، وقال القرطبي: فكل من سبها مما برأها الله منه مكذب لله ، ومن كذب الله فهو كافر[٤] .

٣ ـ تكفيرهم خلفاء المسلمين وحكوماتهم:

في دين مذهب الإمامية أن كل حكومة غير حكومة الإمامية باطلة ، وصاحبها ظالم طاغوت يعبد من دون الله، ومن يبايعه فإنما يعبد غير الله، وقد أثبت الكُليني هذا المعنى في عدة أبواب مثل: باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل ، ومن جحد الأئمة أو بعضهم، ومن أثبت الإمامة لمن ليس لها بأهل ، وذكر فيه اثنا عشر حديثاً عن أئمتهم[٥]، وباب فيمن دان الله عز وجل بغير إمام من الله جل جلاله، وفيه خمسة أحاديث[٦] ، وكل خلفاء المسلمين ما عدا علياً والحسن طواغيت ـ حسب اعتقادهم ـ وإن كانوا يدعون إلى الحق ، ويحسنون لأهل البيت ، ويقيمون دين الله ، ذلك أنهم يقولون: كل راية ترفع قبل راية القائم[٧] رضي الله عنه صاحبها طاغوت[٨] . قال شارح الكافي: وإن كان رافعها يدعو إلى الحق[٩]، وحكم المجلسي على هذه الرواية بالصحة[١٠]، حسب مقاييسهم[١١] .

---

(١) المصدر السابق نفسه (٢٢/ ٢٤٥).
(٢) تفسير القمي (٢/ ٣٧٧).
(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠)؛ الصارم المسلول، ص ٥١ .
(٤) تفسر القرطبي (١٢/ ٢٠٦).
(٥) الكافي (١/ ٣٧٢ ـ٣٧٤).
(٦) المصدر السابق نفسه (١/ ٣٧٤ ـ ٣٧٦).
(٧) هو: المهدي المنتظر .
(٨) الكافي: بشرحه للمازندراني (١٢/ ٣٧١)؛ بحار الأنوار (٢٥/ ١١٣)؛ أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٩٦).
(٩) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٩٦).
(١٠) مرآة العقول (٤/ ٣٧٨).
(١١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٩٦).

٤ ـ الحكم على الأمصار الإسلامية بأنها دار كفر:

جاء في أخبارهم تخصيص كثير من بلاد المسلمين بالسب ، وتكفير أهلها على وجه التعيين ، ويخصُّون منها غالباً ما كان أكثر التزاماً بالإسلام واتباعاً للسنة ، فقد صرحوا بكفر أهالي مكة والمدينة في القرون المفضلة ، ففي عصر جعفر الصادق كانوا يقولون عن أهل مكة والمدينة: أهل الشام شر من أهل الروم يعني شر من النصارى ، وأهل المدينة شر من أهل مكة ، وأهل مكة يكفرون بالله جهرة[١] . وقالوا : إن أهل مكة ليكفرون بالله جهرة ، وإن أهل المدينة أخبث من أهل مكة ، أخبث منهم سبعين ضعفاً[٢] .

ومن المعلوم أن أهل المدينة كانوا ـ ولا سيما في القرون المفضلة ـ يتأسون بأثر رسول الله ﷺ أكثر من سائر الأمصار ، وقد ظل أهل المدينة متمسكين بمذهبهم المالكي منتسبين إليه إلى أوائل المئة السادسة ، أو قبل ذلك أو بعد ، فإنه قدم إليهم من رافضة المشرق من أفسد مذهب كثير منهم[٣] .

وقالوا أيضاً عن مصر وأهلها : أبناء مصر ؛ لعنوا على لسان داود عليه السلام ، فجعل الله منهم القردة والخنازير[٤] ، وما غضب الله على بني إسرائيل إلا أدخلهم مصر ، ولا رضي عنهم إلا أخرجهم منها إلى غيرها[٥] ، وقالوا بئس البلاد مصر ، أما إنها سجن من سخط الله عليه من بني إسرائيل[٦] ، وقالوا : انتحوا مصر ، ولا تطلبوا المكث فيها ، لأنه يورث الدياثة[٧] .

وجاءت عندهم عدة روايات في ذم مصر ، وهجاء أهلها ، والتحذير من سكناها ، ونسبوا هذه الروايات إلى رسول الله ﷺ ، وإلى محمد الباقر ، وإلى علي الرضا ، وهذا رأي الإمامية في مصر في تلك العصور الإسلامية الزاهرة ، وقد عقب المجلسي على هذه النصوص بقوله بأن مصر صارت من شر البلاد في تلك الأزمنة ، لأن أهلها صاروا من

---

(١) أصول الكافي (٢/ ٤٠٩).
(٢) المصدر السابق نفسه (٢/ ٤١٠).
(٣) الفتاوى (٢٠/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠).
(٤) بحار الأنوار (٦٠/ ٢٠٨) ؛ تفسير القمي ، ص ٥٩٦ .
(٥) تفسير العياشي (١/ ٣٠٤) ؛ البرهان (١/ ٤٥٦).
(٦) تفسير العياشي (١/ ٣٠٥) ؛ البرهان (١/ ٤٥٧).
(٧) بحار الأنوار (٦٠/ ٢١١) ؛ أصول الشيعة (٢/ ٩٠٠).

أشقى الناس وأكفرهم[١] ، ولا يبعد أن هذه النصوص هي تعبير عن حقد الإمامية وغيظهم على مصر وأهلها بسبب سقوط دولة إخوانهم الإسماعيليين على يد صلاح الدين؛ الذي طهر أرض الكنانة من دنسهم ورجسهم ، وأين هذه الكلمات المظلمة في مصر وأهلها من الباب الذي عقده مسلم في «صحيحه» باب وصية النبي بأهل مصر[٢] ، وجاء عندهم ذم كثير من بلدان الإسلام وأهلها[٣] ، ولم يُستثنّ من ديار المسلمين إلا من يقول بمذهبهم ، وهي قليلة في تلك الأزمان ، حتى جاء عنهم : إن الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار ؛ فلم يقبلها إلا أهل الكوفة[٤] .

٥ ـ قضاة المسلمين:

تَعُدُّ أخبارُهم قضاة المسلمين طواغيت ، لارتباطهم بالإمامة الباطلة بزعمهم ، فقد جاء في الكافي عن عمر بن حنظلة قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام ، عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث ، فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاء أيحل ذلك؟ قال : من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت ، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتاً ، وإن كان حقاً ثابتاً له ، لأنه أخذ بحكم الطاغوت ، وقد أمر الله أن يكفر به[٥] ، قال تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ ﴾ [النساء : ٦٠] ، وهذه الرواية تحكم على القضاء والقضاة في عصر جعفر الصادق ، كما يظهر من إسنادهم للرواية إلى جعفر ، فإذا كان هذا نظرهم في قضاة المسلمين في القرون المفضلة ، فما بالك فيمن بعدهم[٦]؟!!

٦ ـ أئمة المسلمين وعلماؤهم:

حذروا من التلقي عن شيوخ المسلمين وعلمائهم ، وعدوهم كملل أهل الشرك ، عن هارون بن خارجة قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إنا نأتي هؤلاء المخالفين[٧] ،

---

(١) بحار الأنوار (٥/ ٢٠٨).
(٢) مسلم (٢/ ٢٩٧٠).
(٣) بحار الأنوار (٦٠/ ٢٠٦) ، أصول الشيعة (٢/ ٩٠١).
(٤) نفس المصدرين السابقين.
(٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٠٢) ؛ أصول الكافي (١/ ٦٧).
(٦) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٠٢).
(٧) هذا اللقب يطلق على أهل السنة ، وقد يتناول كل مخالف.

فنسمع منهم الحديث يكون حجة لنا عليهم؟ قال: لا تأتهم ولا تسمع منهم، لعنهم الله ولعن مللهم المشركة[(١)].

وجاء في الكافي عن سدير عن أبي جعفر قال: . . . يا سدير! فأريك الصادين عن دين الله ، ثم نظر إلى أبي حنيفة وسفيان الثوري في ذلك الزمان وهم حلق في المسجد ، فقال: هؤلاء الصادون عن دين الله بلا هدى من الله ولا كتاب مبين ، إن هؤلاء الأخباث لو جلسوا في بيوتهم فجال الناس ، فلم يجدوا أحداً يخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله ﷺ ، حتى يأتونا فنخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله ﷺ[(٢)] .

وقد بين ابن تيمية ـ رحمه الله ـ موقفهم من سلف الأمة وأئمتها والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وكفَّروا جماهير أمة محمد ﷺ من المتقدمين والمتأخرين ، فيكفِّرون كل من اعتقد في أبي بكر وعمر والمهاجرين والأنصار العدالة ، أو ترضَّى عنهم كما رضي الله عنهم ، أو يستغفر لهم كما أمر الله بالاستغفار لهم ، ولهذا يكفرون أعلام الملة ، مثل: سعيد بن المسيب ، وأبي مسلم الخولاني ، وأويس القرني ، وعطاء بن أبي رباح ، وإبراهيم النخعي ، ومثل: مالك ، والأوزاعي ، وأبي حنيفة ، وحماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، والثوري ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وفضيل بن عياض ، وأبي سليمان الداراني ، ومعروف الكرخي ، والجنيد بن محمد ، وسهل بن عبد الله التستري ، وغير هؤلاء ، ويرون أن كفرهم أغلظ من كفر اليهود والنصارى ؛ لأن أولئك عندهم كفار أصليون ، وهؤلاء مرتدون ، وكفر الردة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي .

إلى أن قال: وأكثر محققيهم ـ عندهم ـ يرون أبا بكر وعمر وأكثر المهاجرين والأنصار ، وأزواج النبي ﷺ مثل عائشة ، وحفصة ، وسائر أئمة المسلمين وعامتهم ما آمنوا بالله طرفة عين قط ، لأن الإيمان الذي يتعقبه الكفر عندهم يكون باطلاً من أصله . ومنهم من يرى أن فرج النبي ﷺ الذي جامع به عائشة وحفصة لا بد أن تمسه النار ؛ ليطهر بذلك من وطئ الكوافر على زعمهم ؛ لأن وطئ الكوافر حرام عندهم[(٣)] .

هذا التكفير العام الشامل الذي لم ينج منه أحد ، هل يحتاج إلى نقد؟! إن بطلانه

---

(١) بحار الأنوار (٢/ ٢١٦) ؛ أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٠٥) .

(٢) أصول الكافي (١/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣) ؛ أصول الشيعة (٢/ ٩٠٥) .

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٦١ ـ ٢٦٢) .

أوضح من أن يبين ، وكذبه أجلى من أن يكشف ، وتكفير الأمة امتداد لتكفير الصحابة ، والسبب واحد لا يختلف ، ومن الطبيعي أن من يحقد على صحابة رسول الله ﷺ ويسبهم ويكفرهم يحقد على الأمة جميعاً ويكفرها ، كما قال بعض السلف : لا يغل قلب أحد على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا كان قلبه على المسلمين أغل[١] ، فإذا لم يرض عن أبي بكر وعمر وعثمان ، وأهل بدر وبيعة الرضوان ، والمهاجرين والأنصار وهم في الذروة في الفضل والإحسان ، فهل يرضى بعد ذلك عن أحد بعدهم؟

ومبنى هذا الموقف هو دعوى الإمامية : أن الصحابة رضوان الله عليهم أنكروا النص ، وسيأتي بيان بطلان النص بالنقل والعقل وبالأمور المتواترة المعلومة ـ بإذن الله ـ ، وما بني على الباطل فهو باطل ، ولقد كان حكمهم بردة جيل الصحابة من الظواهر الواضحة على بطلان مذهب الإمامية من أساسه[٢] . ولذلك قال أحمد الكسروي الإيراني والإمامي الأصل : وأما ما قالوا من ارتداد المسلمين بعد موت النبي ﷺ فاجتراء منهم على الكذب والبهتان ، فلقائل أن يقول : كيف ارتدوا وهم كانوا أصحاب النبي ؛ آمنوا به حين كذبه الآخرون ، ودافعوا عنه واحتملوا الأذى في خلافة أبي بكر ليرتدوا عن دينهم لأجله؟! فأي الأمرين أسهل احتمالاً : أكذب رجلاً أو رجلين من ذوي الأغراض الفاسدة ، أو ارتداد بضع مئات من خلص المسلمين؟! فأجيبونا إن كان لكم جواب[٣]؟!!! .

بيّن رب العزة في القرآن الكريم أصول العقائد وحقائقها ، وهو التبيان لكل شيء ، قال تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل : ٨٩] ، ويقول واصفاً كتابه بأنه لم يفرط في قضية يقوم عليها الدين بقوله : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام : ٣٨] ، فإن كان الأمر كذلك فإن المرء ليتساءل عن سند هذه العقيدة! فكتاب الإسلام العظيم القرآن الكريم يذكر فيه مرات الصلاة ، والصيام ، والزكاة والحج ، ولا ذكر فيه لشأن الأئمة الإثني عشرية أو الإمامة من بعد الرسول رغم كون الإمامة كما تقول النظرية الإمامية أعظم أركان الدين!! أو ليس من العجيب أن يذكر القرآن تفاصيل طريقة الوضوء ، ويُصنّف أنواع المحرمات من الطعام والشراب ، ويتحدث عن الجهاد تارةً وعن السلم

(١) الإبانة لابن بطة ، ص ٤١ .
(٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩١٦) .
(٣) التشيع والشيعة ، ص ٦٦ ؛ أصول الشيعة (٢/ ٩١٦) .

تارةً أخرى ، ويناقش القضايا الأخلاقية ، ثم يتجاهل إمامة الاثني عشر التي يصفها آل كاشف الغطاء بأنها منصب إلٰهي كالنبوة!

إن هذه النصوص القرآنية قد شهدت بكل وضوح بأن القرآن الكريم لم يفرط في قضية يحتاج إليها البشر ، فكيف يفرط في قضية الإمامة النصية التي تذكرها الإمامية ، ثم يتركها لعلمائهم لكي يصيغوها ويحددوا معالمها ، مع كون النص على الأئمة من الله لا منهم[١]؟!

* * *

(١) ثم أبصرت الحقيقة ، محمد سالم ، ص ١٣٠ .



العصمة عند الإمامية الاثني عشرية

إن عصمة الإمام عند الإمامية شرط من شروط الإمامة ، وهي من المبادئ الأولية في كيانهم العقدي ، ولها أهمية كبرى عندهم ، ونتيجة لما أضفاه الإمامية على الأئمة من صفات وقدرات ومواهب علمية غير محدودة ، ذهبوا إلى أن الإمام ليس مسؤولاً أمام أحد من الناس ، ولا مجال للخطأ في أفعاله مهما أتى من أفعال ، بل يجب تصديقه والإيمان بأن كل ما يفعله من خير لا شر فيه ؛ لأن عنده من العلم ما لا قبل لأحد بمعرفته ، ومن هنا قرر الشيعة للإمام ضمن ما قرروا العصمة ، فذهبوا على أن الأئمة معصومون في كل حياتهم ، لا يرتكبون صغيرة ولا كبيرة ، ولا يصدر عنهم أي معصية ، ولا يجوز عليهم خطأ ولا نسيان[1] .

وقد نقل الإجماع على ذلك شيخهم المفيد ، فقال : إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود وحفظ الشرائع وتأديب الأنام معصومون كعصمة الأنبياء ، وأنهم لا يجوز منهم كبيرة ولا صغيرة ، وأنه لا يجوز منهم سوء في شيء من الدين ، ولا ينسون شيئاً من الأحكام ، وعلى هذا مذهب سائر الإمامية إلا من شذ منهم ، وتعلق بظواهر روايات لها تأويلات على خلاف ظنه الفاسد من هذا الباب[2] .

وقال ابن المطهر الحلي : ذهبت الإمامية والإسماعيلية إلى أن الإمام يجب أن يكون معصوماً ، وخالف فيه جميع الفرق[3] .

وقد نص على ذلك المجلسي بقوله : اعلم أن الإمامية رضي الله عنهم اتفقوا على عصمة الأئمة عليهم السلام من الذنوب صغيرها وكبيرها ، فلا يقع منهم ذنب أصلاً

---

(١) دراسات عن الفرق ، د. أحمد جلي ، ص ٢٠٣ ؛ مسألة التقريب (١/ ٣٢٢) .

(٢) أوائل المقالات للمفيد ، ص ٣٥ .

(٣) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ، ص ٩٠ .

لا عمداً ولا نسياناً ، ولا لخطأ في التأويل ، ولا للإسهاء من الله سبحانه[١] .

وروى الصدوق بسنده إلى ابن عباس ـ كذباً وزوراً ـ أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين معصومون[٢] ، وقال أيضاً في تقرير ذلك : اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة أنهم معصومون مطهرون من كل دنس ، وأنهم لا يذنبون لا صغيراً ولا كبيراً ، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم ، ومن جهلهم فهو كافر[٣] .

ولم تكن هذه العقيدة مقصورة على سلف الإمامية ، بل شاركهم المعاصرون في ذلك ، وفي ذلك يقول محمد رضا المظفر ، ونعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن ، من سنّ الطفولة إلى الموت عمداً وسهواً ، كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان[٤] ، وقد نص على ذلك الزنجاني في عقائد الإمامية[٥] ، كما نص عليه أيضاً علي البحراني في منار الهدى[٦] ، والسيد مرتضى العسكري في معالم المدرستين[٧] ، إلا أن هناك آثاراً في المذهب الشيعي الإمامي تخالف ما ذهبوا إليه ، ولذلك احتار المجلسي وهو يرى النصوص تخالف إجماع أصحابه ، فقال : المسألة في غاية الإشكال ، لدلالة كثير من الأخبار والآيات عن صدور السهو عنهم ، وإطباق الأصحاب إلا من شذ منهم على عدم الجواز[٨] ، وهذا اعتراف من المجلسي بأن إجماع الشيعة المتأخرين على عصمة الأئمة بإطلاق يخالف رواياتهم ، وهذا دليل واقعي واعتراف صريح في أنهم يجمعون على غير دليل حتى من كتبهم[٩] .

ويبدو أن فكرة العصمة قد مرت بأطوار مختلفة ، أو أن الإمامية قد اختلفت عقائدهم

---

(١) بحار الأنوار (٩/ ٢٠٥) .
(٢) إكمال الدين للصدوق ، ص ٤٧٤ .
(٣) نقل ذلك عن الزنجاني في عقائد الإمامية الاثني عشرية (٢/ ١٥٧) .
(٤) عقائد الإمامية ، ص ١٠٤ .
(٥) العقيدة في أهل البيت ، ص ٣٧١ .
(٦) منار الهدى ، ص ١٠٢ .
(٧) معالم المدرستين ، ص ١٥٩ .
(٨) البحار (٢٥/ ٣٥١) .
(٩) مسألة التقريب (١/ ٣٣٠) .

في تحديدها ـ في أول الأمر ـ فمثلاً في عصر أبي جعفر بن بابويه القمي ت ٣٨١ هـ ، وشيخه محمد بن الحسن القمي ، كان رأي جمهور الشيعة أن أول درجة في الغلو هي نفي السهو عن النبي ﷺ(١) ، فكانوا يعدون من ينفي السهو عن النبي ﷺ من الشيعة الغلاة ، ولكن بعد ذلك تبدلت الحال ، وأصبح نفي السهو والنسيان عن الأئمة هو خروج بهم إلى منزلة من لا تأخذه سنة ولا نوم .

وقد كانت العصمة بهذه الصورة الغالية من نفي السهو والنسيان عن الأئمة معتقد فئة شيعية مجهولة في الكوفة ، ففي «البحار» للمجلسي: أنه قيل للرضا ـ إمام الشيعة الثامن ـ إن في الكوفة قوماً يزعمون: أن النبي ﷺ لم يقع عليه السهو في صلاته فقال: كذبوا لعنهم الله؛ إن الذي لا يسهو هو الله لا إله إلا هو(٢) .

فهذا يدل على أن عقيدة نفي السهو كانت معتقد قوم غير معنيين لشذوذهم في هذا الاعتقاد، وأنهم كانوا ينفون السهو عن النبي ﷺ الذي هو أفضل الأئمة ، ولم يقولوا بذلك للأئمة .

ثم تطور هذا الاعتقاد ليشمل أئمة الشيعة الاثني عشر ، وليعم طائفة الإمامية كلها، فهذا شيخ الإمامية المعاصر وآيتها العظمى عبد الله الممقاني: يؤكد أن نفي السهو عن الأئمة أصبح من ضرورات المذهب الشيعي(٣) ، وهو لا ينكر أن شيوخهم السابقين كانوا يعدون ذلك غلواً ، لكنه يقول: إن ما يعتبر غلواً في الماضي أصبح اليوم من ضرورات المذهب الشيعي(٤) ، وإذا كانت دعوى عصمة الأئمة تعني مضاهاتهم للرسول؛ فإن نفي السهو عنهم تأليه لهم ، كما أشار إلى ذلك إمام الشيعة الثامن علي الرضا، ولذا قرر ابن بابويه القمي وغيره أن هذا الاعتقاد هو الفيصل بين الغلاة وغيرهم(٥) .

وإذا كان شيخهم المعاصر الممقاني يرى أن نفي السهو عن الأئمة من ضرورات المذهب الشيعي، ومنكر الضروري كافر عندهم ، كما يؤكده شيخهم المعاصر محسن

---

(١) شرح عقائد الصدوق للمفيد ، ص ١٦٠ ، ١٦١ .
(٢) البحار (٢٥/ ٣٥٠) .
(٣) تنقيح المقال (٣/ ٢٤٠) .
(٤) المصدر السابق نفسه ، مسألة التقريب (٢/ ٩٧) .
(٥) مسألة التقريب (٢/ ٩٨) .

الأمين[١] ، فمعنى هذا أن متأخريهم يكفرون متقدميهم، ومتقدميهم يكفرون متأخريهم، وإذا كان الممقاني يرى أن نفي السهو عن الأئمة من ضرورات المذهب الشيعي، وبعضهم ينقل الإجماع على ذلك[٢] فإننا نجد في بعض الكتابات الموجهة لديار السنة[٣] ، القول بأن الاعتقاد بأن الأئمة يسهون هو مذهب جميع الشيعة[٤] ، وهكذا يكفر بعضهم بعضاً ، ويناقض بعضهم بعضاً ، وكلٌّ يزعم أن ما يقوله هو مذهب الشيعة[٥] .

وقد كان معتقد العصمة من أسباب نشوء عقيدة البداء والتقية ـ كما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى ـ وذلك أن واقع الأئمة لا يتفق بحال ودعوى عصمتهم ، فإذا حصل اختلاف وتناقض في أقوالهم قالوا هذا بداء أو تقية كما اعترف بهذا بعض الشيعة[٦] .

إن من أخطر الآثار العلمية لدعوى العصمة اعتبارهم أن ما يصدر عن أئمتهم الاثني عشر هو كقول الله ورسوله ﷺ ، ولذلك فإن مصادرهم في الحديث تنتهي معظم أسانيدها إلى أحد الأئمة ولا تصل إلى رسول الله ﷺ ، والشيعة زعمت لأئمتها عصمة لم تتحقق لأنبياء الله ورسله ، كما يدل على ذلك صريح القرآن والسنة والإجماع[٧] .

١ ـ استدلالهم على عصمة أئمتهم من القرآن الكريم:

رغم أن كتاب الله سبحانه وتعالى ليس فيه ذكر للاثني عشر إماماً أصلاً ـ كما مر ـ فضلاً عن عصمتهم ، إلا أن الاثني عشرية تتعلق بالقرآن لتقرير العصمة ، ويتفق شيوخهم على الاستدلال بقوله سبحانه : ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤] ، وبهذه الآية صدر المجلسي بابه الذي عقده في «بحاره» بشأن العصمة بعنوان : باب . . . لزوم عصمة الإمام[٨] .

وجملة من شيوخ الشيعة المعاصرين يجعلون هذه الآية أصل استدلالهم من القرآن ،

---

(١) كشف الارتياب ، المقدمة الثانية ، ومهذب الأحكام (١/ ٣٨٨ ـ ٣٩٣) .
(٢) صراط الحق (٣/ ١٢١) ؛ مسألة التقريب (٢/ ٩٨) .
(٣) مسألة التقريب (٢/ ٩٨) .
(٤) الشيعة في الميزان ، محمد جواد ، ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣ .
(٥) مسألة التقريب (٢/ ٩٨) .
(٦) المصدر السابق نفسه (١/ ٣٢٩) .
(٧) المصدر السابق نفسه (١/ ٣٢٤) .
(٨) بحار الأنوار (٢٥/ ١٩١) .

ولا يستدلون بسواها مثل محسن الأمين[١]، ومحمد حسين آل كاشف الغطاء، والذي يقول بأن هذه الآية صريحة في لزوم العصمة[٢]، ويتولى صاحب (مجمع البيان) سياق وجهة استدلال أصحابه بهذه الآية على مرادهم؛ فيقول: استدل أصحابنا بهذه الآية على أن الإمام لا يكون إلا معصوماً من القبائح؛ لأن الله ـ سبحانه ـ نص ألاّ ينال عهده ـ الذي هو الإمامة[٣] ـ ظالم، ومن ليس بمعصوم فقد يكون ظالماً إما لنفسه وإما لغيره، فإن قيل: إنما نفى أن ينال ظالم في حالة ظلمه، فإذا تاب فلا يسمى ظالماً؛ فيصح أن يناله، والجواب: أن الظالم وإن تاب فلا يخرج من أن تكون الآية قد تناولته في حال كونه ظالماً، فإذا نفى أن يناله، فقد حكم عليه بأنه لا ينالها، والآية مطلقة غير مقيدة بوقت دون وقت؛ فيجب أن تكون محمولة على الأوقات كلها، فلا ينالها الظالم، وإن تاب فيما بعد[٤].

نقد استدلالهم:

أ ـ اختلف السلف في معنى العهد على أقوال: قال ابن عباس والسدي: إنه النبوة، قال: لا ينال عهدي الظالمون؛ أي: نبوتي، وقال مجاهد: الإمامة، أي: لا أجعل إماماً ظالماً يقتدى به، وقال قتادة وإبراهيم النخعي وعطاء والحسن وعكرمة: لا ينال عهد الله في الآخرة الظالمين؛ فأما في الدنيا فقد ناله الظالم، فأمن به وأكل وعاش..

قال الزجاج: وهذا قول حسن، أي: لا ينال أماني الظالمين، أي: لا أؤمنهم من عذابي، والمراد بالظالم: المشرك.. وقال الربيع بن أنس والضحاك: عهد الله الذي عهد إلى عباده: دينه، يقول: لا ينال دينه الظالمين، ألا ترى أنه قال: ﴿وَبَـٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَـٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ﴾ [الصافات: ١١٣]، يقول: ليس كل ذريتك يا إبراهيم على الحق..

وروي عن ابن عباس ـ أيضاً ـ: لا ينال عهدي الظالمين قال: ليس للظالمين عهد،

---

(١) أعيان الشيعة (١/ ٤٥٨).

(٢) أصل الشيعة، ص ٥٩.

(٣) اختلف السلف في معنى العهد ـ كما سيأتي ـ، ولكن الإمامية يأخذون بما يوافق هواهم ويقطعون به بلا دليل.

(٤) مجمع البيان للطبرسي (١/ ٢٠١)؛ التبيان للطوسي (١/ ٤٤٩).

وإن عاهدته فانقضه[١] ، فالآية كما ترى ، اختلف السلف في تأويلها ؛ فهي ليست في مسألة الإمامة أصلاً في قول أكثرهم ، والذين فسروها بالإمامة قصدوا إمامة العلم والصلاح والاقتداء ، لا الإمامة بمفهوم الإمامية[٢] .

ب ـ لو كانت الآية في الإمامة فهي لا تدل على عصمة بحال؛ إذ لا يمكن أن يقال بأن غير الظالم معصوم لا يخطئ ولا ينسى ولا يسهو . . إلخ ، كما هو مفهوم العصمة عند الإمامية ، إذ يكون قياس مذهبهم : من سها فهو ظالم ، ومن أخطأ فهو ظالم . . . وهذا لا يوافقهم عليه أحد ، ولا يتفق مع أصول الإسلام ، فبين إثبات العصمة ، ونفي الظلم فرق كبير ؛ لأن نفي الظلم إثبات للعدل لا للعصمة الإمامية[٣] .

ج ـ لا يسلم لهم أن من ارتكب ظلماً ثم تاب منه لحقه وصف الظلم ولازمه ، ولا تجدي التوبة في رفعه ، فإن أعظم الظلم الشرك ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام : ٨٢] ، ثم فسر الظلم بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣] ، ومع هذا قال جل شأنه في الكفار : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال : ٣٨] ، لكن قياس قول هؤلاء : أن من أشرك ولو لحظة ، أو ارتكب معصية ولو صغيرة؛ فهو ظالم لا ينفك عنه وصف الظلم ، ومؤدى هذا أن المشرك ولو أسلم فهو مشرك ؛ لأن الظلم هو الشرك[٤] ، فصاروا بهذا أشد من الخوارج الوعيدية؛ لأن الخوارج لا يثبتون الوعيد لصاحب الكبيرة إلا في حالة عدم توبته ، ومن المعلوم في بداهة العقول فضلاً عن الشرع والعرف واللغة أن من كفر أو ظلم ، ثم تاب وأصلح لا يصح أن يطلق عليه أنه كافر أو ظالم . . وإلا جاز أن يقال : صبي لشيخ ، ونائم لمستيقظ ، وغني لفقير ، وجائع لشبعان ، وحي لميت ، وبالعكس[٥] .

ومن المعروف : أنه قد يكون التائب من الظلم ممن لم يقع فيه ، ومن اعتقد أن كل من

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (١/ ٢٥٠) ؛ أصول الشيعة (٢/ ٩٥٣) .

(٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٥٣) .

(٣) المصدر السابق نفسه .

(٤) هم يعنون بالظلم الشرك؛ لأن مرادهم إبطال خلافة أبي بكر وعمر؛ لأنهما قد أسلما بعد شرك ، والشرك لم ينفكّ عنهما بعد إيمانهما في زعمهم ، ولذلك قال الكليني : هذه الآية أبطلت إمامة كل ظالم . أصول الكافي (١/ ١٩٩) .

(٥) روح المعاني للآلوسي (١/ ٣٧٧) .

لم يكفر ولم يقتل ولم يذنب أفضل من كل من آمن بعد كفره واهتدى بعد ضلاله، وتاب بعد ذنوبه، فهو مخالف لما علم بالاضطرار من دين الإسلام، فمن المعلوم أن السابقين أفضل من أولادهم، وهل يشبِّه أبناء المهاجرين والأنصار بآبائهم عاقل؟![(١)] .

كما أن استدلالهم هذا يؤدي إلى أن جميع المسلمين وكذلك الشيعة وأهل البيت ـ إلا من تعتقد الإمامية عصمتهم ـ جميعهم ظلمة لأنهم غير معصومين ، وقد قال شيخهم الطوسي: بأن الظلم اسم ذم ، فلا يجوز أن يطلق إلا على مستحق اللعن؛ لقوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

د ـ ما قرره أحد علماء الشيعة الزيدية في نقض استدلال الإمامية الاثني عشرية بهذه الآية ، حيث قال: احتج الإمامية بالآية على أن الإمامة لا يستحقها من ظلم مرة ، ورام الطعن في إمامة أبي بكر وعمر ، وهذا لا يصح ؛ لأن العهد إن حمل على النبوة فلا حجة ، وإن حمل على الإمامة؛ فمن تاب من الظلم فلا يوصف بأنه ظالم ، ولم يمنعه ـ تعالى ـ من نيل العهد إلا حال كونه ظالماً[(٢)] .

٢ ـ آية التطهير وحديث الكساء:

آية التطهير هي قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] ، وهي كما هو معلوم جزء من قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٢ ـ ٣٣] ، وقد تعمد علماء الشيعة الاثني عشرية اقتطاع آية التطهير من السياق القرآني الذي جاءت فيه ، والذي خاطب الله به نساء النبي ﷺ إغفالاً لنساء النبي ﷺ من الخطاب ، ثم ضموا إلى ذلك حديث الكساء الذي رواه مسلم في «صحيحه» عن أم المؤمنين عائشة[(٣)] ؛ قالت: خرج النبي ﷺ غداةً وعليه مرط[(٤)] مرحل[(٥)] من شعر أسود،

---

(١) منهاج السنة (١/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣).
(٢) الثمرات اليانعة ، يوسف بن أحمد الزيدي ، مخطوطة نقلاً عن أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٥٥).
(٣) عائشة التي يدعون أنها تبغض علي هي التي تروي هذا الفضل لعلي وفاطمة.
(٤) مرط: يعني كساء.
(٥) مرحل: وهو الموشَّى المنقوش عليه صور رحال الإبل.

فجاء الحسن بن علي ، فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء علي فأدخله ، ثم قال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ وحديث أم المؤمنين أم سلمة لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ قالت أم سلمة : وأنا معهم يا نبي الله؟ قال : أنت على مكانك ، وأنت على خير[١] . لتثبيت المعنى الذي يريدونه من الاستدلال بهذه الآية الكريمة[٢] .

ويرى علماء الاثني عشرية : أن في آية التطهير دلالة على عصمة أصحاب الكساء علي وفاطمة والحسن والحسين من الخطايا والذنوب صغيرها وكبيرها ، بل ومن الخطأ والسهو البشري[٣] .

*** نقد استدلالهم من وجوه :**

أ ـ حديث أم سلمة المذكور آنفاً قد ورد بعدة صيغ :

فروي عن أم سلمة : أنها قالت : كان النبي ﷺ عندي وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، فجعلت لهم خزيرة ، فأكلوا وناموا ، وغطى عليهم عباءة أو قطيفة ، ثم قال : «اللهم هؤلاء أهل بيتي ، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» ، وفي رواية أخرى : أنه ﷺ أجلسهم على كساء ، ثم أخذ بأطرافه الأربعة بشماله ، فضمه فوق رؤوسهم ، وأومأ بيده اليمنى إلى ربه ، فقال : «هؤلاء أهل بيتي ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» ، وهاتان الروايتان تتفقان مع رواية مسلم عن السيدة عائشة في دخول الخمسة الآية ، ولكن هذا لا يحتم عدم دخول غيرهم[٤] .

وقد وردت روايات عن أم سلمة فيها زيادات تشير إلى عدم دخولها مع أهل الكساء ، لا يخلو أكثرها من الضعف ، لكن صح منها من جملتها هذه الرواية : لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ في بيت أم سلمة ، فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء ، وعلي خلف ظهره فجلله بكساء ، ثم قال : «اللهم هؤلاء أهل بيتي ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» ،

---

(١) سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، رقم ٣٧٨٨ .
(٢) ثم أبصرت الحقيقة ، ص ١٧٦ .
(٣) المصدر السابق نفسه .
(٤) المصدر السابق نفسه ، ص ١٧٧ .

قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك، وأنت على خير[١].

وهناك رواية هامة جداً رويت بإسناد حسن تشير إلى أن أم سلمة قد دخلت في الكساء بعد خروج أهل الكساء منه[٢]، ولعل التعليل في ذلك أنه لا يصح أن تدخل أم سلمة مع علي بن أبي طالب تحت كساء واحد، فلذلك أدخلها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بعد خروج أهل الكساء منه، فعن شهر قال: سمعت أم سلمة زوج النبي ﷺ حين جاء نعي الحسين بن علي، لعنت أهل العراق، فقالت: قتلوه قتلهم الله، غروه وذلُّوه لعنهم الله، فإني رأيت رسول الله ﷺ جاءته فاطمة غدية ببرمة قد صنعت له فيها عصيدة تحملها في طبق لها، حتى وضعتها بين يديه، فقال لها: «أين ابن عمك؟» قالت: هو في البيت، قال: «اذهبي فادعيه وائتني بابنيه»، قال: فجاءت تقود ابنيها كل واحد منهما بيد، وعلي يمشي في إثرهما، حتى دخلوا على رسول الله ﷺ فأجلسهما في حجره، وجلس علي على يمينه وجلست فاطمة على يساره، قالت أم سلمة: فاجتبذ كساء خيبرياً كان بساطاً لنا على المنامة في المدينة، فلفّه رسول الله ﷺ جميعاً فأخذ بشماله طرفي الكساء، وألوى بيده اليمنى إلى ربه عز وجل، قال: «اللهم أهل بيتي، أذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً، اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، قلت: يا رسول الله! ألست من أهلك؟ قال: «بلى فادخلي في الكساء»، فدخلت في الكساء بعد ما قضى دعاءه لابن عمه علي وابنيه وابنته فاطمة[٣]، فشهد رسول لله ﷺ لأم سلمة أنها من أهل بيته وأدخلها في الكساء بعد دعائه لهم[٤].

ب ـ ومما يدل على أن الآية ليست دالَّة على العصمة والإمامة أن الخطاب في الآيات كله لأزواج النبي ﷺ حيث بدأ بهن وختم بهن:

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَـٰلِحًا

---

(١) فضائل الصحابة (٢/ ٧٢٧)، رقم ١٩٩٤، إسناده فيه ضعف وله طرق تقويه.

(٢) ثم أبصرت الحقيقة، ص ١٧٧.

(٣) فضائل الصحابة (٢/ ٨٥٢)، رقم ١١٧٠، إسناده حسن.

(٤) ثم أبصرت الحقيقة، ص ١٨٧.

نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٨ ـ ٣٤].

فالخطاب كله لأزواج النبي ﷺ ومعهن الأمر والنهي والوعد والوعيد، لكن لما تبين ما في هذا من المنفعة التي تعمهن وتعم غيرهن من أهل البيت، جاء التطهير بضمير المذكر، لأنه إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، حيث تناول أهل البيت كلهم، وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أخص من غيرهم بذلك، لذلك خصهم النبي ﷺ بالدعاء لهم، كما أن زوج الرجل من أهل بيته، وهذا شائع في اللغة كما يقول الرجل لصاحبه: كيف أهلك؟ أي امرأتك ونساؤك، فيقول: هم بخير، وقد قال تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ﴾ [هود: ٧٣] والمخاطب بهذه الآية بالإجماع هي سارة زوجة إبراهيم عليه السلام، وهذا دليل على أن زوجة الرجل من أهل البيت[١].

وقوله تعالى: ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص: ٢٩] والمخاطب هنا أيضاً زوجة موسى عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٤ ـ ٥٥]؛ فمن أهله الذين كان يأمرهم بالصلاة؟ وهذا كقوله تعالى مخاطباً النبي ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ﴾ [طه: ١٣٢]، ولا شك في دخول زوجاته أو خديجة رضي الله عنها على أقل تقدير في الأهل، باعتبار أن السورة مكية[٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٥]، فالمخاطب هنا عزيز مصر،

---

(١) الإمامة والنص، فيصل نور، ص ٣٨٦.
(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٣٩١.

وقولها: ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً؟ أي: زوجتك، وهذا بيّن[(١)].

ج ـ إذهاب الرجس لا يعني في اللغة العربية ولا في لغة القرآن معنى العصمة:

يقول الراغب الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن؛ مادة (رجس): الرجس الشيء القذر، قال: رجل رجسي، ورجال أرجاس، قال تعالى: ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة: ٩٠].. والرجس من جهة الشرع: الخمر والميسر.. وجعل الكافرين رجساً من حيث إن الشرك بالعقل أقبح الأشياء، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٠٠]، قيل الرجس: النتن، وقيل: العذاب، وذلك كقوله: إنما المشركون نجس، وقال: أو لحم خنزير فإنه رجس؛ وبالجملة: لفظ الرجس أصله القذر، يطلق ويراد به الشرك، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]، ويطلق ويراد به الخبائث المحرمة كالمطعومات والمشروبات، ونحو قوله: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا﴾ [الأنعام: ١٤٥]، وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة: ٩٠]، ولم يثبت أن استخدام القرآن لفظ الرجس بمعنى مطلق الذنب بحيث يكون في إذهاب الرجس عن أحد إثبات لعصمته[(٢)].

د ـ التطهير من الرجس لا يعني إثبات العصمة لأحد:

فكما أن كلمة الرجس لا يراد بها ذنوب الإنسان وأخطاؤه في الاجتهاد، وإنما يُراد بها القذر والنتن والنجاسات المعنوية والحسية؛ فإن كلمة التطهير لا تعني العصمة، فإن الله عز وجل يريد تطهير كل المؤمنين، وليس أهل البيت فقط، وإن كان أهل البيت هم أولى الناس وأحقهم بالتطهير، فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم عن صحابة رسوله ﷺ: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، وقال عزّ من قائل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فكما أخبر الله عز وجل أنه يريد تطهير أهل البيت؛ أخبر كذلك أنه يريد تطهير المؤمنين، فإن كان في إرادة التطهير

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٣٩٣.

(٢) ثم أبصرت الحقيقة، ص ١٨١.

وقوع للعصمة لحصل هذا للصحابة ، ولعموم المؤمنين الذين نصَّت الآيات على إرادة الله عز وجل تطهيرهم ، وقد قال تعالى عن رواد مسجد قباء من الصحابة: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٨] ، ولم يكن هؤلاء معصومين من الذنوب بالاتفاق ، وقال تعالى عن أهل بدر وهم ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً: ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ [الأنفال: ١١] ، ولم يكن في هذا إثبات لعصمته ، مع أنه لا فرق يذكر في الألفاظ بين قول الله تعالى عن أهل البيت ﴿ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ وبين قوله في أهل بدر: ﴿ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ فالرجز والرجس متقاربان ، ويطهركم في الآيتين واحد ، لكن الهوى هو الذي جعل من الآية الأولى دليلاً على العصمة دون الأخرى ، والعجيب في علماء الإمامية أنهم يتمسكون بالآية ويصرفونها إلى أصحاب الكساء ، ثم يصرفون معناها من إرادة التطهير إلى إثبات عصمة أصحاب الكساء ، ثم يتناسون في الوقت نفسه آيات أخرى نزلت في إرادة الله عز وجل لتطهير الصحابة ، بل هم بالمقابل يقدحون فيهم ، ويقولون بانقلابهم على أعقابهم مع أن الله عز وجل نص على إرادة تطهيرهم بنص الآية[(١)] ، ومن لم يجعل الله نوراً فما له من نور.

هـ ـ الإرادة في الآية إرادة شرعية ، وهي غير الإرادة القدرية:

يعني يحب الله أن يذهب عنكم الرجس ، وقد تحدث علماء أهل السنة عن الإرادتين الشرعية الدينية ، والإرادة القدرية الكونية ، فقالوا:

● **إرادة شرعية دينية:** وهي تتضمن معنى المحبة والرضا ، كقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] ، وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٧ ـ ٢٨].

● **إرادة قدرية كونية خلقية:** وهي التي بمعنى المشيئة الشاملة لجميع الموجودات ، وذلك مثل الإرادة في قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] ، وقوله: ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ﴾ [هود: ٣٤] ؛ فالمعاصي إرادة كونية قدرية ، فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها ، بل يبغضها ويسخطها ، ويكرهها

---

(١) ثم أبصرت الحقيقة ، ص ١٨٢.

وينهى عنها ، هذا قول السلف والأئمة قاطبة ، فيفرقون بين إرادته التي تتضمن محبته ورضاه ، وبين إرادته ومشيئته الكونية القدرية التي لا يلزم منها المحبة والرضا[١] .

ولا شك أن الله عز وجل أذهب الرجس عن فاطمة والحسن والحسين وعلي وزوجات النبي ﷺ، ولكن الإرادة في هذه الآية ، إرادة شرعية، ولذلك جاء في الحديث أن النبي ﷺ لما جلَّلهم بالكساء قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس»[٢] .

و ـ دعاء النبي ﷺ يحسم القضية :

آية التطهير لو كان فيها ما يدل على وقوع التطهير لأهل الكساء لما قام رسول الله ﷺ بتغطيتهم بالكساء والدعاء لهم بقوله: «اللهم إن هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس»[٣] ، بل في هذا دلالة واضحة على أن الآية نزلت في نساء النبي ﷺ، وأن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أراد أن ينال أصحاب الكساء هذا الفضل الرباني من التطهير ، فجمعهم وجللهم بالكساء ودعا لهم فتقبل الله دعاءه لهم[٤] ، فطهَّرهم كما طهَّر الله نساء النبي بنص الآية .

ز ـ من الردود الدالة على عدم دلالة الآية على الإمامة والعصمة :

ومنها: أن ما اختص به أمير المؤمنين علي والحسن والحسين رضي الله عنهم من الآية ـ بزعم القوم ـ ثبت للسيدة فاطمة رضي الله عنها ، وخصائص الإمامة لا تثبت للنساء ، فلو كان هذا دليلاً لكان من يتصف بما في الآية يستحق العصمة والإمامة، وفاطمة رضي الله عنها كذلك وبذات الاعتبار ، فدل على أن الآية لا يراد بها الإمامة ولا العصمة ، ومنها خروج تسعة من الأئمة لعدم شمول الآية لهم ، حيث اختصت الآية بثلاثة منهم[٥] .

٣ ـ أدلتهم من مروياتهم :

إن الاثني عشرية تقيم معتقدها في العصمة وغيرها بما يرويه صاحب «الكافي» ، وإبراهيم القمي ، والمجلسي وأضرابهم من روايات منكرة في متنها ، فضلاً عن إسنادها ، تثبت لهؤلاء الأئمة الاثني عشرية العصمة المزعومة .

---

(١) وسطية أهل السنة بين الفرق ، محمد باعبد الله ، ص ٣٨٧ .
(٢) سنن الترمذي ، كتاب مناقب أهل البيت ، رقم ٣٧٨٧ .
(٣) سنن الترمذي ، كتاب مناقب أهل البيت ، رقم ٣٧٨٧ ، صححه الألباني .
(٤) ثم أبصرت الحقيقة ، ص ١٨٢ .
(٥) الإمامة والنص ، ص ٣٨٧ .

وقد ساق المجلسي في بابه الذي عقده في شأن العصمة ثلاثاً وعشرين رواية من روايات شيوخه كالقمي ، والعياشي والمفيد وغيرهم ، وقد ذكرها بعد استدلاله بآية البقرة ، التي تبين أن استدلالهم فيها باطل .

أما الكُليني في «الكافي» فقد عقد مجموعة من الأبواب في معنى العصمة المزعومة ، ساق فيها أخباراً بسنده عن الأئمة الاثني عشر يدعون فيها أنهم معصومون ، بل وشركاء في النبوة ، بل ويتصفون بصفات الألوهية ، وتجد ذلك في «الكافي» في باب اعتقادهم في أصول الدين أمثلة من ذلك ، وفي باب : أن الأئمة هم أركان الأرض ، وأثبت فيه ثلاث روايات تقول بأن الأئمة الاثني عشر كرسول الله في وجوب الطاعة ، وفي الفضل ، وفي التكاليف ، فعلي جرى له من الطاعة بعد رسول الله ﷺ ما لرسول الله ﷺ[١] .

ثم ما تلبث أن ترفعهم عن مقام رسول الله ﷺ إلى مقام رب العالمين ، حيث تقول : أن علياً قال : أُعطيت خصالاً لم يعطهن أحد قبلي : علمت علم المنايا والبلايا . . فلم يفتني ما سبقني ، ولم يعزب عني ما غاب عني[٢] ، والذي يعلم المنايا والبلايا هو الله سبحانه : ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان : ٣٤] ، والذي لا يعزب شيء ، ولا يفوته شيء هو الخالق ـ جلا وعلا ـ قال تعالى : ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ : ٣] ، ومن تتبع أبواب «الكافي» في هذا المعنى ، يلاحظ بأنها لا تخرج عن دعاوى المتنبئين والملحدين على مدار التاريخ سوى أنهم نسبوا هذه المفتريات إلى جملة أهل البيت الأطهار[٣] .

٤ ـ أدلتهم العقلية على مسألة العصمة:

قالوا : إن الأمة لا بد لها من رئيس معصوم يسدد خطاها ، فلو جاز الخطأ عليه لزم له آخر يسدده ، فيلزم التسلسل ، فحينئذٍ يلزم القول بعصمة الإمام؛ لأن الثقة عندهم بالإمامة لا بالأمة . . وقالوا بأنه هو الحافظ للشرع ، ولا اعتماد على الكتاب والسنة والإجماع بدونه . . إلخ[٤] .

---

(١) أصول الكافي (١/ ١٩٨) .

(٢) المصدر السابق نفسه (١/ ١٩٧) .

(٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٥٨) .

(٤) كشف المراد لابن المطهر ، ص ٣٩٠ ـ ٣٩١؛ نهج المسترشدين ، ص ٦٣ ؛ الشيعة في عقائدهم ، ص ٣٦٨ ـ ٣٦٩ .

والحقيقة غير هذا تماماً ، فالأمة معصومة بكتاب ربها وسنة نبيها ﷺ ، ولا تجتمع الأمة على ضلالة، وعصمة الأمة مغنية عن عصمة الإمام ، وهذا مما ذكره العلماء في حكمة عصمة الأمة قالوا : لأن من كان من الأمم قبلنا كانوا إذا بدلوا دينهم بعث الله نبياً يبين الحق ، وهذه الأمة لا نبي بعد نبيها ، فكانت عصمتها تقوم مقام النبوة ، فلا يمكن أحد منهم أن يبدل شيئاً من الدين إلا أقام الله من يبين خطأه فيما بدله ، ولذلك فإن الله سبحانه قرن سبيل المؤمنين بطاعة رسوله في قوله عز وجل : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء : ١١٥] ؛ فعصمة الأمة وحفظها من الضلال ـ كما جاءت بذلك النصوص الشرعية ـ تخالف تماماً من : يوجب عصمة واحد من المسلمين ، ويجوز على مجموع المسلمين ـ إذا لم يكن فيهم معصوم ـ الخطأ[١] ، وكل ما سطروه وملؤوا به الصفحات من أدلة عقلية تؤكد الحاجة إلى معصوم قد تحققت بالرسول ﷺ ، ولذلك فإن الأمة ترد عند التنازع إلى ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة ، ولا ترد إلى الإمام : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ قال العلماء : إلى كتاب الله ، وإلى نبيه ﷺ ، فإن قبض فإلى سنته[٢] ، وهي بهدي الكتاب والسنة لا تجتمع على ضلالة؛ لأنها لن تخلو من متمسك بهما إلى أن تقوم الساعة ، ولهذا فإن الحجة على الأمة قامت بالرسل ، قال تعالى : ﴿ ۞إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء : ١٦٣] إلى قوله : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾ [النساء : ١٦٥] ولم يقل ـ سبحانه ـ: والأئمة؛ وهذا يبطل قول من أحوج الخلق إلى غير الرسول كالأئمة[٣] .

كما أن دعوى العصمة عندهم ليس عليها دليل إلا زعمهم بأن الله لم يُخلِ العالم من أئمة معصومين ، لما في ذلك من المصلحة واللطف ، ومن المعلوم المتيقن أن هذا المنتظر الغائب المفقود لم يحصل به شيء من المصلحة واللطف ، وكذلك أجداده المتقدمون لم يحصل بهم المصلحة واللطف الحاصلة من إمام معصوم ذي سلطان ، كما كان النبي ﷺ بعد الهجرة، فإنه كان إمام المؤمنين الذي يجب عليهم طاعته، ويحصل بذلك سعادتهم، ولم يحصل بعده أحد له سلطان تدعى له العصمة إلا علي ـ رضي الله عنه ـ .

---

(١) المنتقى ، ص ٤١٠ ؛ أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٥٨ ، ٩٥٩).

(٢) التمهيد لابن عبد البر (٤/ ٢٦٤).

(٣) الفتاوى (١٩/ ٦٦).

ومن المعلوم: أن المصلحة واللطف الذي كان المؤمنون فيها زمن الخلفاء الثلاثة أعظم من المصلحة واللطف الذي كان في خلافة علي زمن القتل والفتنة والافتراق[١].

أما مَنْ دون علي فإنما كان يحصل للناس من علمه ودينه مثل ما يحصل من نظرائه، وكان علي بن الحسين وابنه محمد، وابنه جعفر بن محمد يعلمون الناس ما علمهم الله كما علمه علماء زمانهم، وكان في زمانهم من هو أعلم منهم وأنفع للأمة، وهذا معروف عند أهل العلم، ولو قدر أنهم كانوا أعلم وأدين فلم يحصل من أهل العلم والدين ما يحصل من ذوي الولاية من القوة والسلطان، وإلزام الناس بالحق ومنعهم باليد عن الباطل.

وأما من بعد الثلاثة كالعسكريين فهؤلاء لم يظهر عليهم علم تستفيده الأمة، ولا كان لهم يد تستعين بها الأمة، بل كانوا كأمثالهم من الهاشميين لهم حرمة ومكانة، وفيهم من معرفة ما يحتاجون إليه في الإسلام والدين ما في أمثالهم، وهو ما يعرفه كثير من عوام المسلمين.. ولذلك لم يأخذ عنهم أهل العلم كما أخذوا عن أولئك الثلاثة[٢].

٥ ـ نقد عام لمبدأ عصمة الأئمة:

دعوى العصمة للأئمة تضاهي المشاركة في النبوة، فإن المعصوم يجب اتباعه في كل ما يقول، ولا يجوز أن يخالف في شيء، وهذه خاصة الأنبياء، ولهذا أمرنا أن نؤمن بما أنزل إليهم؛ فقال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، فأمرنا أن نقول: آمنا بما أوتي النبيون.

فالإيمان بما جاء به النبيون مما أمرنا أن نقوله ونؤمن به، وهذا ما اتفق عليه المسلمون.. فمن جعل بعد الرسول معصوماً يجب الإيمان بكل ما يقوله فقد أعطاه معنى النبوة، وإن لم يعطه لفظها[٣]، وهذا مخالف لدين الإسلام، للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها.

ـ أما القرآن فقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]؛ فلم يأمرنا بالردِّ عند التنازع إلا إلى الله والرسول، ولو كان للناس

---

(١) منهاج السنة (٢/ ١٠٤).

(٢) منهاج السنة (٣/ ٢٤٨).

(٣) المصدر السابق نفسه (٣/ ١٧٤).

معصوم غير الرسول ﷺ لأمرهم بالرد إليه؛ فدلَّ القرآن أن لا معصوم إلا الرسول ﷺ[١].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، وقال: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]؛ فدل القرآن ـ في غير موضع ـ على أن من أطاع الرسول كان من أهل السعادة، ولم يشترط في ذلك طاعة معصوم آخر، ومن عصى الرسول كان من أهل الوعيد، وإن قدر أنه أطاع من ظن أنه معصوم. وقد اتفق أهل العلم على أن كل شخص ـ سوى الرسول ﷺ ـ فإنه يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ؛ فإنه يجب تصديقه في كل ما أخبر، واتباعه فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع، فإنه المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى[٢].

ـ والسنـة المطهرة دلَّت على ذلك، ولكنهم لا يرجعون إلا إلى أقوال أئمتهـم، وإليك ما ينقد مذهبهم مما ثبت عندهم من أقوال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فقد جاء في «نهج البلاغة» الذي تعتمده الشيعة، ما يهدم كل ما بنوه من دعاوى في عصمة الأئمة؛ حيث قال أمير المؤمنين ـ كما يروي صاحب النهج ـ: لا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استثقالاً في حق قيل لي، ولا التماس إعظام النفس، فإنه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه، كان العمل بهما أثقل عليه، فلا تكفّوا عن مقالة بحق، أو مشورة بعدل، فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ، ولا آمن ذلك من فعلي[٣].

فهو هنا لم يدّعِ ما تزعم الشيعة فيه من أنه لا يخطئ، بل أكد أنه لا يأمن على نفسه من الخطأ، كما لم يعلِن استغناءه عن مشورة الرعية، بل طلب منهم المشورة بالحق والعدل؛ لأن الأمة لا تجتمع على ضلالة، كل فرد لوحده معرض للضلالة، فعلم أن دعوى العصمة من مقالات من غلاة الشيعة[٤].

وجاء في «نهج البلاغة» ـ أيضاً ـ: لا بد للناس من أمير بر أو فاجر يعمل في إمرته المؤمن، ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدو، وتأمن به السبل، ويؤخذ به للضعيف من

---

(١) منهاج السنة (٢/ ١٠٥).

(٢) المصدر السابق نفسه (٣/ ١٧٥).

(٣) نهج البلاغة، ص ٣٣٥.

(٤) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٦٤).

القوي[١]، فأنت ترى أنه لم يشترط العصمة في الأمير، ولم يشر لها من قريب أو بعيد، بل رأى أنه لا بد من نصب أمير تناط به مصالح العباد والبلاد، ولم يقل إنه لا يلي أمر الناس إلا إمام معصوم، وكل راية تقوم غير راية المعصوم فهي راية جاهلية ـ كما تقول كتب الإمامية ـ، ولم يحصر الإمارة في الإثني عشر المعصومين عند الإمامية، ويكفر من تولاها من خلفاء المسلمين كما تذهب إليه الإمامية، بل رأى ضرورة قيام الإمام ولو كان فاجراً، وجعل إمارته شرعية بدليل: أنه أجاز الجهاد في ظل إمارة الفاجر، فأين هذا مما تقره الإمامية الاثني عشرية بمنع الجهاد حتى يخرج المنتظر[٢]... لأن الإمامة الشرعية محصورة في الأئمة الاثني عشر؟!

وكان الأئمة يعترفون بالذنوب ويستغفرون الله منها، فأمير المؤمنين علي رضي الله عنه في دعائه في «نهج البلاغة»: اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني، فإن عدت فعد علي بالمغفرة، اللهم اغفر لي ما وأيت[٣] من نفسي، ولم تجد له وفاء عندي، اللهم اغفر لي ما تقربت به إليك بلساني ثم خالفه قلبي، اللهم اغفر لي رمزات الألحاظ، وسقطات الألفاظ وشهوات الجنان، وهفوات اللسان[٤].

فأنت ترى الإقرار بالذنب، وبالعودة إليه بعد التوبة، والاعتراف بسقطات الألفاظ وشهوات الجنان، ومخالفة القلب للسان.. كل ذلك ينفي ما تدعيه الإمامية من العصمة، إذ لو كان علي والأئمة معصومين لكان استغفارهم من ذنوبهم عبثاً، وكل أئمتهم قد نقلت عنهم كتب الشيعة الاستغفار إلى الله سبحانه من الذنوب والمعاصي، ولو كانوا معصومين لما كانت لهم ذنوب[٥]، ولقد احتار شيوخ الإمامية في توجيه مثل هذه الأدعية والتي تتنافى ومقرراتهم في العصمة[٦].

وهناك أمر آخر يبطل دعوى العصمة ومن كتب الإمامية نفسها؛ ذلك هو الاختلاف والتناقض حيال بعض المواقف والمسائل، وأعمال المعصومين لا تتناقض

(١) نهج البلاغة، ص ٨٢.
(٢) فصل الغيبة والمهدية، ص ٨٢٤.
(٣) وأيت: وعدت.
(٤) نهج البلاغة، ص ١٠٤.
(٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٦٥).
(٦) المصدر السابق نفسه (٢/ ٩٦٦).

ولا تختلف ، بل يصدق بعضها بعضاً ، ويشهد بعضها لبعض ، والاختلاف ناقض للعصمة التي هي شرط للإمامة عندهم ، وهو ناقض بالتالي لأصل الإمامة نفسها ، ولذلك فإن ظاهرة الاختلاف في أعمال الأئمة كانت سبباً مباشراً لخروج بعض الشيعة الإمامية من نطاق التشيع ؛ حيث رابهم أمر هذا التناقض ، ومن أمثلة ذلك ما ذكره القمي والنوبختي من أنه بعد قتل الحسين رضي الله عنه ، حارت فرقة من أصحابه وقالت: قد اختلف علينا فعل الحسن وفعل الحسين رضي الله عنهما ، لأنه إن كان الذي فعله الحسن حقاً واجباً صواباً من موادعته معاوية ، وتسليمه له عند عجزه عن القيام بمحاربته مع كثرة أنصار الحسن وقوتهم ، فما فعله الحسين من محاربته يزيد بن معاوية مع قلة أنصار الحسين وضعفهم ، وكثرة أصحاب يزيد حتى قتل وقتل أصحابه جميعاً باطل غير واجب ؛ لأن الحسين كان أعذر في القعود من محاربة يزيد وطلب الصلح والموادعة من الحسن في القعود عن محاربة معاوية ، وإن كان ما فعله الحسين حقاً واجباً صواباً من مجاهدته يزيد حتى قتل ولده وأصحابه ، فقعود الحسن وتركه مجاهدة معاوية وقتاله ومعه العدد الكثير باطل ، فشكوا في إمامتهما ورجعوا فدخلوا في مقالة العوام[١] .

وأما الأمثلة على الاختلاف والتناقض في أقوال الأئمة فهو باب واسع ، وكان هو الآخر من أسباب انصراف بعض الشيعة من التشيع، وقد شهد بذلك شيخ الطائفة الطوسي، وقال بأن أخبارهم متناقضة متباينة حتى لا يوجد خبر إلا بإزائه ما يضاده ، ولا رواية إلا ويوجد ما يخالفها ، وعد ذلك من أعظم الطعون على المذهب الشيعي، ومن أسباب مفارقة بعض الشيعة الإمامية للمذهب .

وكتابا «التهذيب» و«الاستبصار» ـ وهما المصدران المعتمدان من المصادر الأربعة عند الإمامية ـ يشهدان بهذا التناقض والاختلاف عبر رواياتهما الكثيرة ، وقد حاول الطوسي درء هذا الاختلاف ومعالجة هذا التناقض بحمله على التقية ؛ فما أفلح إذ زاد الطين بلة ، علماً بأن الطوسي هو الذي كان يوجه الروايات فيقول: هذا الحديث تقية ، وهذه الرواية ليست بتقية ، وعليها العمل ، والمتفق عليه أن الطوسي نفسه ليس بمعصوم ، وبالضرورة سوف يخطئ في توجيه بعض هذه الروايات ، فيجعل ما ليس بتقية تقية ، والإمامية يتبعونه في توجيه هذا ، وبالتالي يتضح أن الإمامية يتبعون في تدينهم أمثال الطوسي ، ولا يتبعون المعصوم في دينهم ، وقد أوجد الإمامية عقيدة التقية والبداء

(١) المقالات والفرق للقمي ، ص ٢٥ ؛ فرق الشيعة للنوبختي ، ص ٢٥ ، ٢٦ .

ـ وسيأتي بيانهما بإذن الله ـ لتغطية هذا الاختلاف في أخبار الأئمة وأعمالهم . . فاكتشف بعض الإمامية هذه المحاولة ، وعرف سبب وضع هاتين العقيدتين ، فترك التشيع وقال : إن أئمة الإمامية وضعوا لشيعتهم مقالتين لا يظهرون معهما من أئمتهم على كذب أبداً ، وهما القول بالبداء وإجازة التقية .

● **وهناك أمر آخر يبطل دعوى العصمة** ؛ وهو أن المعصوم الذي يدّعون اتباعه لم يعصمهم من الخلاف في أصل الدين عندهم وأساسه وهو الإمامة ، فتجدهم مختلفين متنابذين متلاعنين يكفر بعضهم بعضاً لاختلافهم في عدد الأئمة ، وفي تحديد أعيانهم ، وفي الوقف وانتظار عودة الإمام ، أو المضي إلى إمام آخر . . .

هذا عدا الروايات المختلفة المتناقضة في الكثير من أمور الدين ـ أصوله وفروعه ـ ، فما منعت العصمة المزعومة أهل الطائفة من الاختلاف . . وعدم وجود أثرها يدل على انعدام أصلها ، وقد يقال بأن اعتقادهم في عصمة الأئمة أمر لا يؤثر اليوم ، لأن الأئمة قد انتهى وجودهم الفعلي منذ عام ٢٦٠ هـ ، ولم يبق إلا الانتظار للغائب الموعود ، إلا أن هذه العقيدة لها آثارها اليوم في واقع الشيعة الإمامية الاثني عشرية ، ويتمثل في جوانب منها :

١ ـ عملهم بما يؤثر عن الأئمة الإثني عشر كما يعمل سائر المسلمين بالقرآن والسنة .

٢ ـ غلوهم في قبورهم وأضرحتهم؛ فالغلو في عصمتهم إلى حد وصفهم بصفات الألوهية تحوَّل إلى غلوٍّ في قبورهم ومشاهدهم ، فيطاف بها وتدعى من دون الله .

٣ ـ أن المجتهد الشيعي أصبح له شيء من هذه الصفة ، فهم يرون الراد عليه كالراد على الله ، وهو كحد الشرك بالله ، وهذه من الخطورة بمكان .

٤ ـ حَمْل هذا الاعتقاد الفاسد والدينونة به[1] الذي ليس له علاقة بأمير المؤمنين علي وأولاده وأحفاده الأطهار رضي الله عنهم .

* * *

---

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٦٩ ـ ٩٧٣) .





النص من شروط الإمامة عند الإمامية الاثني عشرية

يعتقد الشيعة الإمامية الاثني عشرية: أن الإمامة كالنبوة لا تكون إلا بالنص من الله عز وجل على لسان رسوله ﷺ، وأنها مثلها لطف من الله عز وجل، ولا يجب أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة منصوب من الله تعالى، وليس للبشر حق اختيار الإمام وتعيينه، بل وليس للإمام نفسه حق تعيين من يأتي بعده، وقد وضعوا على لسان أئمتهم عشرات الروايات في ذلك، منها ما نسبوه إلى الإمام محمد الباقر رحمه الله: أنه قال: أترون أن هذا الأمر إلينا نجعله حيث نشاء؟ لا والله، ما هو إلا عهد من رسول الله؛ رجل فرجل، مسمى حتى تنتهي إلى صاحبها[1].

ويعتقد الشيعة الإثنا عشرية: أن الرسول ﷺ قد نص على الأئمة من بعده، وعيَّنهم بأسمائهم، وهم اثنا عشر إماماً لا ينقصون ولا يزيدون وهم:

١ ـ علي بن أبي طالب رضي الله عنه: المرتضى، ت ٤٠ هـ.

٢ ـ الحسن بن علي رضي الله عنه: الزكي، ت ٥٠ هـ.

٣ ـ الحسين بن علي رضي الله عنه: سيد الشهداء، ت ٦١ هـ.

٤ ـ علي بن الحسين: زين العابدين، ت ٩٥ هـ.

٥ ـ محمد بن علي: الباقر، ت ١١٤ هـ.

٦ ـ جعفر بن محمد: الصادق، ت ١٤٨ هـ.

٧ ـ موسى بن جعفر: الكاظم، ت ١٨٣ هـ.

٨ ـ علي بن موسى: الرضا، ت ٢٠٣ هـ.

---

(١) الإمامة والنص، فيصل نور، ص ٨.

٩ ـ محمد بن علي : الجواد ، ت ٢٢٠ هـ .

١٠ ـ علي بن محمد : الهادي ، ت ٢٥٤ هـ .

١١ ـ الحسن بن علي : العسكري ، ت ٢٦٠ هـ .

١٢ ـ محمد بن الحسن : المهدي ، ت ٢٥٦ هـ .

كان ابن سبأ ينتهي بأمر الوصية عند علي رضي الله عنه ، ولكن جاء فيمن بعد من عممها في مجموعة من أولاده .

وكانت الخلايا الشيعية تعمل بصمت وسرية ، ومع ذلك فقد تصل بعض هذه الدعاوى إلى بعض أهل البيت ، فينفون ذلك نفياً قاطعاً ، كما فعل جدهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، ولذلك اخترع أولئك الكذابون على أهل البيت عقيدة التقية حتى يسهل نشر أفكارهم ، وهم في مأمن من تأثر الأتباع بمواقف أهل البيت الصادقة والمعلنة للناس[١] .

إن من أخطر الأمور التي ابتدعها الشيعة الوصية ؛ وهي أن رسول الله ﷺ أوصى بالخلافة بعد وفاته مباشرة إلى علي رضي الله عنه ، وأن من سبقه مغتصبين لحقه كما جاء في كتابهم «الكافي» : من مات ولم يعرف إمامه مات ميتة جاهلية .

وكان رسول الله ﷺ وكان علياً عليه السلام[٢] ، ولكن بالاستقراء التاريخي لتاريخ الخلفاء الراشدين ، لا نجد للوصية ذكراً في خلافة أبي بكر ولا في خلافة عمر رضي الله عنهما ، وإنما نجد بداية ظهورها في السنوات الأخيرة من خلافة عثمان رضي الله عنه ، عند بزوغ قرن الفتنة ، وقد استنكر الصحابة هذا القول؛ عندما وصل إلى أسماعهم ، وبينوا كذبه ، ومن أشهر هؤلاء علي بن أبي طالب ، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما .

ثم نرى هذا القول يتبلور في فكرة موجهة ، وعقيدة تدعو إلى الإيمان بها والدعوة إليها ، وذلك في خلافة علي رضي الله عنه ، وهذه الوصية التي تدعيها الإمامية قد أثبت علماؤهم أنها من وضع عبد الله بن سبأ كما ذكر ذلك النوبختي والكشي ، ـ وقد مر ذلك معنا ـ ويكفي في الرد على زعمهم ما ورد بالنقل الصحيح عن عدد من الصحابة ـ رضي

---

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٠) .

(٢) أصول الكافي (٢/ ١٦ ـ ١٧) .

الله عنهم ـ ، ومنهم علي رضي الله عنه نفسه ، والأدلة كثيرة منها :

١ ـ ذكر عند عائشة: أن النبي ﷺ أوصى إلى علي:

فقالت : من قاله؟! لقد رأيت النبي ﷺ وإني لمسندته إلى صدري، فدعا بالطست، فانخنث، فمات، فما شعرت، فكيف أوصى إلى علي[١] .

وتصريح عائشة رضي الله عنها : أن النبي ﷺ لم يوص لعلي من أعظم الأدلة على عدم الوصية ، فإن النبي ﷺ توفي في حجرها ، ولو كانت هناك وصية لكانت هي أدرى الناس بها[٢] .

٢ ـ وعن ابن عباس قال: إن عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه: قال الناس: يا أبا الحسن ، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال:

أصبح بحمد الله بارئاً ، فأخذ بيده العباس بن عبد المطلب ، فقال له : أنت والله بعد ثلاث عبد العصا ، وإني والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى في وجعه هذا ، وإني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسول الله ، فلنسأله فيمن هذا الأمر؟ ، إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمنا فأوصى بنا ، فقال علي : إنا والله لئن سألناها رسول الله فمنعناها، لا يعطيناها الناس من بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ[٣] .

وفي قوله رضي الله عنه شهادة للصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ على مدى التزامهم بتنفيذ أمر رسول الله ﷺ ، فلو كانت هناك وصية لما تخلف أحد عنه ، ولما عبرت الأنصار رأيها ـ في السقيفة ـ بحرية وشجاعة وصدق : منا أمير ومنكم أمير[٤] ، ولبايعوا من عهد إليه بالوصية ، أو على الأقل سيذكر بعضهم .

ولو كان هناك نص قبل ذلك لقال علي للعباس : كيف نسأله عن هذا الأمر فيمن يكون وهو قد أوصى لي بالخلافة ، وقد توفي رسول الله ﷺ في نفس اليوم ، فلما لم يوجد شيء من ذلك تبين أنّ ما يدعى من النص دعوى لا أساس لها من الصحة ، وكل ما أوردوه في ذلك من

(١) البخاري ، رقم ١٤٧١ ، كتاب الوصايا .

(٢) بذل المجهود (١/ ١٩٠) .

(٣) البخاري ، كتاب المغازي ، رقم ٤٤٤٧ .

(٤) البخاري ، كتاب الحدود ، رقم ٦٨٣٠ .

التنصيص على علي مردود ، لمخالفته هذا النص الصريح من علي رضي الله عنه ؛ لأن كل أدلتهم السمعية إما أنها لا تدل على المدعى ، وإما نصوص تدل على ذلك ولكنها موضوعة[١] .

٣ ـ سئل علي رضي الله عنه: أخصَّكم رسول الله ﷺ بشيء؟ فقال:

ما خصنا رسول الله بشيء لم يعمّ به الناس كافة ، إلا ما كان في قراب سيفي هذا ، قال : فأخرج صحيفة مكتوب فيها : «لعن الله من ذبح لغير الله ، ولعن الله من سرق منار الأرض ، ولعن الله من لعن والده ، ولعن الله من آوى محدثاً»[٢] . قال ابن كثير : وهذا الحديث الثابت في «الصحيحين» وغيرهما عن علي رضي الله عنه يرد على فرقة الرافضة من زعمهم أن رسول الله أوصى إليه بالخلافة ، ولو كان الأمر كما زعموا لما رد ذلك أحد من الصحابة ، فإنهم كانوا أطوع لله ورسوله في حياته ، وبعد وفاته من أن يفتئتوا عليه ، فيقدموا غير من قدمه ، ويؤخروا من قدمه بنصه ، حاشا وكلا! ومن ظن بالصحابة رضوان الله عليهم ذلك فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواطؤ على معاندة الرسول ﷺ ، ومضادتهم من حكمه ونصه ، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربقة الإسلام ، وكفر بإجماع الأئمة الأعلام[٣] ، قال النووي : فيه إبطال ما تزعمه الرافضة والشيعة والإمامية بالوصية لعلي وغير ذلك من اختراعاتهم[٤] .

٤ ـ وعن عمرو بن سفيان قال: لما ظهر علي يوم الجمل قال:

أيها الناس إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا من هذه الإمارة شيئاً ، حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر ، فأقام واستقام حتى مضى لسبيله[٥] .

٥ ـ روى أبو بكر البيهقي بإسناده إلى شقيق بن سلمة ، قال:

قيل لعلي بن أبي طالب : ألا تستخلف علينا؟ فقال : ما استخلف رسول الله ﷺ ، فأستخلف ، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرهم ، كما جمعهم

---

(١) الإمامة والرد على الرافضة ، تحقيق : علي ناصر فقيهي ، ص ٢٣٨ .

(٢) مسلم (٣/ ١٥٦٧) ، رقم ١٩٧٨ .

(٣) البداية والنهاية (٥/ ٢٢١) .

(٤) شرح صحيح مسلم (١٣/ ١٥١) .

(٥) الاعتقاد ، ص ١٨٤ ، وقال البيهقي في دلائل النبوة : سنده حسن .

بعد نبيهم على خيرهم[١] ، فهذا دليل واضح من أن دعوى النص عليه رضي الله عنه إنما هو من اختلاق الغلاة الذين ملئت قلوبهم بالبغض والحقد لأصحاب رسول الله ﷺ بما فيهم علي وأهل بيته ، وإنما يدعون حبهم تستراً ليتسنى لهم الكيد للإسلام وأهله[٢] .

بهذه النصوص القطعية يتضح بجلاء أن لا أصل للوصية المزعومة وأن ما اعتمد عليه الغلاة هو من وضع عبد الله بن سبأ ، الذي هو أول من أحدث الوصية ، ثم وضعت بعد ذلك أسانيد وركِّبت متون نسبوها زوراً وبهتاناً إلى النبي ﷺ ، وهدفهم من ذلك الطعن في الصحابة رضوان الله عليهم ، بمخالفتهم أمر الرسول ﷺ وإجماعهم على ذلك ، ومن ثَمّ الطعن ورد ما نقلوه إلى أجيال المسلمين من قرآن وحديث[٣] .

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في رده على الحلي : وأما النص على علي رضي الله عنه ؛ فليس في شيء من كتب أهل الحديث المعتمدة ، وأجمع أهل الحديث على بطلانه ، حتى قال أبو محمد بن حزم : ما وجدنا قط رواية عند أحد في هذا النص المدعى إلا رواية إلى مجهول يكنىٰ أبا الحمراء لا نعرف من هو في الخلق[٤] .

وقال في موضع آخر : فعلم أن ما تدعيه الإمامية من النص هو مما لم يسمعه أحد من أهل العلم بأقوال رسول الله ﷺ قديماً ولا حديثاً ، ولهذا كان أهل العلم بالحديث يعلمون بالضرورة كذب هذا النقل ، كما يعلمون كذب غيره من المنقولات[٥] .

وقد جاء من الغلاة فيما بعد من أحيا نظرية ابن سبأ في أمير المؤمنين علي ، ثم عمَّموها على آخرين من سلالة علي والحسين في إثارة مشاعر الناس وعواطفهم، والدخول إلى قلوبهم ، لتحقيق أغراضهم ضد الدولة الإسلامية في ظل هذا الستار ، وأول من بدأ يشيع القول بأن الإمامة محصورة بأناس مخصوصين في آل البيت ، شيطان الطاق الذي تلقبه الإمامية مؤمن الطاق[٦] ، وأنه حينما علم بذلك زيد بن علي بعث إليه ليقف على حقيقة الإشاعة ، فقال له زيد : بلغني أنك تزعم أن في آل محمد إماماً مفترض

---

(١) الاعتقاد ، ص ١٨٤ ، إسناده جيد .
(٢) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٦٢٠) .
(٣) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ٦٥ .
(٤) المنهاج (٨/ ٣٦٢) ؛ الفصل (٤/ ١٦١) .
(٥) المنهاج (٧/ ٥٠) .
(٦) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٠) .

الطاعة؟ قال شيطان الطاق: نعم ، وكان أبوك علي بن الحسين أحدهم ، فقال: وكيف وقد كان يؤتى بلقمة وهي حارة فيبردها بيده ثم يلقمنيها ، أفترى أنه كان يشفق علي من حر اللقمة ، ولا يشفق علي من حر النار؟! قال شيطان الطاق: قلت له: كره أن يخبرك فتكفر ، فلا يكون له فيك الشفاعة[(١)] .

وهذه القصة المروية في أوثق كتب الرجال عندهم تبين أن هذه النظرية كانت سرية التداول ، لدرجة أنها خفيت على إمام من أئمة أهل البيت وهو الإمام زيد .

وقد بين محب الدين الخطيب: أن شيطان الطاق هو أول من اخترع هذه العقيدة الضالة ، وحصر الإمامة والتشريع ، وادعى العصمة لأناس مخصوصين من آل البيت[(٢)] ، وقد شارك شيطان الطاق رجل آخر هو هشام بن الحكم المتوفى ١٧٩ هـ[(٣)] .

ويبدو أن عقيدة حصر الإمامة بأناس معينين سرت في الكوفة[(٤)] ، بسعي مجموعة من أتباع هشام وشيطان الطاق ، ففكرة حصر الأئمة بعدد معين قد وضع جذورها في القرن الثاني زمرة ممن يدعي الصلة بأهل البيت ؛ أمثال شيطان الطاق وهشام بن الحكم[(٥)] .

ولقد اختلفت اتجاهات الشيعة وتباينت مذاهبهم في عدد الأئمة ؛ قال في مختصر التحفة: اعلم أن الإمامية قائلون بانحصار الأئمة ، ولكنهم مختلفون في مقدارهم ، فقال بعضهم: خمسة ، وبعضهم: سبعة ، وبعضهم: ثمانية ، وبعضهم: اثنا عشر ، وبعضهم ثلاثة عشر[(٦)] .

وكتب الشيعة نقلت صورة هذا التباين والتناقض سواء كانت من كتب الإسماعيلية بمسائل الإمامة للناشئ الأكبر ، أو الزينة لأبي حاتم الرازي ، أو من كتب الإثني عشرية ؛ مثل : المقالات والفرق للأشعري القمي ، وفرق الشيعة للنوبختي ، وقضية الإمامة عندهم ليست بالأمر الفرعي الذي يكون فيه الخلاف أمراً عادياً ، بل هي أساس الدين وأصله المتين ، ولا دين لمن لم يؤمن بإمامهم ، ولذلك يكفر بعضهم بعضاً ، بل إن أتباع

---

(١) رجال الكشي ، ص ١٨٦ .

(٢) مجلة الفتح ، ص ٥ ؛ العدد ٨٦٢ ، عام ١٣٦٧ هـ.

(٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٣).

(٤) بحار الأنوار (١٠٠/ ٢٥٩) ؛ أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٥).

(٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٦).

(٦) مختصر التحفة ، ص ١٩٣ .

الإمام الواحد يكفر بعضهم بعضاً ، ويلعن بعضهم بعضاً[١] .

أما الإثنا عشرية فقد استقر قولها ـ فيما بعد ـ بحصر الإمامة في اثني عشر إماماً ، ولم يكن في العترة النبوية بني هاشم على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم من يقول بإمامة الإثني عشر[٢] ، إنما عرف الاعتقاد بإثني عشر إماماً بعد وفاة الحسن العسكري[٣] .

وحصر الأئمة بعدد معين عقيدة فاسدة باطلة ، أمير المؤمنين علي وأولاده وأحفاده براء منها ، في كتب الشيعة المعتمدة في (نهج البلاغة) ، عن علي رضي الله عنه قال: دعوني والتمسوا غيري ، فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان ، لا تقوم له القلوب ، ولا تثبت عليه العقول[٤] ، وإن الآفاق قد أغامت[٥] ، والمحجة[٦]. قد تنكرت ، واعلموا أني إن أجبتكم ركبت لكم ما أعلم ، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب ، وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم ، وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً[٧] .

فلو كانت إمامة علي منصوصاً عليها من الله عز وجل لما جاز لعلي بن أبي طالب تحت أي ظرف من الظروف أن يقول للناس دعوني والتمسوا غيري ، ويقول: «أنا لكم وزيراً خير مني أميراً» كيف والناس تريده وجاءت تبايعه[٨] .

ويقول في (النهج) كلاماً أكثر صراحة وأشد وضوحاً حين يقول ، إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه ، فلم يكن للشاهد أن يختار ، ولا للغائب أن يرد ، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً كان ذلك لله رضاً ، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى

---

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٧) .
(٢) منهاج السنة (٢/ ١١) .
(٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٨) .
(٤) لا تصبر له ولا تطيق احتماله .
(٥) أغامت: غطيت بالغيم .
(٦) المحجة: الطريق المستقيمة .
(٧) نهج البلاغة ، خطبة رقم ٩٢ ، ص ٢٣٦ .
(٨) ثم أبصرت الحقيقة ، ص ١٥٨ .

ما خرج منه ، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى[١] .

وقد أشار أمير المؤمنين بهذه العبارة حقائق جديرة بالاهتمام حيث جعل :

أ ـ الشورى للمهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ وبيدهم الحل والعقد .

ب ـ اتفاقهم على شخص سبب لمرضات الله وعلامة لموافقته سبحانه وتعالى إياهم .

ج ـ لا تنعقد الإمامة في زمانهم دونهم ، وبغير اختيارهم .

د ـ لا يرد قولهم ولا يخرج عن حكمهم إلا المبتدع الباغي المتبع غير سبيل المؤمنين ؛ فأين هم الشيعة الإثني عشرية عن هذه التصريحات الهامة[٢]؟!

إن مسألة النص لا تثبت بأي وجه من الوجوه، ومسألة حصر الأئمة بعدد معين مردودة بالكتاب والسنة ، كما أنه لا يقبلها العقل ومنطق الواقع ، إذ بعد انتهاء العدد المعين؛ هل تظل الأمة بدون إمام؟! ولذلك فإن عصر الأئمة الظاهرين عند الإثني عشرية لا يتعدى قرنين ونصف إلا قليلاً، وقد اضطر الإمامية للخروج عن حصر الأئمة بمسألة نيابة المجتهد عن الإمام، واختلف قولهم في حدود النيابة[٣]، وفي هذا العصر اضطروا للخروج نهائياً عن هذا الأصل الذي هو قاعدة دينهم ، فجعلوا رئاسة الدولة تتم عن طريق الانتخاب ، ولكنهم خرجوا عن حصر العدد إلى حصر النوع ، فقصروا رئاسة الدولة على الفقيه الشيعي[٤] .

● **ما يحتج به الإثنا عشرية في أمر تحديد عدد الأئمة بما جاء في كتب السنة :**

عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يكون اثنا عشر أميراً**». فقال كلمة لم أسمعها ، فقال أبي: إنه قال: كلهم في قريش[٥] .

وفي مسلم عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشرة خليفة». ثم قال كلمة لم أفهمها. فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: «كلهم من قريش»[٦]. وفي لفظ: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة»[٧]. وفي لفظ

---

(١) نهج البلاغة: كتاب إلى معاوية رقم ٦ ، ص ٥٢٦ .
(٢) ثم أبصرت الحقيقة ، ص ١٦١ .
(٣) الحكومة الإسلامية للخميني ، ص ٦٨ ؛ أصول الشيعة (٢/ ٨١٤) .
(٤) الحكومة الإسلامية للخميني ، ص ٢٤٨ ؛ أصول الشيعة (٢/ ٨١٤) .
(٥) البخاري ، كتاب الأحكام ، باب الاستخلاف (٨/ ١٢٧) .
(٦) مسلم ، كتاب الإمارة ، باب الناس (٢/ ١٤٥٣) .
(٧) المصدر السابق نفسه (٢/ ١٤٥٣) .

آخر: «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً»[١] ، وعند أبي داود: «لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة ، كلّهم تجتمع عليهم الأمة»[٢].

وأخرجه أبو داود أيضاً من طريق الأسود بن سعيد عن جابر بنحو ما مضى قال: وزاد: فلما رجع إلى منزله أتته قريش فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: «الهرج»[٣].

يتعلق الاثنا عشرية بهذا النص ، ويحتجون به على أهل السنة ، لا لإيمانهم بما جاء في كتب السنة[٤] ، ولكن للاحتجاج عليهم بما يسلمون به . وبالتأمل في النص بكل حيدة وموضوعية نجد أن هؤلاء الاثني عشر وصفوا بأنهم يتولون الخلافة ، وأن الإسلام في عهدهم يكون في عزة ومنعة ، وأن الناس تجتمع عليهم ، ولا يزال أمر الناس ماضياً وصالحاً في عهدهم ، وكل هذه الأوصاف لا تنطبق على من تدعي الاثنا عشرية فيهم الإمامة ، فلم يتول الخلافة منهم إلا أمير المؤمنين علي والحسن مدة قليلة ، كما لم يقم أمر الأمة في مدة أحد من هؤلاء الاثني عشر ـ في نظر الشيعة أنفسهم ـ بل ما زال أمر الأمة فاسداً . . ويتولى عليهم الظالمون ، بل الكافرون[٥] ، وأن الأئمة أنفسهم كانوا يتسترون في أمور دينهم بالتقية[٦] ، وأن عهد أمير المؤمنين علي وهو على كرسي الخلافة عهد تقية ، كما صرح بذلك شيخهم المفيد[٧] ؛ فلم يستطع أن يظهر القرآن ، ولا أن يحكم بجملة من أحكام الإسلام ، كما صرح بذلك شيخهم الجزائري[٨] ، واضطر إلى ممالأة الصحابة ومجاراتهم على حساب الدين ، كما أقرَّ بذلك شيخهم المرتضى[٩] . . .

فال حديث في جانب ، ومزاعم هؤلاء في جانب آخر ، ثم إنه ليس في الحديث حصر للأئمة بهذا العدد ، بل نبوة منه بأن الإسلام لا يزال عزيزاً في عصر هؤلاء ، وكان عصر

(١) المصدر السابق نفسه (٢/ ١٤٥٢).
(٢) سنن أبي داود ، كتاب المهدي (٤/ ٤٧١).
(٣) سنن أبي داود (٤/ ٤٧٢) ؛ فتح الباري (١٣/ ٢١١).
(٤) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨١٥).
(٥) منهاج السنة (٤/ ٢١٠) ؛ المنتقى ، ص ٥٣٣ .
(٦) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨١٦).
(٧) المصدر السابق نفسه .
(٨) المصدر السابق نفسه .
(٩) المصدر السابق نفسه .

الخلفاء الراشدين وبني أمية عصر عزة ومنعة[(١)].

ولهذا قال ابن تيمية: إن الإسلام وشرائعه في زمن بني أمية أظهر وأوسع مما كان بعدهم، ثم استشهد بحديث: «لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى إثني عشر خليفة كلهم من قريش». ثم قال: وهكذا كان، فكان الخلفاء أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ثم تولى من اجتمع الناس عليه وصار له عز ومنعة: معاوية، وابنه يزيد، ثم عبد الملك، وأولاده الأربعة، وبينهم عمر بن عبد العزيز، وبعد ذلك حصل من النقص ما هو باق إلى الآن. ثم شرح ذلك[(٢)].

ثم إنه قال في الحديث: «كلهم من قريش»[(٣)]، وهذا يعني أنهم لا يختصون بعلي وأولاده: ولو كانوا مختصين بعلي وأولاده لذكر ما يميزون به، ألا ترى أنه لم يقل: كلهم من ولد إسماعيل ولا من العرب؟ فلو امتازوا بكونهم من بني هاشم، أو من قبيل علي لذكروا بذلك، فلما جعلهم من قريش مطلقاً علم أنهم من قريش، بل لا يختصون بقبيلة، بنو تيم وبنو عدي، وبنو عبد شمس، وبنو هاشم، فإن الخلفاء الراشدين كانوا من هذه القبائل[(٤)]، فإذن لم يبق من الأوصاف التي تنطبق على ما يريدون إلا مجرد العدد، والعدد لا يدل على شيء[(٥)].

● **أدلتهم من القرآن على النص:**

إن الشيعة الإمامية لما لم يجدوا ما يستدلون به من الشرع لتقرير عقيدة الإمامة بالنص عمدوا إلى آيات من كتاب الله فيها ثناء ومدح لعباده الصالحين وأوليائه المتقين، فجعلوها خاصة بأمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وأوَّلوها على حسب هذا المعتقد الفاسد، كما اختلقوا أحاديث كثيرة لتأييد هذه البدعة، وذلك لإيقاع جهلة المسلمين ومن قل نصيبه من العلم في ذلك، وما أوردوه في هذا الشأن واضح البطلان، وذلك أن استدلالهم لا يخرج عن أمرين:

أ ـ إما أن يكون فيما استدلوا به دليل على تلك الدعوى، كآية التطهير والمباهلة،

---

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨١٦).
(٢) منهاج السنة (٤/ ٢٠٦).
(٣) مسلم (٢/ ١٤٥٣).
(٤) منهاج السنة (٤/ ٢١١).
(٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨١٨).

وحديث الراية ، وحديث خم ، وغيرها من الأحاديث .

ب ـ أو أن تكون أحاديث موضوعـة ، والموضوع لا تقوم به حجة[١] .

وإليك بعض الأمثلة في استدلالهم بالقرآن :

١ ـ آيـة الولاية :

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥] . ذكروا في تفسير هذه الآية ما يدل على زعمهم بأنها في إمامة علي رضي الله عنه ، قـال شيخ الطائفة ـ كما يلقبونه ـ الطوسي : وأما النص على إمامته من القرآن ، فأقـوى مـا يـدل عليه قوله : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥][٢] . وقال الطبرسي : وهذه الآية من أوضح الدلائل على صحة إمامة علي بعد النبي بلا فصل[٣] ، ويكاد شيوخهم يتفقون على أن هذا أقوى دليل عندهم حيث يجعلون له الصدارة في مقام الاستدلال في مصنفاتهم[٤] .

وأما كيف يستدلون بهذه الآية على مبتغاهم؟ فإنهم يقولون : اتفق المفسرون والمحدثون من العامة والخاصة أنها نزلت في علي ، لما تصدق بخاتمه على المسكين في الصلاة بمحضر من الصحابة ، وهو مذكور في الصحاح الستة[٥] ، و«إنما» للحصر باتفاق أهل اللغة ، والولي بمعنى الأولى بالتصرف المرادف للإمام والخليفة[٦] ، فأنت ترى أنهم يعتمدون في استدلالهم بالآية بما روى في سبب نزولها ، لأنه ليس في نصها ما يدل على مرادهم ، فصار استدلالهم بالرواية لا بالقرآن ، فهل الرواية ثابتة ، وهل وجه استدلالهم سليم؟ .

يتبين هذا بالوجوه التالية :

أ ـ أن زعمهم بأن أهل السنة أجمعوا على أنها نزلت في عليّ هو من أعظم الدعاوي الكاذبة ، بل أجمع أهل العلم بالنقل أنها لم تنزل في علي بخصوصه ، وأن علياً لم

---

(١) منهاج السنة (١/ ٥٩) .
(٢) تلخيص الشافي (٢/ ١٠) ، نقلاً عن أصول مذهب الشيعة الإمامية (٢/ ٨٢٢) .
(٣) مجمع البيان (٢/ ١٢٨) ، نقلاً عن أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١٢٨) .
(٤) عقائد الإمامية الاثني عشرية (١/ ٨١ ـ ٨٢) ؛ أصول مذهب الشيعة (٢/ ٨٢٣) .
(٥) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٨٢٣) .
(٦) عقائد الإمامية الاثني عشرية (١/ ٨١ ـ٨٢) ، نقلاً عن المرجع السابق (٢/ ٨٢٣) .

يتصدَّق بخاتمه في الصلاة ، وأجمع أهل العلم بالحديث على أن القصة المروية في ذلك من الكذب الموضوع[١] .

وقوله: إنها مذكورة في الصحاح الستة[٢] ، كذب ، إذ لا وجود لهذه الرواية في الكتب الستة ، وقد ساق ابن كثير الآثار التي تروى في أن هذه الآية نزلت في علي حين تصدق بخاتمه ، وعقب عليها: وليس يصحُّ شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها ، وجهالة رجالها[٣] ، وقال عبد العزيز الدهلوي: وأما القول بنزولها في حق علي بن أبي طالب ورواية قصة السائل وتصدقه بالخاتم عليه في حالة الركوع ؛ فإنما هو للثعالبي[٤] فقط ، وهو متفرِّد به ولا يعد المحدثون من أهل السنة روايات الثعالبي قدر شعيرة ، ولقبوه بحاطب ليل ، فإنه لا يميز الرطب من اليابس ، وأكثر رواياته عن الكلبي عن أبي صالح ، وهو من أوهى ما يروى في التفسير عندهم[٥] .

وسبب نزول هذه الآية الصحيح هو أنه لما خانت بنو قينقاع الرسول ﷺ ذهبوا إلى عبادة بن الصامت كما أخرج ذلك ابن جرير في تفسيره ، وأرادوه أن يكون معهم فتركهم وعاداهم ، وتولى الله ورسوله ، فأنزل الله قوله جلا وعلا: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، أي: والحال أنهم خاضعون في كل شؤونهم لله تبارك وتعالى ، ولذلك قال الله تبارك وتعالى في أول الآيات ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة: ٥١]، يعني عبد الله بن أبي ابن سلول، لأنه كان موالياً لبني قينقاع ، ولما حصلت الخصومة بينهم وبين النبي ﷺ والاهم ونصرهم ووقف معهم ، وذهب إلى النبي ﷺ يشفع لهم ،

---

(١) منهاج السنة (٤/ ٤).
(٢) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٨٢٤).
(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٧٦ ـ ٧٧).
(٤) مختصر التحفة الاثني عشرية ، ص ١٤١ ـ ١٤٢.
(٥) المصدر السابق نفسه، ص ١٤١ ـ١٤٢ ، عقيدة أهل البيت بين الإفراط والتفريط، ص ٤٧٣ .
وانظر: أسباب النزول للواحدي ، تحقيق: أيمن شعبان ، ص ١٦٣ . اليهود في السنة المطهرة (١/ ٢٨٢) ؛ ويبقى الخبر الذي رواه ابن إسحاق بإسناد مرسل يتقوى مع المتابعات والشواهد. وانظر: مختصر تفسير القرآن العظيم المسمى عمدة التفاسير عن الحافظ ابن كثير لأحمد محمد شاكر (١/ ٧٠١) ، فقد قال أحمد شاكر فيمن قال: نزلت في علي رضي الله عنه : بل هي من أكاذيب الشيعة الذين يلعبون بتأويل القرآن.

أما عبادة بن الصامت رضي الله عنه وأرضاه فإنه تبرأ منهم وتركهم فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١]، ثم عقب تبارك وتعالى بذكر صفة المؤمنين، وهو عبادة بن الصامت ومن اتبعه: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾، أمثال عبادة وغيره، فهذه الآية نزلت في عبادة بن الصامت(١).

إن الآيات الكريمة جاءت بالأمر بموالاة المؤمنين، والنهي عن موالاة الكافرين، وهذا المعنى يدرك أيضاً ـ بعد معرفة سبب النزول الحقيقي ـ بوضوح من سياق الآيات، إذ قبل هذه الآية الكريمة جاء قوله سبحانه: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١].

فهذا نهي صريح عن موالاة اليهود والنصارى بالود والمحبة والنفرة... ولا يراد بذلك باتفاق الجميع الولاية بمعنى الإمارة، وليس هذا بوارد أصلاً، ثم أردف ذلك بذكر من تجب موالاته وهو الله ورسوله والمؤمنون، فواضح من ذلك أن موالاة المحبة والنصرة التي نهى عنها في الأولى هي بعينها التي أمر بها المؤمنون في هذه الآية بحكم المقابلة، كما هو بيِّن جليّ من لغة العرب(٢)، قال الرازي: لما نهى في الآيات المتقدمة عن موالاة الكفار، أمر في هذه الآية بموالاة من تجب موالاته(٣). وقال ابن تيمية: إنه من المعلوم المستفيض عند أهل التفسير خلفاً عن سلف أن هذه الآية نزلت في النهي عن موالاة الكفار، والأمر بموالاة المؤمنين(٤).

ب ـ إن الله تعالى لا يثني على الإنسان إلا بما هو محمود عنده، إما واجب وإما مستحب، والتصدق أثناء الصلاة ليس بمستحب باتفاق علماء الملة، ولو كان مستحباً لفعله الرسول ﷺ ولحض عليه، ولكرر فعله، وإن في الصلاة لشُغْلاً، وإعطاء السائل

---

(١) رواه ابن هشام في السيرة في أمر بني قينقاع (٢/ ٤٩) عن عبادة بن الوليد؛ ورواه ابن جرير في تفسيره في تأويل قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ... ﴾ تفسير الطبري (٦/ ١٧٨)، ورجال إسناده من طريق ابن جرير ـ موثوقون، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث عن والده لكنه مرسل، فإن عبادة بن الوليد تابعي جليل روى عن أبيه وجده وغيرهما، وهو ثقة. التهذيب (٥/ ١١٤).

(٢) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٨٢٦).

(٣) تفسير الفخر الرازي (١٢/ ٢٥).

(٤) منهاج السنة (٤/ ٥).

لا يفوت ، إذ يمكن للمتصدق إذا سلم أن يعطيه، بل إن الاشتغال بإعطاء السائلين يبطل الصلاة كما هو رأي جملة من أهل العلم(١) .

ج ـ أنه لو قدر أن هذا مشروع في الصلاة لم يختصّ بالركوع ، فكيف يقال : لا ولي إلا الذين يتصدقون في حال الركوع؟! فإن قيل : هذه أراد بها التعريف بعلي ، قيل له : أوصاف علي التي يعرف بها كثيرة ظاهرة ، فكيف يترك تعريفه بالأمور المعروفة ، ويعرف بهذا الأمر الذي لا يعرفه إلا من سمعه وصدق به؟! وجمهور الأمة لا تسمع هذا الخبر ، ولا هو في شيء من كتب المسلمين المعتمدة(٢) .

د ـ وقولهم : إن علياً أعطى خاتمه زكاة في حال ركوعه ، فنزلت الآية مخالفة للواقع ، ذلك أن علياً رضي الله عنه لم يكن ممن تجب عليه الزكاة على عهد النبي ﷺ ، فإنه كان فقيراً، وزكاة الفضة إنما تجب على من ملك النصاب حولاً، وعلي لم يكن من هؤلاء(٣) .

هـ ـ إن الأصل في الزكاة أن يبدأ المزكي ، لا أن ينتظر حتى يأتيه الطالب ، أيهما أفضل أن تبادر أنت بدفع الزكاة ، أو أن تجلس في بيتك وزكاتك عندك ، ثم تنتظر الناس حتى يطرقوا عليك الباب ثم تعطيهم زكاة أموالك؟ لا شك أن الأول الأفضل(٤) .

و ـ قولهم : إن المراد بقوله : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾ الإمارة؛ لا يتفق مع قوله سبحانه : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ؛ فإن الله سبحانه لا يوصف بأنه متولٍّ على عباده ، وأنه أمير عليهم ، فإنه خالقهم ورازقهم وربهم ومليكهم له الخلق والأمر ، لا يقال : إن الله أمير المؤمنين كما يسمى المتولي مثل علي وغيره أمير المؤمنين(٥) ، وأما الولاية المخالفة للعداوة فإنه يتولى عباده المؤمنين فيحبهم ويحبونه ، ويرضى عنهم ويرضون عنه ، ومن عادى له ولياً فقد بارزه بالمحاربة(٦) ، فهذه الولاية هي المقصودة في الآية ، وقوله : ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ أي خاضعون لربهم منقادون لأمره ، والركوع في أصل اللغة بمعنى الخضوع ، أي يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة في حال الركوع ، وهو الخشوع والإخبات

---

(١) المصدر السابق نفسه (١/ ٢٠٨) (٤/ ٥) .

(٢) منهاج السنة (٤/ ٥) ؛ أصول مذهب الشيعة (٢/ ٨٢٥) .

(٣) أصول مذهب الشيعة (٢٨٢٥) .

(٤) حقبة من التاريخ ، ص ١٩٣ .

(٥) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٨٢٧) .

(٦) المصدر السابق نفسه .

والتواضع لله[١] ، وهذا كما قال الله تبارك وتعالى عن داود عليه السلام: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤] وهو خرَّ ساجداً ، وإنما سمَّاه راكعاً للذل والخضوع لله تبارك وتعالى ، وكما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨] ، أي: اخضعوا واستسلموا لأمر الله تبارك وتعالى[٢] .

ز ـ وأما استدلالهم بأداة الحصر «إنما» وأن المراد علي رضي الله عنه بالخصوص ؛ فهذا الدليل كما يدل على نفي إمامة الأئمة المتقدمين كما قرر يدل على سلب الإمامة من الأئمة المتأخرين بذلك التقرير بعينه ، فلزم أن السبطين ومن بعدهما من الأئمة الأطهار مسلوبة منهم الإمامة ، فإن أجابوا عن النقض بأن المراد حصر الولاية في بعض الأوقات أعني وقت إمامته لا وقت إمامة من بعده ، وافقوا أهل السنة في أن الولاية العامة كانت له وقت كونه إماماً لا قبله[٣] ، وإذا كانت هذه أقوى أدلتهم ـ كما يقول شيوخهم ـ تبيَّن أنهم ليسوا على شيء، ذلك أن الأصل أن يستعمل في هذا الأمر العظيم ـ والذي هو عند الإمامية أعظم أمور الدين، ومنكره في عداد الكافرين ـ صيغة واضحة جلية، يفهمها الناس بمختلف طبقاتهم، يدركها العامي ، كما يدركها العالم ، ويفهمها اللاحق ، كما يفهمها الحاضر ، ويعرفها البدوي ، كما يعرفها الحضري ، فلما لم يستعمل مثل ذلك في كتاب الله دلَّ أنه لا نص كما يزعمون[٤]، وهذه أقوى آية يستدلون بها من كتاب الله، ويسمونها آية الولاية ولهم تعلق بآيات أخرى ذكرها ابن المطهر الحلي، وأجاب عليها ابن تيمية بأجوبة جامعة[٥] .

٢ ـ آية المباهلة:

إن آية المباهلة التي نزلت في وفد نجران تعتبر دليل آخر عند الشيعة الاثني عشرية على الإمامة ، وهي قول الله عز وجل: ﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى

(١) الكشاف للزمخشري (١/ ٦٢٤) ؛ تفسير الرازي (١٢/ ٢٥).
(٢) حقبة من التاريخ ، ص ١٩٤ .
(٣) أصول مذهب الشيعة ، ص ٨٢٥ .
(٤) أصول مذهب الشيعة الإمامية (٢/ ٨٢٩).
(٥) وقد قام الدكتور علي السالوس بدراسة مستفيضة حول الآيات التي يستدل بها الإمامية لقولهم بالإمامة ، وانتهى من ذلك إلى أن استدلالاتهم تنبني على روايات متصلة بأسباب النزول ، وتأويلات انفردوا بها لم يصح شيء من هذا ولا ذاك . مع الشيعة الاثني عشرية (١/ ٥٥ إلى ١١١).

﴿ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]. ووجه دلالة الآية على إمامة علي بن أبي طالب عند الطوسي وغيره من علماء الشيعة: أنها دلَّت على أفضليته من وجهين:

أحدهما: أنَّ موضوع المباهلة ليتميز المحق من المبطل، وذلك لا يصح أن يفعل إلا بمن هو مأمون الباطن مقطوع على صحة عقيدته أفضل الناس عند الله.

الثاني: أنه ﷺ جعله مثل نفسه بقوله: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾؛ لأنه أراد بقوله: ﴿أَبْنَآءَنَا﴾ الحسن والحسين عليهما السلام، وبقوله: ﴿وَنِسَآءَنَا﴾ فاطمة، وبقوله: ﴿وَأَنفُسَنَا﴾ نفسه ونفس علي عليهما السلام.. وإذا جعله مثل نفسه وجب أن لا يدانيه ولا يقاربه في الفضل أحد[١].

وقد سميت آية المباهلة بهذا الاسم، لأنّ كل محق يود لو أهلك الله المبطل المناظر له، ولا سيما إذا كان في ذلك حجة له في بيان حقه وظهوره، وكانت المباهلة بالموت، لأنّ الحياة عندهم عزيزة عظيمة لما يعلمون من سوء حالهم بعد الموت.

وآية المباهلة لا مستند فيها على ما يدعيه الشيعة الاثني عشرية في موضوع الإمامة لعدة أسباب:

أ ـ إنه على كثرة المعاني والمرادفات لكلمة (نفسي) التي استدل بها الإمامية على دلالة النص في خلافة علي بن أبي طالب لا يوجد معنى حقيقي أو مجازي يدل على الخلافة، ولكن ما استدل به أهل السنة على أنها تدل على دعوة النبي ﷺ بحضوره بنفسه أو المقاربة في الدين أو النسب؛ فهو مذكور في اللغة موافقاً للدين، قال الزبيدي: قال ابن خالويه: النفس الأخ، قال ابن برّي: وشاهده قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١] وفسر ابن عرفة قوله تعالى: ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢] أي بأهل الإيمان وأهل شريعتهم[٢]. قال الدهلوي: معنى (نَدْعُ أَنْفُسَنَا) نحضر أنفسنا، وأيضاً لو قررنا الأمير ـ أي: الإمام علي ـ من قبل النبي ﷺ لمصداق ﴿وَأَنفُسَنَا﴾، فمن نقرره من قبل الكفار لمصداق ﴿وَأَنفُسَكُمْ﴾ في أنفس الكفار، مع أنهم مشتركون في صيغة (نَدْعُ) ولا معنى لدعوة النبي إياهم وأبناءهم بعد قوله: تعالوا[٣].

---

(١) تفسير التبيان للطوسي (٣/ ٤٨٥).
(٢) تاج العروس (١٦/ ٥٧٠)؛ ثم أبصرت الحقيقة، ص ١٨٨.
(٣) مختصر التحفة الاثني عشرية، ص ١٥٦.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ مثل قوله تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢]. نزلت في أم المؤمنين عائشة في حادثة الإفك، فإن الواحد من المؤمنين أنفس المؤمنين والمؤمنات، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] أي يقتل بعضكم بعضاً. ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤]. أي لا يُخرج بعضكم بعضاً، فالمراد بالأنفس الإخوان: إما في النسب وإما في الدين[1]. وقد قال الله عز وجل في رسوله الكريم ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. وفي هذه الآية حجة بالغة على من يستدل بقوله تعالى ﴿وَأَنفُسَنَا﴾ على معنى المماثلة والتطابق، فهذه الآية تتكلم عن رسول الله ﷺ وعن كفار مكة، وتقول: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ فمن ذا الذي يقول بأنّ نفس رسول الله نفس كفار مكة ـ عياذاً بالله[2] ـ؟!!

وهنا تظهر المزاجية في تفسير آية المباهلة حين يتجاهل علماء الإمامية كل هذه النصوص ثم يأتون إلى هذه الآية الكريمة فيبالغون في معناها إلى حد قولهم بأن علياً هو نفس محمد عليه الصلاة والسلام سوى النبوة، وحتى بعض الروايات عندهم تشير إلى أنّ إطلاق لفظ أنفسنا على الأخ أو القريب أو أرباب الفئة الواحدة شيء متعارف عليه بين العرب، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: بعث أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن العباس إلى ابن الكواء وأصحابه وعليه قميص رقيق وحُلّة، فلما نظروا إليه قالوا: يا بن عباس، أنت خيرنا في أنفسنا وأنت تلبس هذا اللباس، وقال: وأنا أول ما أخاصمكم فيه ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ وقال: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] فهل بعد هذه الدلائل القرآنية وبعد هذه الرواية الشيعية من كلمة يقولها المغالي[3]؟

ب ـ اعترف أحد أقطاب الشيعة وهو الشريف الرضيّ أن قوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا﴾ لا يعني أن علياً رضي الله عنه هو نفس رسول الله كما يقول الشيعة، يقول الشريف الرضيّ: قال بعض العلماء: إن للعرب في لسانها أن تخبر عن ابن العم اللاصق والقريب

---

(١) مختصر منهاج السنة (١/ ١٦٧ ـ ١٦٨).

(٢) ثم أبصرت الحقيقة، ص ١٨٨.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ١٨٩.

والمقارب بأنه نفس ابن عمه ، وأن الحميم نفس حميمه ، ومن الشاهد على ذلك قول الله تعالى ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ أراد تعالى : ولا تعيبوا إخوانكم المؤمنين ، فأجرى الأخوة بالديانة مجرى الأخوة في القرابة ، وإذا وقعت النفس عندهم على البعيد النسب كانت أخلق أن تقع على القريب النسب .

وقال الشاعر :

كأنا يوم قُرّى إنما نقتل إيانا

أراد كأنما نقتل أنفسنا بقتلنا إخواننا ، فأجرى نفوس أقاربه مجرى نفسه ، لشوابك العصم ، ونوائط اللحم ، وأطيط الرحم ، ولما يخلج من القربى القريبة ، ويتحرك من الأعراق الوشيجة .

فأما قول الله تعالى في النور ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ فيمكن أن يجرى هذا المجرى ، لأنه جاء في التفسير : أن معنى ذلك فليسلّم بعضكم على بعض لاستحالة أن يسلم الإنسان على نفسه ، وإنما ساغ القول ، لأن نفوس المؤمنين تجري مجرى النفس الواحدة ، للاجتماع في عقد الديانة ، والخطاب بلسان الشريعة ، فإذا سلّم الواحد منهم على أخيه كان كالمسلم على نفسه ، لارتفاع الفروق واختلاط النفوس[(١)] .

وبهذا يتّضح أنه لا حجة لدى الشيعة في دعواهم أنّ في هذه الآية ما ينص على مساواة بين رسول الله ﷺ وعلي رضي الله عنه ، فلفظ (النفس) يُطلق في لغة العرب على البعيد النسب ، فإطلاقه على القريب من باب أولى ، وليس في ذلك دلالة على الإمامة من قريب ولا بعيد[(٢)] .

ج ـ إن المباهلة إنما تحصل الرغبة والرهبة والشعور بصدق الداعي بجمعه نفسه وأهله الذين تحن إليهم النفوس بطبيعة الحال مالا تحن إلى غيرهم من الأبعدين في الهلاك[(٣)] ، فكونه ﷺ يدعو ألصق الناس به وأقربهم إليه ؛ دليل واضح على صحة نبوته ، ولهذا لما رأى نصارى نجران خافوا على أنفسهم ، وتخلوا عن مباهلته ، ولكن الإمامية لما ابتلوا بدفع الحق وعدم التسليم له أصيبوا بعدم فهم ما تدل عليه آيات الكتاب العزيز[(٤)] .

---

(١) ثم أبصرت الحقيقة ، ص ١٨٩ .
(٢) المصدر السابق نفسه ، ص ١٩٠ .
(٣) منهاج السنة (٧/ ١٢٥ ـ ١٢٦) .
(٤) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (٢/ ٥٦٤ ـ ٥٦٥) .

د ـ قول الشيعة الإمامية: إن الآية تدل على المساواة بينه وبين النبي ﷺ إلا النبوة، كلام لا يُسلم له أبداً، إذ إنّ النبي ﷺ لا يساويه أحد في أمور الدين لا علي ولا غيره، فأين مقام رسول الله وكماله البشري من سائر الناس؟!!

إن أمير المؤمنين علي نفسه لا يرضى ما يقول الشيعة الإمامية عنه، والمنصف العاقل يدرك هذه القضية بكل وضوح[١]، فمقام النبوة له هيبته ومكانته عند أمير المؤمنين وقد تحدثنا عنه في هذا الكتاب.

هـ ـ إن قضايا الاعتقاد الكبرى ومهمات الدين وأساسياته العظمى لا بد لإثباتها من الأدلة القرآنية الصريحة القطعية الدلالة على المعنى المطلوب كدلالة قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ على التوحيد، ودلالة (محمد رسول الله) على نبوة محمد ﷺ، ودلالة قوله تعالى ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ على فرضية الصلاة ومشروعيتها[٢]... إلخ.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى: ٢٣]. وقد أورد الشيعة الإمامية في تفسير هذه الآية حديثاً عزوه إلى النبي ﷺ حدد فيه القربى بعلي وفاطمة وأبنائهم، الأمر الذي يدل في رأي الشيعة على أفضليتهم ووجوب مودتهم ومن ثم وجوب طاعتهم واتخاذهم أئمة دون غيرهم[٣].

والإجابة على ما سبق كالآتي:

أ ـ إن هذه الآية في سورة الشورى وهي مكية باتفاق أهل السنة[٤] ومن المعلوم أن علياً إنما تزوج فاطمة بعد غزوة بدر، والحسن ولد في السنة الثالثة للهجرة، والحسين في السنة الرابعة، فتكون هذه الآية قد نزلت قبل وجود الحسن والحسين بسنين متعددة، فكيف يفسر النبي ﷺ بوجوب قرابة لا تعرف ولم تخلق بعد[٥].

ب ـ إن تفسير الآية الذي في الصحيح يناقض ذلك فقد روى البخاري بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله: ﴿إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ فقال سعيد بن جبير قربى آل محمد ﷺ فقال ابن عباس: عجِلتَ، إن النبي ﷺ لم يكن بطن في قريش إلا كان

---

(١) ثم أبصرت الحقيقة، ص ١٩١.
(٢) آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة، عبد الهادي الحسيني، ص ٥.
(٣) مجمع البيان للطبرسي (٢٥/ ٤٩ ـ ٥١)؛ مختصر التحفة الإثني عشرية، ص ١٥٣ إلى ١٥٥.
(٤) تفسير البغوي (٤/ ١١٩)؛ العقيدة في أهل البيت، ص ٣٦٤.
(٥) منهاج السنة (٧/ ٩٩)؛ دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين، حلي، ص ١٩٠.

له فيهم قرابة ، فقال : إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة[١] .

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: فهذا ابن عباس ترجمان القرآن ، وأعلم أهل البيت بعد علي ، يقول : ليس معناها مودة ذوي القربى ، لكن معناها : لا أسألكم يا معشر العرب ويا معشر قريش عليه أجراً ، ولكن أسألكم أن تصلوا القرابة التي بيني وبينكم ، فهو سأل الناس الذين أرسل إليهم أولاً أن يصلوا رحمه ، فلا يعتدوا عليه حتى يبلغ رسالة ربه[٢] .

ج ـ إن الحديث الذي جعلوه مفسراً للآية : كذب وموضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث وهم المرجوع إليهم في هذا ، وقد نص على ذلك ابن تيمية[٣] ، وقد تتبع ابن كثير أيضاً الأحاديث الواردة في تفسير هذه الآية ، وبيَّن أن الأحاديث التي تنص على أن أُولي القربى هم فاطمة وولداها ضعيفة الإسناد . وأورد رواية عن ابن أبي حاتم قال : حدثنا رجل سماه حدثنا حسين الأشقر عن قيس عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ـ الآية ـ قالوا : يا رسول الله من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم؟ قال : «فاطمة وولداها (رضي الله عنهم)» . وهذا إسناد ضعيف ، فيه متهم لا يعرف ، عن شيخ شيعي محترق ، وهو حسين الأشقر ، ولا يقبل خبره في هذا المحل ، وذكر نزول الآية في المدينة بعيد فإنها مكية ، ولم يكن إذ ذاك لفاطمة رضي الله عنها أولاد بالكلية ، فإنها لم تتزوج بعلي إلا بعد بدر السنة الثانية من الهجرة .

والحق تفسير هذه الآية بما فسرها به حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما ، وقد تحدث ابن حجر عن ضعف الروايات المذكورة ومخالفتها للحديث الصحيح[٤] .

● **أدلتهم من السنة :**

١ ـ خطبة غدير خم :

غدير خم : هو موقع بين مكـة والمدينة بالجحفة[٥] ، ويقع شرق رابغ بما يقرب من

---

(١) البخاري ، كتاب التفسير ، رقم ٤٨١٨ .

(٢) منهاج السنة (٧/ ١٠٠) .

(٣) المصدر السابق نفسه .

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ١١٢) ؛ فتح الباري (٨/ ٥٦٤) .

(٥) معجم البلدان (٢/ ٢٨٩) .

٢٦ كيلاً ، ويسمونه اليوم الغربة[١] ، ويذكر أنـه في هذا الموقع خطب النبي ﷺ في الناس، وذكر فضل علي رضي الله عنـه ، واتخذ الشيعة الغلاة هذه الحادثة أساساً يعتمدون عليه في تشيعهم الغالي له من جهة ، واعتمدوا عليها في أحقية علي بالخلافة من جهة أخرى، فأعطوا لهذه الحادثة من الأهمية ما لم يعطوه لغيرها في عصر النبوة[٢] حتى ألف فيه كتاب من أحد عشر مجلداً وهو كتاب «الغدير» ملأه مؤلفه بالأحاديث الموضوعة والضعيفة.

والصحيح ما أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه: أنه قال: قام رسول الله ﷺ فينا خطيباً بماء يدعى خُمّاً بين مكة والمدينـة ، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكَّر ثم قال: «أما بعد ؛ ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسـول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» ، فحث على كتاب الله ورغَّب فيه ، ثم قال: «وأهل بيتي؛ أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي». قال له حصين ـ أي: الراوي عن زيد بن أرقم ـ: ومن أهل بيتـه يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟

قال: نعم ، ولكن أهل بيته من حُرِم الصدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس ، قال: كل هؤلاء حُرِم الصدقة؟ قال: نعم[٣].

وجاء عند غير مسلم كالترمذي[٤] ، وأحمد[٥] ، والنسائي في الخصائص[٦] ، والحاكم[٧] ، وغيرهم جاءت بأسانيد صحيحة عن النبي ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه[٨]».

---

(١) على طريق الهجرة ، عاتق البلادي ، ص ٦١.
(٢) أثر التشيع على الروايات التاريخية ، عبد العزيز محمد نور ولي ، ص ٢٩٩.
(٣) مسلم ، رقم ٢٤٠٨.
(٤) سنن الترمذي ، رقم ٣٧١٣.
(٥) مسند أحمد ، رقم ٦٧٠ ، صحيح لغيره.
(٦) خصائص علي ، رقم ٧٩ ، صحيح رجاله ثقات.
(٧) المستدرك (٣/ ١١٠).
(٨) حقبة من التاريخ ، ص ١٨٢.

وأما الزيادات الأخرى كقوله: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». فهذه الزيادات صححها بعض أهل العلم، والصحيح أنها لا تصح، وأما زيادة: «انصر من نصره واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار»، فهذه زيادة مكذوبة على النبي ﷺ[١].

وخطبة النبي ﷺ في غدير خم لها سبب وجيه؛ فعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ علياً إلى خالد بن الوليد في اليمن ليخمّس الغنائم ويقبض الخُمس، فلما خمّس الغنائم كانت في الغنائم وصيفة هي أفضل ما في السبي، فصارت في الخُمس، ثم إن علياً خرج ورأسه مغطى وقد اغتسل، فسألوه عن ذلك، فأخبرهم أن الوصيفة التي كانت في السبي صارت له، فتسرّى بها. فكره البعض ذلك منه، وقدم بريدة بن الحصيب بكتاب خالد إلى النبي ﷺ، وكان ممن يبغض علياً، فصدّق على كتاب خالد الذي تضمن ما فعله علي، فقال له النبي ﷺ: «لا تبغضه فإن له في الخُمس أكثر من ذلك»[٢]، فلما كانت حجة الوداع رجع علي من اليمن ليدرك الحج مع النبي ﷺ وساق معه الهدي[٣]، وقد تعجل علي ليلقى الرسول ﷺ بمكة، واستخلف رجلاً من أصحابه على الجند، فكسا ذلك الرجل الجند حللاً من البزّ[٤]، الذي كان مع علي، فلما دنا الجيش من مكة خرج علي ليلقاهم، فإذا عليهم الحلل، فقال لنائبه: ويلك ما هذا، قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس، قال: ويلك، انزع قبل أن تنتهي به إلى الرسول ﷺ، فانتزع الحلل وردها إلى البزّ، فأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم علي[٥]، فلما اشتكى الناس علياً قام رسول الله ﷺ في الناس خطيباً...

قال ابن كثير: إن علياً رضي الله عنه لما كثر فيه القيل والقال من ذلك الجيش بسبب منعه إيّاهم استعمال إبل الصدقة واسترجاعه منهم الحلل التي أطلقها لهم نائبه لذلك، والله أعلم، لما رجع الرسول ﷺ من حجته وتفرغ من مناسكه وفي طريقه إلى المدينة؛

---

(١) انظر: السلسلة الصحيحة للألباني، رقم ١٧٥٠.

(٢) مجمع الزوائد (٩/ ١٢٧) قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير عبد الجليل بن عطية، وهو ثقة صرح بالسماع، وفيه لين.

(٣) مسلم، رقم ١٢٨١.

(٤) البزّ: الثياب، أو متاع البيت من الثياب.

(٥) البداية والنهاية (٥/ ٩٥)؛ السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٢٥٩) قال ابن كثير: هذا السياق أقرب من سياق البيهقي (دلائل النبوة ٥/ ٣٩٨) رغم أنه قال عن رواية البيهقي: هذا إسناد جيد على شرط النسائي.

مر بغدير خم ، فقام في الناس خطيباً ، فبرأ ساحة علي ورفع من قدره ، ونبَّه على فضله ليزيل ما وقر في قلوب كثير من الناس[١] .

إن النبي ﷺ أخّر الكلام إلى أن رجع إلى المدينة ولم يتكلم ، وهو في مكة في حجة الوداع أو في يوم عرفة ، وإنما أجل الأمر إلى أن رجع ، فهذا يدل على أن الأمر خاص بأهل المدينة ؛ لأن الذين تكلموا في علي رضي الله عنه هم من أهل المدينة ، فهم الذين كانوا مع علي في الغزو، وغدير خم في الجحفة وهي تبعد عن مكة تقريباً مئتين وخمسين كيلومتراً ، والذي يقول: إنه مفترق الحجيج ؛ فهذا غير صحيح ، لأن مجتمع الحجيج مكة ، فلا يكون مفترق الحجيج بعيداً عن مكة أكثر من مئتين وخمسين كيلومتراً أبداً ، فإن أهل مكة يبقون في مكة، وأهل الطائف يرجعون إلى الطائف، وأهل اليمن إلى اليمن ، وأهل العراق إلى العراق ، وهكذا كل من أنهى حجه ، فإنه يرجع إلى بلده ، وكذلك القبائل العربية ترجع إلى مضاربها ، فلم يكن مع النبي ﷺ إلا أهل المدينة ، ومن كان على طريق المدينة فقط، وهم الذين خطب فيهم النبي ﷺ ، والاختلاف بين أهل السنة والشيعة الغلاة في مفهوم قول النبي ﷺ لا في الثبوت، فالغلاة يقولون: من كنت مولاه فعلي مولاه ، أي: من كنت واليه فعلي واليه ، وأهل السُنّة يقولون: إن مفهوم قول النبي ﷺ من كنت مولاه فعلي مولاه ، أي: الموالاة التي هي النصرة والمحبة وعكسها المعاداة وذلك لأمور:

أ ـ للزيادة التي وردت وصححها بعض أهل العلم وهي قول النبي ﷺ: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»[٢] . والمعاداة هي شرح لقوله: «فعليّ مولاه» فهي في محبة الناس لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه.

ب ـ كلمة مولاه تدل على معاني متعددة. قال ابن الأثير: المولى يقع على الرب ، والمالك ، والمنعم ، والناصر ، والمحب ، والحليف ، والعبد ، والمعتق ، وابن العم ، والصهر[٣] ، كل هذه تطلق العرب على كلمة مولى.

ج ـ الحديث ليس فيه دلالة على الإمامة ؛ لأن النبي ﷺ لو أراد الخلافة لم يأتِ بكلمة تحتمل هذه المعاني التي ذكرها ابن الأثير ، والنبي ﷺ هو أفصح العرب ، ولكان يقول:

---

(١) البداية والنهاية (٥/ ٩٥).
(٢) السلسلة الصحيحة للألباني ، رقم ١٧٥٠ .
(٣) النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٢٨).

علي خليفتي من بعدي ، أو عليّ الإمام من بعدي ، أو إذا أنا متُّ فاستمعوا وأطيعوا لعليّ بن أبي طالب ، ولكن لم يأت النبي ﷺ بهذه الكلمة الفاصلة التي تنهي الخلاف إن وجد أبداً، وإنما قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»(١) .

د ـ قال الله تعالى: ﴿ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الحديد: ١٥] ؛ فسماها مولى لشدة الملاصقة مع الكفار والعياذ بالله .

هـ ـ الموالاة وصف ثابت لعلي في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته ، وبعد وفاة علي رضي الله عنه ، فعليّ كان مولى المؤمنين بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وهو مولى المؤمنين بعد وفاته رضي الله عنه ، فهو الآن مولانا ، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [المائدة: ٥٥]. وعلي رضي الله عنه من سادة الذين آمنوا .

و ـ قال الإمام الشافعي رحمه الله عن حديث زيد: يعني بذلك ولاء الإسلام كما قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾(٢) [محمد: ١١]. فالحديث لا يدل على أن علياً رضي الله عنه هو الخليفة بعد رسول الله ﷺ ، وإنما يدل على أن علياً من أولياء الله تبارك وتعالى ، تجب له الموالاة ، وهي المحبة والنصرة والتأييد(٣) .

وعموماً فإن هذه الخطبة التي خطبها النبي ﷺ في غدير خم أراد بها تبرئة ساحة علي رضي الله عنه، ورفع مكانته ، والتنبيه على فضله ليزيل ما كان وقر في نفوس الناس من أصحابه الذين كانوا معه في اليمن ، وأخذوا عليه بعض الأمور ، والرسول ﷺ لم يرد أن يفعل ذلك أثناء موسم الحج ؛ لأن الحادثة رغم انتشارها بقيت محدودة في أهل المدينة ، كما أنه لم يؤخره حتى وصوله إلى المدينة حتى لا يُمكّن المنافقين من استغلال مثل هذه الحادثة في مكايدهم(٤) ، ومما يدل على أن النبي ﷺ أراد من خطبته هذه بيان فضل علي للذين لم يعرفوا فضله ، أنه عندما قام عنده بريدة بن الحصيب ينتقص في علي ـ وكان قد رأى من علي جفوة ـ تغير وجه النبي ﷺ وقال: «يا بريدة ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» فقال بريدة: بلى يا رسول الله. قال: «مَنْ كنتُ مولاه فعلي مولاه»(٥) .

---

(١) حقبة من التاريخ ، ص ١٨٥ .
(٢) النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٢٨) .
(٣) حقبة من التاريخ ، ص ١٨٧ .
(٤) أضواء على دراسة السيرة النبوية ، صالح الشامي ، ص ١١٣ ـ ١١٤ .
أثر التشيع على الروايات التاريخية ، ص ٣٠٤ .
(٥) السلسلة الصحيحة (٤/ ٣٣٦) ، قال الألباني: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين .

وهناك بحث قيم في هذا الموضوع قام به الدكتور محمد علي السالوسي ، فتحدث عن خطبة الغدير والوصية بالكتاب والسنة ، وقام بدراسة لروايات التمسك بالكتاب والعترة ، وناقشها وحكم عليها ، ثم قال : مما سبق نرى أن حديث الثقلين التي صح سندها صح متنها ، وأن الروايات الثمانية التي تأمر بالتمسك بالعترة إلى جانب الكتاب الكريم لم تخل واحدة منها من ضعف في السند(١) ، وفي متن هذه الروايات نجد الإخبار بأن الكتاب وأهل البيت لن يفترقا حتى يردا الحوض على رسول الله ﷺ ، ومن أجل هذا وجب التمسك بهما ، ولكن الواقع يخالف هذه الأخبار ، فمن المتشيعين لأهل البيت من ضل وأضل ، وأكثر الفرق التي كادت للإسلام وأهله وجدت من التشيع لآل البيت ستاراً يحميها ، ووجدت من المنتسبين لآل البيت من يشجعها لمصالح دنيوية ، كأخذ خُمس ما يغنمه الأتباع ، إن عدم الضلال يأتي من التمسك بالكتاب والسنة ، وإذا تمسك أهل البيت بهما كان لهم فضل الانتساب مع فضل التمسك ، واستحقوا أن يكونوا أئمة هدى يقتدى بهم كما قال تعالى : ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤] أي أئمة نقتدي بمن قبلنا ، ويقتدي بنا من بعدنا ، ولا يختص هذا بأهل البيت ، ولكن بكل من يعتصم بالكتاب والسنة ، فالروايات التي ضعف سندها لا يستقيم متنها كذلك ، وهذا ضعف آخر ومع هذا كله ، فلو صحت هذه الروايات فإنها لا تدل من قريب ولا بعيد على وجوب إمامة الأئمة الاثني عشر وأحقيتهم للخلافة(٢) .

قال العلامة المناوي في فقه روايات الحديث : إن ائتمرتم بأوامر كتابه ، وانتهيتم بنواهيه ، واهتديتم بهدي عترتي ، واقتديتم بسيرتهم ، اهتديتم فلم تضلوا(٣) .

وقال ابن تيمية بعد أن بين أن الحديث ضعيف لا يصح : وقد أجاب عنه طائفة بما يدل على أن أهل بيته كلهم لا يجتمعون على ضلالة . قالوا : ونحن نقول بذلك ، كما ذكر ذلك القاضي أبو يعلى وغيره . وقال أيضاً : إجماع الأمة حجة بالكتاب والسنة والإجماع ، والعترة بعض الأمة ، فيلزم من ثبوت إجماع الأمة إجماع العترة(٤) .

---

(١) ومع هذا الضعف جاء في كتاب المراجعات للموسوي بأنها متواترة ، ص ٥١ ونسب للشيخ سليم البشرى أنه تلقى هذا القول بالقبول ، ص ٤٥ ، وأنه طلب المزيد . وذكر صاحب المراجعات روايات أخرى أشد ضعفاً . مع الشيعة الاثني عشرية (١/ ١٣٦) .

(٢) مع الشيعة الاثني عشرية (١/ ١٣٦) .

(٣) فيض القدير (٣/ ١٤) .

(٤) منهاج السنة النبوية (٤/ ١٠٥)

إن حديث الثقلين ، في قوله ﷺ : «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً ، كتاب الله[١] وعترتي» . فيه كلام من حيث صحته وثبوته عن النبي ﷺ .

والثابت عند مُسلم أن الأمر كان بالتمسك بكتاب الله ، والوصية بأهل البيت ، كما مر من حديث زيد بن أرقم ، فأوصى بكتاب الله ، وحث على التمسك به ، ثم قال : «وأهل بيتي ؛ أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي» ، فالذي أمر بالتمسك به كتاب الله ، وأما أهل بيت النبي ﷺ فأمر برعايتهم وإعطائهم حقوقهم التي أعطاها الله تبارك وتعالى إياها[٢] .

ورداً على فهم الشيعة الغلاة المنحرف لحديث الثقلين من وجوه :

أ ـ إن عترة الرجل هم أهل بيته ، وعترة النبي ﷺ هم كل من حرمت عليه الزكاة ، وهم بنو هاشم ، هؤلاء هم عترة النبي ﷺ ، فالإمامية ليس لهم أسانيد إلى الرسول ﷺ ، وهم يقرون بهذا أنهم ليس عندهم أسانيد في نقل كتبهم ومروياتهم ، وإنما هي كتب وجدوها وقالوا ارووها فإنها حق[٣] ، أما أسانيدهم ـ كما يقول الحر العاملي وغيره من أئمة الشيعة الإمامية ـ إنه ليس عند الإمامية أسانيد أصلاً ، ولا يعولون على الأسانيد[٤] ، فأين لهم ما يروونه في كتبهم ثابت عن عترة النبي ﷺ ؟ بل أهل السنة هم أتباع عترة النبي ﷺ وأعطوهم حقهم ، ولم يزيدوا ولم ينقصوا كما قال النبي ﷺ في حق نفسه : «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ولكن قولوا : عبد الله ورسوله»[٥] .

ب ـ إمام العترة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وبعده يأتي في العلم عبد الله بن عباس الذي هو حبر الأمة ، وكان يقول بإمامة أبي بكر وعمر قبل علي رضي الله عنهم بل إن عليّ بن أبي طالب قد ثبت عنه بالتواتر أنه قال : أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر[٦] . فعلي يقرّ بفضل الشيخين ، وهو إمام العترة[٧] .

---

(١) سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، رقم ٣٧٨٦ ، وفيه زيد الأنماطي ، والحديث له أكثر من طريق لا يخلو من طريق منها من كلام مع اختلاف المتون .
(٢) حقبة من التاريخ ، ص ٢٠٣ .
(٣) المصدر السابق نفسه .
(٤) المصدر السابق نفسه .
(٥) البخاري ، رقم ٣٤٤٥ .
(٦) البخاري ، رقم ٣٦٧١ .
(٧) حقبة من التاريخ ، ص ٢٠٤ .

ج ـ هذا الحديث مثل قوله ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً ، كتاب الله وسُنتي[١]» ، وقال النبي ﷺ : «عليكم بسُنّتي وسُنّة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ»[٢] ، فأمر بالعض عليها بالنواجذ. وقال ﷺ : اقتدوا بالذين من بعدي ، أبي بكر وعمر[٣]. وقال: «اهتدوا بهدي عمار ، وتمسكوا بعهد ابن مسعود»[٤] ، ولم يدل هذا على الإمامة أبداً ، وإنما دلَّ على أن أولئك على هدي الرسول ﷺ ، كما أن عترة الرسول ﷺ لا تجتمع على ضلالة أبداً[٥].

د ـ إن الشيعة الغلاة يطعنون في العباس[٦] ، ويطعنون في عبد الله ابنه ، ويطعنون في أولاد الحسن ، وقالوا: إنهم يحسدون أولاد الحسين ، ويطعنون كذلك في أبناء الحسين نفسه من غير الأئمة الذين يدعونهم كزيد بن علي[٧] ، وكذلك إبراهيم أخي الحسن العسكري[٨] ، وغيرهم فهم ليسوا بأولياء للنبي ﷺ وعترته ، بل أولياءُ النبي وعترته هم الذين مدحوهم وأثنوا عليهم وأعطوهم حقهم ولم ينقصوهم[٩].

هـ ـ فهم صحابة رسول الله ﷺ للنص: فهم الصحابة رضي الله عنهم أن المراد بالمولى أو الولي هو الحب والولاء والطاعة ، ولذلك عبّروا عن طاعتهم وإجلالهم لسيد أهل البيت علي بن أبي طالب بمناداته يا مولانا ، فعن رياح الحارث قال: جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا، فقال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يقول يوم غدير خم: «من كنت مولاه فهذا مولاه» قال رياح: فلما مضوا اتبعتهم فسألت من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار ، فيهم أبو أيوب الأنصاري[١٠].

---

(١) مستدرك الحاكم (١/ ٩٣).
(٢) سنن أبي داود (٤/ ٢٠١) ؛ الترمذي ، وقال: حسن صحيح.
(٣) صحيح سنن الترمذي للألباني (٣/ ٢٠٠).
(٤) سنن الترمذي ، رقم ٣٨٠٥.
(٥) حقبة من التاريخ ، ص ٢٠٥.
(٦) رجال النجاشي ، ص ٥٢ ، نقلاً عن حقبة من التاريخ ، ص ٢٠٥
(٧) بحار الأنوار (٤٦/ ١٩٤) اتهموه أنه كان يشرب الخمر ؛ حقبة من التاريخ ، ص ٢٠٥.
(٨) الكافي (١/ ٥٠٤) اتهموه بأنه فاجر ماجن شريب للخمور ؛ حقبة من التاريخ ، ص ٢٠٥.
(٩) حقبة من التاريخ ، ص ٢٠٥.
(١٠) فضائل الصحابة (٢/ ٧٠٢) ، حديث ، رقم ٩٦٧.

إن أهم ما يستفاد من هذا الحديث هو أن علي بن أبي طالب نفسه لم يكن يفهم من لفظ (مولى) معنى الإمامة والإمارة ، فمن الملاحظ أن أمير المؤمنين علياً قد استنكر منهم مناداته بـ (يا مولانا) ، ولو كان أمير المؤمنين علي العربي الفصيح يراها مرادفة : يا أميرنا أو : يا إمامنا ؛ لما استنكر على القائلين تلك المناداة[١] .

و ـ روت كتب الشيعة الاثني عشرية أقوالاً لبعض أهل البيت ينفون فيها أن يكون المراد بحديث الغدير النص على إمامة علي من بعد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، فقد قيل للإمام الحسين بن علي الذي كان كبير الطالبيين في عهده ، وكان وصي أبيه وولي صدقة جده : ألم يقل رسول الله : «من كنت مولاه فعلي مولاه»؟ فقال : بلى ولكن ـ والله ـ لم يعن رسول الله بذلك الإمامة والسلطان ، ولو أراد ذلك لأفصح لهم به وكان ابنه الإمام عبد الله يقول : ليس لنا في هذا الأمر ما ليس لغيرنا ، وليس في أحد من أهل البيت إمام مفترض الطاعة من الله ، وكان ينفي أن تكون إمامة أمير المؤمنين من الله[٢] ، فإذا كان هذا كلام أهل البيت وهم أبناء علي والناصرون له ، فما ترى غيرهم يقولون[٣]؟ .

٢ ـ حديث الاستخلاف على المدينة في تبوك :

كان في رجب سنة تسع من الهجرة غزوة تبوك ، وكانت لها أهمية كبيرة في السيرة النبوية ، وتحقق منها غايات كانت بعيدة الأثر في نفوس المسلمين والعرب ، ومجرى الحوادث في تاريخ الإسلام[٤] ، واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة علياً ، فوجد المنافقون فرصة للتنفيس مما بداخلهم من حقد ونفاق ، فأخذوا يتكلمون في علي رضي الله عنه بما يسيىء إليه ، فمن ذلك قولهم : ما تركه إلا لثقله عليه ، وهذا القول منهم في حقه علامة بارزة وواضحة على نفاقهم ، ففي الحديث الصحيح أن علياً رضي الله عنه قال : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، إنه لعهد النبي الأمي ﷺ : أنْ لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق[٥] .

---

(١) ثم أبصرت الحقيقة ، ص ٢٠٠ .
(٢) ثم أبصرت الحقيقة ، ص ٢٠١ ، كذلك الرواية في كتب أهل السنة ؛ الاعتقاد للبيهقي ، ص ١٨٢ ـ ١٨٣ ؛ ومن كتب الشيعة : بصائر المؤمنين للصفار ، ص ١٥٣ ـ ١٥٦ .
(٣) ثم أبصرت الحقيقة ، ص ٢٠١ .
(٤) المرتضى للندوي ، ص ٥٥ .
(٥) مسلم .

عند ذلك أدرك علي الجيش وأراد الغزو معهم قائلاً: يا رسول الله! أتخلّفني في الصبيان والنساء، فقال رسول الله ﷺ: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي»[١].

وليس في هذا الحديث ما يستدل به الشيعة على كون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خليفة لرسول الله ﷺ، والرد عليهم من وجوه:

أ ـ الحديث المذكور له سبب هام لا ينبغي أن يغفل:

وأن يفهم الحديث دونه، فقد طعن المنافقون في علي رضي الله عنه، فبين رسول الله ﷺ مكانته وفضله، وكذب المنافقين.

ب ـ من الثابت: أن هارون عليه السلام كانت وفاته قبل موسى عليه السلام:

والاستدلال بالحديث على إمامة علي بعد رسول الله ﷺ بالتالي غير منطبق، ولو أراد رسول الله ﷺ النص على علي بن أبي طالب رضي الله عنه لقال له مثلاً: أنت مني بمنزلة يوشع من موسى، لأن نبي الله يوشع استخلف على بني إسرائيل بعد وفاة موسى عليه السلام، لكن ذكر رسول الله ﷺ لهارون عليه السلام الذي كان خليفة موسى عليه السلام في حياة موسى لا بعد وفاته ليس له إلا معنى واحد هو الترضية لعلي الذي أحزنه إبقاء الرسول ﷺ له في المدينة مستخلفاً على الضعفاء والنساء والأطفال والمتخلفين عن الغزوة، فبيّن له النبي عليه الصلاة والسلام أنه كما استخلف موسى عليه السلام أخاه هارون عليه السلام على قومه، وذهب للطور للقاء ربه تبارك وتعالى، فاستخلافي لك من هذا الباب، فموسى لم يستخلف هارون عليهما السلام استخفافاً به وتنقيصاً له، وإنما ائتماناً له وثقة به، وكذلك الحال معك يا علي بن أبي طالب رضي الله عنك.

ج ـ هارون عليه السلام لم يكن وصياً لموسى عليه السلام، بل نبياً ووزيراً:

بنص القرآن، وقياس حال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الذي هو عند الشيعة وصي وليس بنبي قياساً مع الفارق، علماً بأنهم يرفضون القياس أصلاً.

د ـ الاستدلال بكون هارون عليه السلام وزيراً لموسى عليه السلام:

على وزارة أمير المؤمنين علي لرسول الله ﷺ أعجب من الأولى، ذلك لأن الله تعالى الذي جعل هارون عليه السلام وزيراً لنبيه موسى عليه السلام قال في محكم كتابه عن

---

(١) البخاري، رقم ٢٤٠٤.

طلب موسى عليه السلام: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾ [طه: ٢٩ ـ ٣٢] فهل يرى من يدّعي التطابق بين الاثنين كون علي رضي الله عنه مشاركاً لرسول الله ﷺ في نبوته كما هو الحال في مشاركة هارون لموسى عليه السلام في أمره؟! من يعتقد ذلك فلا شك في كفره وخروجه من ملة الإسلام(١).

هـ ـ لقد استخلف النبي ﷺ على المدينة غير علي بن أبي طالب:

ففي غزوة بدر استخلف عبد الله بن أم مكتوم، واستخلف في غزوة بني سليم، سباع بن عُرفطة الغفاري، أو ابن أم مكتوم على اختلاف في ذلك، واستخلف في غزوة السويق، بشير بن عبد المنذر، واستعمل على المدينة في غزوة بني المصطلق، أبا ذر الغفاري، وفي غزوة الحديبية، نُمَيْلة بن عبد الله الليثي، كما استعمله أيضاً في غزوة خيبر، وفي عمرة القضاء استعمل عويف بن الأضبط الديلي، وفي فتح مكة، كلثوم بن حصين بن عتبة الغفاري، وفي حجة الوداع، أبا دجانة الساعدي، ذكر هذا ابن هشام في مواقف متفرقة من السيرة(٢)، إضافة إلى أن استخلاف علي على المدينة لم يكن الأخير، فقد استخلف النبي ﷺ على المدينة في حجة الوداع غير علي، وهذا منهج النبي ﷺ في تربية القادة كما حدث عندما أمَّر أبا بكر على الحج، واختصه أيضاً بإمامة الصلاة وحده(٣).

و ـ وأما تشبيه النبي ﷺ لعلي بهارون:

فهذه فضيلة، كما أن النبي ﷺ شبه أبا بكر وعمر بأعظم من هارون؛ ففي غزوة بدر، لما كانت قضية الأسرى واستشار النبي ﷺ أبا بكر، فرأى أن يعفو عنهم وأن يفادوهم قومهم، ورأى عمر أن يقتلهم، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «إن مثلك كمثل إبراهيم يوم قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، ومثلك كمثل عيسى إذ قال: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]». ثم التفت إلى عمر فقال: «يا عمر إن مثلك مثل نوح لما قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، ومثلك كمثل موسى لما قال: ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ

---

(١) ثم أبصرت الحقيقة، ص ٢١٥.
(٢) السيرة النبوية لابن هاشم (٢، ٦٥٠، ٨٠٤، ٨٠٦).
(٣) ثم أبصرت الحقيقة، ص ٢١٥.

عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾[١] [يونس: ٨٨]» فشبه أبا بكر بإبراهيم وعيسى وشبه عمر بنوح وموسى، وأولئك من أولي العزم، وهم خير البشر بعد رسول الله ﷺ، وهم أفضل من هارون بدرجات صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وتشبيه النبي ﷺ لعلي بهارون تكريم له، كما كرّم النبي ﷺ أبا بكر وعمر عندما شبههم بإبراهيم وعيسى وموسى ونوح[٢] عليهما السلام.

ز ـ من أقوال العلماء في شرح الحديث:

* **قال النووي ـ رحمه الله ـ** وهذا الحديث لا حجة فيه لأحد منهم، بل فيه إثبات فضيلة لعلي رضي الله عنه ولا تعرض فيه لكونه أفضل من غيره أو مثله، وليس فيه دلالة لاستخلافه بعده؛ لأن النبي ﷺ إنما قال هذا لعلي حين استخلفه في المدينة في غزوة تبوك، ويؤيد هذا أن هارون المشبه به لم يكن خليفة بعد موسى، بل توفي في حياة موسى، وقبل وفاة موسى بنحو أربعين سنة على ما هو مشهور عند أهل الأخبار والقصص، قالوا: وإنما استخلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاة[٣].

* **وقال ابن حزم ـ رحمه الله ـ** بعد أن ذكر احتجاج الإمامية بالحديث: وهذا لا يوجب له فضلاً على من سواه ولا استحقاق الإمامة بعده؛ لأن هارون لم يلِ أمر بني إسرائيل بعد موسى عليهما السلام، وإنما ولي الأمر بعد موسى ـ عليه السلام ـ يوشع بن نون فتى موسى وصاحبه الذي سافر معه في طلب الخضر عليهما السلام، كما ولي الأمر بعد رسول الله ﷺ صاحبه في الغار، الذي سافر معه إلى المدينة، وإذا لم يكن علي نبياً كما كان هارون نبياً، ولا كان هارون خليفة بعد موت موسى على بني إسرائيل؛ فصحّ أن كونه ـ رضي الله عنه ـ من رسول الله بمنزله هارون من موسى إنما هو في القرابة فقط، وأيضاً فإنما قال له رسول الله ﷺ هذا القول إذ استخلفه على المدينة في غزوة تبوك. . .

ثم قد استخلف ﷺ قبل تبوك وبعد تبوك في أسفاره رجالاً سوى علي ـ رضي الله عنه ـ؛ فصح أن هذا الاستخلاف لا يوجب لعلي ـ فضلاً على غيره ـ ولاية الأمر بعده، كما لم يوجب ذلك لغيره من المستخلفين[٤].

---

(١) مسند أحمد (١/ ٣٨٣) إسناده صحيح.
(٢) حقبة من التاريخ، ص ٢٠٠.
(٣) شرح صحيح مسلم (١٣/ ١٧٤).
(٤) الفصل (٤/ ١٥٩ ـ ١٦٠).

* **وقال ابن حجر ـ رحمه الله ـ:** واستدل بحديث الباب على استحقاق علي للخلافة دون غيره من الصحابة ؛ فإن هارون كان خليفة موسى ، وأجيب بأن هارون لم يكن خليفة موسى إلا في حياته لا بعد موته ؛ لأنه مات قبل موسى باتفاق. أشار إلى ذلك الخطابي[١] .

* **وقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:** في سياق رده على الشيعة الإمامية في استدلالهم بهذا الحديث : وقول القائل هذا بمنزلة هذا ، وهذا مثل هذا ، هو كتشبيه الشيء بالشيء يكون بحسب ما دل عليه السياق ، لا يقتضي المساواة ـ المطلقة ـ في كل شيء ، وكذلك هنا بمنزلة هارون ، وهذا الاستخلاف يسمى من خصائص علي ، بل ولا هو مثل استخلافاته فضلاً أن يكون أفضل منها ، وقد استخلف مَنْ علي أفضل منه في كثير من الغزوات ، ولم تكن تلك الاستخلافات توجب تقديم المُسْتَخلف على علي إذا قعد معه ، فكيف يكون موجباً لتفضيله على علي؟ قد استخلف على المدينة غير واحد ، وأولئك المستخلفون منه بمنزلة هارون من موسى من جنس استخلاف عليّ ، بل كان ذلك الاستخلاف يكون على أكثر وأفضل ممن استخلف عليه عام تبوك ، وكانت الحاجة إلى الاستخلاف أكثر ، فإنه كان يخاف من الأعداء على المدينة، فأما عام تبوك فإنه كان قد أسلمت العرب بالحجاز ، وفتحت مكة ، وظهر الإسلام وعزّ ، ولهذا أمر الله نبيه أن يغزو ، ولهذا لم يدع النبي ﷺ عند علي أحداً من المقاتلة ، كما كان يدع النبي ﷺ بها في سائر الغزوات بل أخذ المقاتلة[٢] كلهم .

ح ـ الحكمة في عدم تخصيص رسول الله من بعده أحداً ليتولى أمر الأمة :

إن الحكمة في عدم تخصيص رسول الله من بعده أحداً ليتولى أمر الأمة تتضح في إدراكنا لحقيقة الإسلام كدين رباني للبشرية ، وأنه لو حدد الرسول ﷺ رجلاً من بعده ، فإنه يكون قد أعطى المسوغ الشرعي ليدعي المدعون وقد فعلوا بدون برهان ـ بأن قيادة الأمة من حق أسرة بعينها ، ويصبح الحكم الوراثي هو الحكم السائد في الإسلام ، ولكن رسول الله ﷺ أراد ـ وهو لا ينطق عن الهوى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ـ أن يترك هذا الأمر مطلقاً للمسلمين أن يختاروا أصلحهم وأخيرهم ، وإن كان لمّح بعض التلميحات إلى أبو بكر ـ وكان بمقدوره عليه السلام أن يصرح ، ولكنه لم يفعل لهذا القصد ـ إلا أن التلميح لا يعطي

(١) فتح الباري (٧/ ٧٤) ؛ الانتصار للصحب والآل ، ص ٥٤٠ .
(٢) منهاج السنة (٧/ ٣٣٠ ـ ٣٣٢) ؛ مجموع الفتاوى (٤/ ٤١٦) .

شرعية التولية المباشرة ، ولو كانت هناك وصية لأحد من الخلق لما حصل اختلاف في سقيفة بني ساعدة في بداية الأمر ، ولما استشار أبو بكر الناس في تولية عمر ، ولما ترك عمر الخلافة بيد ستة من المهاجرين. . . إلخ ولو كانت المسألة وراثة لكان بنو هاشم أول من ينالون هذا الأمر[١].

إن هذا الدين للبشرية ، ولا يصح ، بأي حال من الأحوال أن يكون محصوراً في أسرة حاكمة واحدة ، ويظل متوارثاً كالمتاع ، وإذا كانت العصور التالية فعلت ذلك ، كعصر بني أمية ، وبني العباس وغيرهم، فإن هذا خلاف القاعدة الشرعية، وما كان خلاف القاعدة، فهو طارىء غريب على دين الله، وينبغي أن ينحى هذا المفهوم القاصر كلية من الفكر الإسلامي حتى يصبح ناصعاً نقياً[٢].

● بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يستدلون بها في الإمامة:

١ ـ حديث الطائر:

ومن أهم أدلة الشيعة الإمامية كذلك حديث الطائر المشوي روى الحاكم في «المستدرك» عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أخدم رسول الله ﷺ فقدم لرسول الله فرخ مشوي فقال: «اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير» ، قال: فقلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار ، فجاء علي رضي الله عنه فقلت: إن رسول الله على حاجة ثم جاء فقال رسول الله ﷺ: افتح ، فدخل ، فقال رسول الله ﷺ «ما حبسك يا علي؟» فقال: إن هذه آخر ثلاث كرات يردني أنس ، يزعم أنك على حاجة ، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ فقلت: قال: يا رسول الله ، سمعت دعاءك ، فأحببت أن يكون رجلاً من قومي ، فقال رسول الله ﷺ: «إن الرجل قد يحب قومه»[٣].

روى هذا الحديث بأسانيد لا تخلو من ضعف، بالإضافة إلى أن كثرة الروايات المسندة إلى أنس بن مالك رضي الله عنه ، وعدم صحة سند واحد منها أمر يدعو للعجب والدهشة ، فأين أصحاب أنس عن هذا الحديث وقد صحبوه السنين الطوال؟ لم نر أي واحد منهم قد روى هذا الحديث، وهم من هم في الثقة والضبط، كأمثال الحسن البصري، وثابت البناني، وحميد الطويل، وحبيب بن أبي ثابت، وبكر بن عبد الله

(١) دراسات في عهد النبوة للشجاع ، ص ٢٧٠.
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) المستدرك (٣/ ١٣٠ ـ ١٣١) ، ضعيف من حيث السند والمتن.

المزني، وأسعد بن سهل بن حنيف، وإسحاق بن عبد الله بن طلحة، وأبان بن صالح ، وإبراهيم بن ميسرة ، وغيرهم كثير ممن يروي عن أنس ولا يعرف كثير : ثم وقفت على مجلد كبير في رده وتضعيفه ـ أن حديث الطير ـ سنداً ومتناً للقاضي أبي بكر الباقلاني[١] ، وقال ابن الجوزي : قد ذكره ابن مردويه من نحو عشرين طريقاً كلها مظلم، وفيها مطعن، فلم أر الإطالة بذلك[٢]، وقال ابن تيمية : حديث الطائر من المكذوبات والموضوعات عند أهل العلم والمعرفة بحقائق النقل[٣] ، وقال الزيلعي : كم من حديث كثرت رواته وتعددت طرقه ، وهو حديث ضعيف[٤] .

٢ ـ حديث الدار :

ومن الأحاديث التي يستدل بها الشيعة الإثنا عشرية على نصية الإمامة حديث الدار ، حيث يرى الشيعة الإمامية أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه نص على إمامة علي منذ بداية البعثة وأثناء عرضه الإسلام على كفار مكة ومنذ مطالبته إياهم بترك الأوثان ، وإفراد الواحد القهار بالعبادة لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. دعاني رسول الله ﷺ فقال: «يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتك الأقربين ، فضقت بذلك ذرعاً ، وعرفت أني متى أبادئهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمت عليه حتى جاء جبرائيل ، فقال : يا محمد إنك إلاّ تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك ، فاصنع لنا صاعاً من الطعام ، واجعل عليه رجل شاة ، واملأ لنا عساً من لبن ، ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ، ثم دعوتهم له وهم يومئذٍ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه ، فيهم أعمامه وأبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب ، فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به ، فلما وضعته تناول رسول الله خدية من اللحم فشقها بأسنانه ، ثم ألقاها في نواحي الصفحة ، ثم قال : خذوا باسم الله ، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة وما أرى إلا موضع أيديهم وايم الله الذي نفسي بيده ، وإن كان الرجل الواحد منهم يأكل ما قدمت لجميعهم ، ثم قال : اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعاً ، وايم الله إن كان

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٣٥٤) .
(٢) العلل المتناهية (١/ ٢٢٥ ـ ٢٣٤) .
(٣) منهاج السنة (٤/ ٩٩) .
(٤) تحفة الأحوذي (١٠/ ٢٢٤) .

الرجل الواحد منهم ليشرب مثله» ، فلما أراد رسول الله أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: سحركم صاحبكم ، فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله ، فقال: «الغد يا علي ، إن الرجل سبقني إلى ما سمعتَ من القول ، فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ، ثم اجمعهم إليّ» . فقال: ففعلت ، ثم جمعتهم ، ثم دعاني بالطعام فقربته لهم ، ففعل كما فعل بالأمس ، فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة ، ثم قال: «اسقهم» فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعاً ، ثم تكلم رسول الله ، فقال: «يا بني عبد المطلب ، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتم به ، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم» . قال: فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت: وإني لأحدثهم سناً ، وأرمصهم عيناً ، وأعظمهم بطشاً ، وأحمشهم ساقاً[١] ، أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه ، فأخذ برقبتي ، ثم قال: «إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا» ، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع ، وفي سياق آخر (. . . . لم يجبه أحد منهم ، فقام علي وقال: أنا يا رسول الله قال: «اجلس» ثم أعاد القول على القوم ثانياً فصمتوا ، فقام علي وقال: أنا يا رسول الله ، فقال: «اجلس» ثم أعاد القول على القوم ثالثاً ، فلم يجبه أحد منهم ، فقام علي فقال: أنا يا رسول الله ، فقال: «اجلس أنت أخي»[٢] .

وهذا الحديث باطل سنداً ومتناً ، أما سنداً ففي سنده عبد الغفار بن القاسم وعبد الله بن عبد القدوس ، فأما عبد الغفار بن القاسم فهو متروك لا يُحتج به ، قال عنه علي بن المديني: كان يضع الحديث ، وقال يحيى بين معين: ليس بشيء ، وروى عباس بن يحيى: ليس بشيء ، وقال البخاري: ليس بالقوي عندهم ـ أي عند علماء الجرح والتعديل ـ وقال عنه ابن حبان: يقلب الأخبار ، ولا يجوز الاحتجاج به ، تركه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين[٣] ، وقال النسائي: متروك الحديث[٤] ، وليس عبد الله بن عبد القدوس بأحسن حالاً من سابقه ، بل هو مجروح أيضاً عند عامة علماء الحديث ،

(١) مع أن عمره آنذاك ما يقارب عشر سنوات.
(٢) المراجعات ، المراجعة ٢ (١/ ٣٥٠) من كتاب الحجج الدامغات لنقض كتاب المراجعات ، أبو مريم بن محمد الأعظمي.
(٣) المجروحين لابن حبان ، ص ١٤٣ .
(٤) الضعفاء والمتروكين للنسائي ، ص ٢١٠ .

قال النسائي: ليس بثقة ، وقال الدارقطني: ضعيف[١] .

وأما من ناحية المتن فالحديث واضح البطلان لأسباب وهي :

أ ـ هذه الرواية معارضة لرواية أخرى اتفق أهل الحديث على صحتها وثبوتها ، فقد أخرج البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لمّا نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. صعد النبي ﷺ على الصفا ، فجعل ينادي: «يا بني فهر ، يا بني عدي ، لبطون قريش» ـ حتى اجتمعوا فجعل الرجل ، إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش ، فقال: «أرأيتكم لو أخبرتُكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقيّ» ، قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً ، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» ، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا ، فنزلت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾[٢] [المسد: ٢].

ب ـ الشيعة الاثنا عشرية طالما ادعوا النص الصريح على خلافة علي ، وأنه هو الوصي والمستحق الوحيد لهذا المنصب ، وأن النصوص متضافرة في إثبات ذلك ، وهذا الحديث يدحض قولهم ، إذ فيه أن النبي ﷺ دعا قومه لنصرته ، وأنّ من يقبل نصرته فسيصبح أخاه ووصيه وخليفته من بعده ، ولم يخص علياً بذلك ، بل وأعرض عنه ثلاث مرات ، ولمّا لم يجد ناصراً غير عليّ قال له ما قال ، وهذا يدل على أنّ علياً لا يستحق هذا المنصب ابتداء ، وأن النبي ﷺ اضطر مع إحجام قومه أن يجعل هذا الأمر في عليّ ، فهل هذا يتوافق مع ما يدعيه القوم من أن علياً منصوص عليه من قبل السماء[٣]

٣ ـ حديث: أنا مدينة العلم وعلي بابها: وأحاديث أخرى موضوعة :

والأحاديث الموضوعة في هذا الباب كثيرة جداً ، ومن ذلك ما رواه جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا مدينة العلم وعلي بابها». فهذا الخبر مطعون فيه ، إذ أنكره البخاري، وقال عنه يحيى بن معين: لا أصل له، وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات»، وقال النووي والذهبي: إنه موضوع[٤]. ويقول الألباني ، وحديث: «أنا مدينة العلم

---

(١) ميزان الاعتدال (٢/ ٤٥٧).

(٢) البخاري ، رقم ٤٤٩٢.

(٣) ثم أبصرت الحقيقة ، ص ٢٢٤.

(٤) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، ص ٧١ رقم ٢٥٧ ؛ الفتاوى (٤/ ٤١٠).

وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب» ، موضوع ، رواه العقيلي في «الضعفاء» وابن عدي في «الكامل» ، والطبراني في «الكبير» والحاكم عن ابن عباس ، ورواه ابن عدي والحاكم عن جابر رضي الله عنه[١] .

وكذلك حديث : «من ناصب علياً بالخلافة فهو كافر» ، فلا أثر له بوجه في كتب أهل السنة[٢] ، أصلاً .

وهذه النماذج تكشف عن ضعف ما استند إليه الإمامية من حجج اختصاص علي رضي الله عنه وتعيينه دون غيره للخلافة .

ويؤيد هذا ما ذهب إليه ابن خلدون من أن ما استدل به الشيعة الإمامية من نصوص إنما هي نصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم ، لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة ، بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم[٣] .

وما أورده ابن حزم من أن سائر الأحاديث التي تتعلق بها الشيعة الإمامية فموضوعة ، يعرف ذلك من له أدنى علم بالأخبار ونقلها[٤] ، ويعترف الكاتب الشيعي ابن أبي الحديد بأثر الشيعة في وضع الأحاديث لتأييد مذهبهم في الإمامة فيقول : إن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة ، فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلقة في صاحبهم ، حملهم على وضعها عداوةُ خصومهم ، فلما رأت البكرية (يريد بعض السنيّين) ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها «أبي بكر» أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث . . . فلمّا رأت الشيعة ما قد وضعت البكرية . أوسعوا في وضع الأحاديث ، ولقد كان الفريقان في غُنيةٍ عما اكتسباه ، ولقد كان في فضائل علي الثابتة الصحيحة وفضائل أبي بكر المحققة المعلومة ما يغني عن تكلف العصبية[٥] .

ورغم ضعف هذه الحجج وعدم قوتها فإننا نجد أن بعض الشيعة الإمامية المعاصرين لا زالوا يرددونها في كتاباتهم ، ويستشهدون بها لإثبات معتقداتهم في الإمامة ، وهذا أحد أئمتهم يذهب إلى أن الرسول يعتبر غير مبلغ للرسالة لو لم يعين علياً خليفة من

---

(١) ضعيف الجامع الصغير (٢/ ١٣) ، رقم ١٤١٦ .

(٢) منهاج السنة (٤/ ١٠٧ ، ١٠٨) ؛ دراسة عن الفرق ، جلي ، ص ١٩٥ .

(٣) المقدمة ، ابن خلدون ، ص ١٩٧ .

(٤) الفصل ، (ابن حزم) (٤/ ١٤٨) .

(٥) شرح نهج البلاغة (١١/ ٤٨ ـ ٥٠) ، نقلاً عن دراسة عن الفرق ، لشيخي الدكتور أحمد جلي ، ص ١٩٥ ـ١٩٦ .

بعده[١] ، ويقول: إن الرسول الكريم قد كلمه الله وحياً أن يبلغ ما أنزل الله إليه فيمن يخلفه في الناس ، ويحكم هذا الأمر ، فقد اتبع ما أمر به وعين أمير المؤمنين علياً للخلافة[٢] . وقولهم هذا يناقض كلَّ ما يدّعونه من آيات وأحاديث يستدلون بها بالإمامة ، لأنه يلزم من قولهم هذا إلى واقعة حديث غدير خم لم يكن الله سبحانه وتعالى ورسوله نصّا على إمامة علي .

ويكفي في نقد عقيدة الإمامة عند الشيعة الإمامية أنه لا سند لهم فيها إلا عبد الله بن سبأ ، الذي بدأ يشيع القول بأن الإمامة هي وصية من النبي ﷺ ، ومحصورة بالوحي ، وإذا تولاها سواه يجب البراءة منه وتكفيره ، فقد اعترفت كتب الشيعة بأن ابن سبأ كان أول من أشهر القول بفرض إمامة علي، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه وكفرهم[٣]، لأنه كان يهودي الأصل يرى أن يوشع بن نون هو وصي موسى، فلما أسلم أظهر هذه المقالة في علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٤] .

* * *

(١) دراسة عن الفرق ، ص ١٩٦ .
(٢) الحكومة الإسلامية للخميني ، ص ٤٢ ، ٤٣ ؛ دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ، ص ٩٦ .
(٣) رجال الكشي ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ ؛ أصول مذهب الشيعة الإمامية (٢/ ٧٩٢) .
(٤) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٧٩٢) .

الفَصْلُ الرَّابِعُ

التوحيد عند الإمامية الاثنا عشرية

جعل الشيعة الإمامية العقيدة في الإمام أساساً لمذهبهم وركناً من أركان الدين ، وأصبح الإمام عندهم جزءاً من العقيدة وينسب الشيعة الإمامية إلى بعض أئمتهم القول بأن من أصبح من هذه الأمة لا إمام له أصبح ضالاً تائهاً إن مات على هذا الحال مات ميتة جاهلية[١] ، ذلك لأن الإمام في تصور الشيعة الإمامية يختلف اختلافاً كلياً عن تصور المسلمين جميعاً لخليفتهم ، إذ إن المسلمين يعدون الإمام أو خليفة المسلمين شخصاً عادياً في تكوينه ومعارفه ، وإن دوره لا يتجاوز دور المنفذ لشرع الله ، وإنه يعرض له الخطأ والانحراف ، كما يعرض لسائر الناس فيقوم ويعارض إذا خالف أمر الله ، وفوق هذا ، فإن الخليفة يختار وينتخب من قبل الجماعة المسلمة وفقاً لمبدأ الشورى[٢] . وخلافاً لهذا التصور يذهب الشيعة الإمامية إلى أن الأئمة كانوا قبل هذا العالم أنواراً ، وأن لهم ولاية تكوينية إلى جانب الولاية الحكمية ، وقد نسبوا إلى رسول الله ﷺ حديثاً أسندوه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٣] .

ويقول أحد أئمة الشيعة الإمامية المعاصرين: وثبوت الولاية والحاكمية للإمام ، لا يعني تجرده من منزلته التي هي له عند الله ، ولا تجعله مثل من عداه من الحكام ، فإن للإمام مقاماً محموداً ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون ، وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرّب ولا نبي مرسل ، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث ، فإن الرسول الأعظم ﷺ والأئمة (عليهم السلام) ، كانوا قبل هذا العالم أنواراً ، فجعلهم الله بعرشه محدقين ، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلا الله . وقد قال جبرائيل ـ كما ورد في روايات المعراج ـ

(١) دراسة الفرق وتاريخ المسلمين ، ص ١٩٧ .
(٢) النظام السياسي للدولة الإسلامية ، ص ١٤٧ ـ٢٣٦ .
(٣) دراسة الفرق وتاريخ المسلمين ، ص ١٩٨ .

لو دنوت أنملة لاحترقت. وقد ورد عنهم عليهم السلام: أن لنا مع حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل[١]، وبناء على هذا التصور للإمام فإن دوره لا يقف عند تنفيذ شرع الله بل له هيمنة على شؤون الكون ومجرياته، فعلي عندهم الحاكم المهيمن الشرعي على شؤون البلاد والعباد وأن الملائكة تخضع له، ويخضع له الناس حتى الأعداء منهم، لأنهم يخضعون للحق في قيامه وقعوده وفي كلامه وصمته وفي خطبه وصلواته وحروبه[٢].

وقد أثر اعتقاد الشيعة الإمامية في الأئمة على عقيدتها في توحيد الله سبحانه بسبب الغلو وإليك بيان ذلك:

١ ـ نصوص التوحيد جعلوها في ولاية الأئمة:

فأول ما نفاجأ به أن نصوص القرآن التي تأمر بعبادة الله وحده، غيروا معناها إلى الإيمان بإمامة علي والأئمة، والنصوص التي تنهى عن الشرك جعلوا المقصود بها الشرك في ولاية الأئمة، ففي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

جاء في «الكافي»[٣] ـ أصح كتاب عندهم في الرواية، وفي تفسير القمي[٤] ـ عمدة تفاسيرهم ـ وفي غيرهما من مصادرهم المعتمدة[٥]، تفسيرها بما يلي: يعني إن أشركت في الولاية غيره[٦]، وفي لفظ آخر: لئن أمرت بولاية أحد مع ولاية علي من بعدك ليحبطن عملك[٧]، وقد ساق صاحب «البرهان في تفسير القرآن» أربع روايات لهم في تفسير الآية السابقة بالمعنى المذكور[٨]، وقد جاء في سبب نزولها عندهم: إن الله عز وجل حيث أوحى إلى نبيه ﷺ أن يقيم علياً للناس علماً اندس إليه معاذ بن جبل فقال: أشرك في ولايته الأول والثاني (يعنون أبا بكر وعمر)، حتى يسكن الناس إلى قولك ويصدقوك فلما أنزل الله عز وجل ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]

---

(١) الحكومة الإسلامية، آية الله الخميني، ص ٩٣، ٩٤.
(٢) دراسة في الفرق في تاريخ المسلمين، ص ٢٠٠.
(٣) أصول الكافي (١/ ٤٢٧)، رقم ٧٦.
(٤) تفسير القمي (٢/ ٢٥١).
(٥) البرهان (٤/ ٨٣)؛ وتفسير الصافي (٤/ ٣٢٨).
(٦) هذا لفظ الكليني في الكافي؛ أصول الشيعة (٢/ ٥١٩).
(٧) أصول الشيعة (٢/ ٥١٩).
(٨) البرهان (٤/ ٨٣)؛ أصول الشيعة (٢/ ٥١٩)

شكا رسول الله إلى جبرائيل فقال: إن الناس يكذبوني ولا يقبلون مني، فأنزل الله عز وجل ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٥] وحتى يدرك القارىء مدى تحريفهم لآيات الله وعملهم لتغيير الآية وما قبلها وما بعدها وتتبع ذلك بيان معناها قال تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٤ ـ ٦٦].

فالآية كما هو واضح من سياقها تتعلق بتوحيد الله في عبادته، فهم غيروا الأمر، فاعتبروا الآية متعلقة بعلي، مع أنه ليس له ذكر في الآية أصلاً، فكأنهم جعلوه هو المعبر عنه بلفظ الجلالة (الله) وجعلوا «العبادة» هي الولاية. والآية واضحة المعنى بينة الدلالة، ليس بين معناها وتأويلهم المذكور أدنى صلة[١].

قال أهل العلم في تفسيرها: إن الله سبحانه أمر نبيه أن يقول هذا للمشركين لما دعوه إلى ما هم عليه من عبادة الأصنام، وقالوا: هو دين آبائك[٢]. والمعنى: قل يا محمد لمشركين قومك: أتأمرونني بعبادة غير الله أيها الجاهلون بالله، ولا تصلح العبادة لشيء سواه سبحانه. ولما كان الأمر بعبادة غير الله لا يصدر إلا عن غبي جاهل ناداهم بالوصف المقتضي ذلك فقال: ﴿ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ [الزمر: ٦٤].

ثم بين سبحانه أنه قد أوحى إلى نبيه وإلى الرسل من قبله: لئن أشركتَ بالله ليبطلنَ عملُك. وهذا في بيان خطر الشرك وشناعته، وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يباشره فكيف بمن عداه؟ ثم قال سبحانه: ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ ﴾ لا تعبد ما أمرك به المشركون، بل أعبد الله وحده دون كل ما سواه من الآلهة والأوثان[٣]. فالمعنى كما ترى واضح جلي، لا يلتبس إلا على صاحب هوى مغرض، قد أعماه هواه عن رؤية الحق..

فهذه الزمرة التي وضعت هذه الروايات كان جل همها، وغاية قصدها البحث عن سند لدعواهم في الإمامة في القرآن الكريم حتى ولو حرفوا آيات الله، فكانت تخبط في هذا الأمر خبط عشواء، لا تستند في الاستدلال إلى أصل في لغة أو عقل فضلاً عن الشرع

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٢٠).
(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٦٧)؛ تفسير البغوي (٤/ ٢٨٤).
(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٢٤)؛ تفسير القرطبي (١٥/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧)؛ فتح القدير (٤/ ٤٧٤)، روح المعاني للآلوسي (٢٤/ ٢٣ ـ ٢٤).

والدين ، كما يظهر في النص الإساءة للنبي ﷺ بتصويره في موقف الخائف الوجل من قومه ، المتردد في تنفيذ أمر ربه ، حتى إنه لم يفارق هذا الموقف إلا حينما نزل عليه التهديد بإحباط عمله(١) .

٢ ـ الولاية أصل قبول الأعمال عندهم:

قالوا : إن الله عز وجل نصب علياً علماً بينه وبين خلقه فمن عرفه كان مؤمناً ، ومن أنكره كان كافراً ، ومن جهله كان ضالاً ، ومن نصب معه شيئاً كان مشركاً ، ومن جاء بولايته دخل الجنة(٢) ، وقالوا : فإن من أقر بولايتنا ثم مات عليها قبلت منه صلاته ، وصومه ، وزكاته ، وحجه ، وإن لم يقر بولايتنا بين يدي الله جل جلاله لم يقبل الله عز وجل شيئاً من أعماله(٣) ، وزعموا أن جبرائيل عليه السلام نزل على النبي ﷺ فقال : يا محمد ، السلام يقرئك السلام ويقول : خلقت السموات السبع وما فيهن ، والأرضين السبع وما عليهن ، وما خلقت موضعاً أعظم من الركن والمقام ، ولو أن عبداً دعاني هناك منذ خلقت السموات والأرضين ثم لقيني جاحداً لولاية علي لأكببته في سقر(٤) ، والروايات في هذا المعنى كثيرة وكلها باطلة لا يصح منها شيء ، وكل هذه الروايات ليست من الإسلام في شيء ، فأمامنا كتاب الله سبحانه ليس فيه مما يدعون شيء ، وهو الفيصل الأول ، والمرجع الأول في كل خلاف ، فالقرآن الكريم ذكر أن أصل قبول الأعمال هو التوحيد ، وسبب الحرمان هو الشرك ، قال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ ﴾ [المائدة: ٧٢] وقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء: ٤٨] وكل ما ذكر من مبالغات الشيعة الإمامية تكذبها آيات القرآن ، فالله سبحانه يقول : ﴿ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ [البقرة: ٦٢]. ولم يذكر سبحانه من ضمن ذلك الولاية ، وكذلك قال سبحانه : ﴿ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [المائدة: ٦٩] ، وهم يزعمون أن ولاية الأئمة الاثني عشر أعظم من الصلاة وسائر أركان الإسلام ، والصلاة ذكرت في القرآن بلفظ صريح واضح في أكثر من ثمانين موضعاً ، ولم تذكر ولايتهم مرة

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٢٢).
(٢) أصول الكافي (١/ ٤٣٧).
(٣) أمالي الصدوق ، ص ١٥٤ ـ ١٥٥ .
(٤) أمالي الصدوق ، ص ٢٩٠ ؛ بحار الأنوار (٢٧/ ١٦٧).

واحدة ، فهل أراد جل شأنه ضلال عباده ، أو لم يبين لهم طريق الوصول إليه سبحانك هذا بهتان عظيم : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ [التوبة: ١١٥]. وقد جاء في رواياتهم ما ينقض ما قالوه ، وإن كانت لا تلبث تأويلاتهم أو تقيتهم من وأد مثل هذه النصوص المعتدلة، ولكن نذكر ذلك لعل عاقلاً يتعظ، أو غافلاً ينتبه ، أو نائماً يستيقظ ، ولإقامة الحجة على المعاند من كتبه ، وبيان ما عليه نصوصهم من تناقض. . جاء في تفسير فرات: قال علي بن أبي طالب: سمعت رسول الله يقول لما نزلت: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى: ٢٣] قال جبرائيل: يا محمد إن لكل دين أصلاً ودعامة ، وفرعاً وبنياناً ، وإن أصل الدين ، ودعامته قول: لا إله إلا الله ، وإن فرعه وبنيانه محبتكم أهل البيت وموالاتكم فيما وافق الحق ودعا إليه[١]. فهذا النص يخالف ما تذهب إليه أخبارهم، حين يجعل أصل الدين شهادة التوحيد، لا الولاية ويعد محبة أهل البيت هي الفرع ، وهي مشروطة بمن وافق الحق منهم ودعا إليه[٢].

٣ ـ اعتقادهم أن الأئمة هم الواسطة بين الله وخلقه:

يقول الشيعة الإمامية: إن الأئمة الاثني عشرية هم الواسطة بين الله وخلقه ، قال المجلسي عن أئمته: فإنهم حجب الرب ، والوسائط بينه وبين الخلق[٣] ، وعقد لذلك باباً بعنوان: باب أن الناس لا يهتدون إلا بهم ، وأنهم الوسائل بين الخلق وبين الله ، وأنه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم[٤] ، وجاء في كتاب «عقائد الإمامية» أن الأئمة الاثني عشر هم: أبواب الله والسبل إليه. . . إنهم كسفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلّف عنها غرق[٥] ومن المسائل الموجودة في كتبهم ومصادرهم والتي هي تصب في هذه المعاني :

أ ـ قولهم: لا هداية للناس إلا بالأئمة:

قال أبو عبد الله ـ على حد زعمهم ـ بلية الناس عظيمة ، إن دعوناهم لم يجيبونا ، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا[٦] وتقول أخبارهم: قال أبو جعفر: بنا عُبِد الله ، وبنا عرف

---

(١) تفسير فرات ، ص ١٤٨ ـ ١٤٩ ؛ بحار الأنوار (٢٣/ ٢٤٧).

(٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٣٥).

(٣) بحار الأنوار (٢٣/ ٩٧).

(٤) المصدر السابق (٢٣/ ٩٧).

(٥) عقائد الإمامية للمظفر ، ص ٩٨ ـ٩٩ .

(٦) أمالي الصدوق ، ص ٣٦٣ ؛ أصول الشيعة (٢/ ٥٣٩).

الله ، وبنا وحد الله[١] ، فهذه النصوص لا تنفي الهداية عن الأمة ، ولكن تجعل مصدرها الأئمة والحق أن الهداية بمعنى التوفيق إلى الحق وقبوله، لا يملكها إلا رب العباد، ومقلب القلوب والأبصار ، والذي يحول بين المرء وقلبه ، والذي إذا قال للشيء : كن فيكون . . والشيعة الإمامية في إطلاقها هذه العبارات بلا أيّ قيد تجعل لأئمتها مشاركة لله في هذه الهداية ، والله سبحانه هو الهادي وحده لا شريك له[٢] ، قال تعالى : ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [الكهف : ١٧] ويقول لنبيه ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص : ٥٦] ، أما هداية الدلالة على الحق والإرشاد إليه فهذه وظيفة الرسل ومن تبعهم بإحسان، ولا تنحصر في الأئمة الاثني عشر . ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ [يوسف : ١٠٨] ، وإطلاق القول بأن هداية العباد لا تتم إلا بالأئمة جرأة على الله[٣] .

ب ـ قولهم : لا يقبل الدعاء إلا بأسماء الأئمة :

قالوا : لا يفلح من دعا بغير الأئمة ، ومن فعل ذلك فقد هلك ، جاء في أخبارهم عن الأئمة : من دعا الله بنا أفلح ، ومن دعا بغيرنا هلك واستهلك[٤] ، وبلغت جرأتهم في هذا الباب أن قالوا : إن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والاستشفاع بهم صلوات الله عليهم أجمعين[٥] . هذا ما تقوله الشيعة الإمامية ، ولكن الله يقول : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ ﴾ [الأعراف : ١٨٠] ، ولم يقل سبحانه : فادعوه بأسماء الأئمة ومقامات الأئمة أو مشاهدهم . كما قال جل شأنه : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠]، ولو كان أساس قبول الدعاء ذكر أسماء الأئمة لقال : ادعوني بأسماء الأئمة استجب لكم، بل إن هذا الأمر الذي تدعيه الشيعة الإمامية من أسباب رد الدعاء وعدم قبوله ، لأن الإخلاص في الدعاء لله أصل في الإجابة والقبول . قال تعالى : ﴿ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر : ١٤] ﴿ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ ﴾ [الأعراف : ٢٩] وهؤلاء الأئمة من سائر البشر ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن

---

(١) بحار الأنوار (٢٣/ ١٠٣) .
(٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٤٠) .
(٣) المصدر السابق نفسه .
(٤) وسائل الشيعة (٤/ ١١٤٢) ؛ أصول الشيعة (٢/ ٥٤١) .
(٥) وهذا أحد أبواب بحار الأنوار (٢٦/ ٣١٩) .

﴿كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤]. ولم يجعل الله عز وجل بينه وبين خلقه في عبادته ودعائه ولياً صالحاً ولا ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً، بل الجميع عباد الله ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢] وقوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣].

وأما دعوى أن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل بالأئمة فهي دعوى باطلة، إنما الأنبياء دعوا الله عز وجل باسمه سبحانه وبوحدانيته جل شأنه، وأيوب عليه السلام توسل بأسماء الله الحسنى ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣ ـ ٨٤] وأما يونس عليه السلام فتوسل لله بوحدانيته، قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧ ـ ٨٨].

والكلمات التي قالها آدم عليه السلام وزوجه هي كما قال الله سبحانه ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وهذه المقالة من الشيعة الإمامية معلوم فسادها من الدين بالضرورة وقد نقلت كتب الشيعة الإمامية نفسها ما يناقض هذه الدعوى عن الأئمة في مناجاتهم لله ودعائهم له، وما من إمام إلا قد رووا عنه الكثير من الدعاء ومناجاته وقد أتى على أكثره المجلسي في «بحاره»[(١)].

ج ـ إن الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى بيت الله:

قولهم: إن الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى بيت الله: قال ابن تيمية: حدثني الثقات أن فيهم من يرى الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى البيت العتيق[(٢)].

وجاء في «الكافي» وغيره: إن زيارة قبر الحسين تعدل عشرين حجة، وأفضل من عشرين عمرة وحجة[(٣)]، وخصت الروايات الشيعية الموضوعة زيارة الحسين يوم عرفة

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٤٥).

(٢) منهاج السنة (٢/ ١٢٤).

(٣) ثواب الأعمال، ابن بابويه، ص ٥٢؛ تهذيب الأحكام للطوسي (٢/ ١٦).

بفضل خاص ، تقول : من أتى قبر الحسين عارفاً بحقه في غير يوم عيد كتب الله له عشرين حجة وعشرين عمرة مبرورات مقبولات . . ومن أتاه في يوم عيد كتب الله له مئة حجة ومئة عمرة ، ومن أتاه يوم عرفة عارفاً بحقه كتب الله ألف حجة ، وألف عمرة مبرورات متقبلات ، وألف غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل[١] ، وليست زيارة قبر الحسين عند هؤلاء أفضل من الحج فحسب ، بل هي أفضل الأعمال ، جاء في رواياتهم ، إن زيارة قبر الحسين : أفضل ما يكون من الأعمال[٢] ، وفي رواية أخرى : من أحب الأعمال زيارة قبر الحسين[٣] . وهكذا تنسى شرائع الإسلام وأوامره ، ويهتم بالقبور والأضرحة ويجعلونها من أفضل الأعمال بلا دليل ، ليشرعوا من الدين ما لم يشرعه الله[٤] .

وقد جعل هؤلاء القوم زيارة الأضرحة فريضة من فرائض مذهبهم ووضعوا لها مناسك كمناسك الحج إلى بيت الله الحرام ، قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وقد صنف شيخهم ابن النعمان المعروف عندهم بالمفيد كتاباً سماه «مناسك المشاهد» جعل قبور المخلوقين تحج كما تحج الكعبة البيت الحرام الذي جعله الله قياماً للناس ، وهو أول بيت وضع للناس ، فلا يطاف إلا به ، ولا يصلى إلا إليه ، ولم يأمر إلا بحجه[٥] ، ومن رجع إلى مصادر الشيعة الإمامية التي تتحدث عن المشاهد يرى العجب العجاب ، والانحراف عن كتاب الله وهدي الرسول ﷺ ، ومن أراد التوسع فلينظر إلى كتاب «أصول مذهب الشيعة الإمامية»[٦] .

إن للمسلمين كعبة واحدة يتجهون إليها في صلاتهم ودعائهم ، ويحجون إليها ، ويطوفون بها ، أما الشيعة الإمامية فلهم مزارات ومشاهد عبارة عن أضرحة الموتى من الأئمة[٧] ، وهذا كله مما نهى الله عنه ورسوله ، وكل ما نهى الله عنه ورسوله فهو مذموم منهي عنه سواء كان فاعله منتسباً إلى السنة أو إلى التشيع .

وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي ﷺ لم يأمر بما ذكروه من أمر المشاهد ،

---

(١) فروع الكافي للكليني (١/ ٣٢٤) ؛ من لا يحضره الفقيه ، بابويه (١/ ١٨٢) .
(٢) كامل الزيارات ، ص ١٤٦ ؛ أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٦١) .
(٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٦١) .
(٤) المصدر السابق نفسه .
(٥) منهاج السنة (١/ ١٧٥) ؛ مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٩٨) .
(٦) أصول مذهب الشيعة الإمامية (٢/ ٥٥٠ إلى ٥٨٦) .
(٧) المصدر السابق نفسه (٢/ ٥٨٠) .

ولا شرع لأمته مناسك عند قبور الأنبياء والصالحين ، بل هذا من دين المشركين الذي قال الله تعالى فيهم : ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح : ٢٣] ، قال ابن عباس وغيره : هؤلاء . . . أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت[١] .

وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ لأبي الهياج الأسدي : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ ألاّ تدع تمثالاً إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته[٢] ، وهذا المعنى أقرت به بعض روايات الشيعة ، فقد روى الكليني عن أبي عبد الله ، قال أمير المؤمنين : بعثني رسول الله ﷺ إلى المدينة فقال : لا تدع صورة إلا محوتها ولا قبراً إلا سويته[٣] ، وعن أبي عبد الله قال : نهى رسول الله ﷺ وآله أن يصلى على قبر أو يقعد عليه أو يبنى عليه[٤] ، وعن أبي عبد الله قال : لا تبنوا على القبور . فإن رسول الله ﷺ كره ذلك[٥] ، وعنه أيضاً عن آبائه عن رسول الله نهى أن تجصص المقابر[٦] .

وقد زعم الحر العاملي أن هذا النهي يشمل كل قبر : غير قبر النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام ، وأن هذا النهي لمجرد الكراهة[٧] . وصيغة العموم واضحة في هذه الروايات . كما أن دلالة التحريم بينة ، ولا دليل عند العاملي سوى ما شذت به طائفته في واقعها وفي جملة من رواياتها ، والشذوذ دليل على البطلان لمخالفته لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة بما فيهم أهل البيت الذين أثر عنهم التحذير من ذلك ، لأن ذلك وسيلة للشرك بالله ، ثم إن الحكمة التي ورد من أجلها النهي لا تفرق بين قبر وقبر ، وقد يكون الخطر في قبور الأئمة أشد لعظيم الافتتان بهم ، ولهذا كان أصل الشرك هو الغلو في الصالحين[٨] .

---

(١) البخاري ، فتح الباري (٨/ ٦٦٧) ، موقف عبد الله بن عباس من حكم المرفوع قاله الألباني في شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٨٠ .
(٢) مسلم ، كتاب الجنائز ، رقم ٩٦٩ .
(٣) فروع الكافي (٢/ ٢٢٧) ؛ وسائل الشيعة (٢/ ٨٦٩) .
(٤) تهذيب الأحكام للطوسي (١/ ١٣٠) ؛ وسائل الشيعة (٢/ ٨٦٩) .
(٥) تهذيب الأحكام (١/ ٣٠) ؛ المحاسن للبرقي ، ص ٦١٢ .
(٦) من لا يحضره الفقيه (٢/ ١٩٤) ؛ ابن بابويه ، وسائل الشيعة (٢/ ٨٧٠) .
(٧) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٨٤) .
(٨) تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٠٥ .

٤ ـ قولهم: إن الإمام يحرِّم ما يشاء ويحلُّ ما يشاء:

تزعم الشيعة الإمامية في رواياتها أن الله سبحانه وتعالى: خلق محمداً وعلياً وفاطمة فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء، فأشهدهم خلقها، وأجرى طاعتهم عليها، وفوض أمورهم إليها، فهم يحلون ما يشاؤون، ويحرمون ما يشاؤون[١]، وشرح شيخهم المجلسي النص السابق: فقال: وأجرى طاعتهم عليها، أي أوجب وألزم على جميع الأشياء طاعتهم حتى الجمادات من السماويات والأرضيات، كشق القمر، وإقبال الشجر، وتسبيح الحصى وأمثالها مما لا يحصى، وفوض أمورها إليهم من التحليل والتحريم والعطاء والمنع[٢]... وجاءت الرواية عندهم صريحة بهذا فيما ذكره المفيد في «الاختصاص»، والمجلسي في «البحار» وغيرهما عن أبي جعفر قال: من أحللنا له شيئاً أصابه من أعمال الظالمين[٣] فهو حلال لأن الأئمة منا مفوض إليهم، فما أحلوا فهو حلال، وما حرموا فهو حرام[٤].

ومن المعلوم في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن من أصول التوحيد الإيمان بأن الله سبحانه هو المشرع وحده سبحانه يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء، لا شريك له في ذلك، ورسل الله يبلغون شرع الله لعباده، ومن ادعى أن له إماماً يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء فهو داخل في قوله سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

إن حق التشريع لا يملكه إلا رب العباد، والرسل عليهم الصلاة والسلام إنما هم مبلغون عن الله سبحانه، لا يحرمون ولا يحلون إلا ما يأمرهم الله به، ويوحيه إليهم قد قال الله جل شأنه فيمن اتبع مشايخه فيما يحلون ويحرمون من دون شرع الله وحكمه قال سبحانه: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] فجعل سبحانه اتباعهم فيما يحلون من الحرام ويحرمون من الحلال كما جاء في تفسير

---

(١) أصول الكافي (١/ ٤٤١)؛ بحار الأنوار (٢٥/ ٣٤٠).

(٢) بحار الأنوار (٢٥/ ٣٤١ ـ ٣٤٢).

(٣) الظالمون في معتقدهم هم خلفاء الدولة الإسلامية، ما عدا أمير المؤمنين علياً وابنه الحسين رضي الله عنهما؛ لأن بقية أئمتهم لم يتولوا الخلافة ولا يوماً واحداً وكل خليفة من غيرهم هو ظالم وغاصب لحق الأئمة على حد زعمهم.

(٤) الاختصاص، ص ٣٣٠؛ بحار الأنوار (٢٥/ ٣٣٤).

الآية[١] عبادة لهم ، حيث ، تلقوا الحلال والحرام من جهتهم ، وهو أمر لا يتلقى إلا من جهة الله عز وجل[٢] .

٥ ـ قولهم: بأن الدنيا والآخرة كلها للإمام يتصرف بها كيف يشاء:

عقد صاحب «الكافي» لهذا باباً بعنوان : باب أن الأرض كلها للإمام[٣] ، ومما جاء فيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء ، ويدفعها إلى من يشاء جائز له ذلك من الله[٤] .

فهذا النص شرك في ربوبية الله سبحانه ، لأن الله جل شأنه يقول : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ [البقرة: ١٠٧] ويقول سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [المائدة: ١٨] ويقول جل شأنه : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ﴾ [المائدة: ١٢٠] وقال : ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾ [الفرقان: ٢] ، وقال سبحانه: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴾ [النجم: ٢٥] ، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ﴾ [سبأ: ٢٤] وقال سبحانه : ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [فاطر: ٣] وقال : ﴿ فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ﴾ [العنكبوت: ١٧] فهو سبحانه المتفرد بالملك والرزق والتدبير لا شريك له في ذلك[٥] .

٦ ـ إسناد الحوادث الكونية إلى الأئمة:

عن سماعة بن مهران قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ، فأرعدت السماء وأبرقت ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : أما إنه ما كان من هذا الرعد ومن هذا البرق فإنه من أمر صاحبكم ، قلت : من صاحبنا؟ قال أمير المؤمنين عليه السلام[٦] . يعني كل ما وقع من رعد وبرق فهو من أمر علي ، لا من أمر الواحد القهار ، فماذا يستنبط المسلم المنصف من هذه الرواية ، والله جل شأنه يقول : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا

(١) تفسير الطبري (١/ ١١٣ ـ ١١٤) ؛ تفسير ابن كثير (٢/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤) .
(٢) تفسير ابن عطية (٨/ ١٦٦) .
(٣) أصول الكافي (١/ ٤٠٧ ـ ٤١٠) .
(٤) المصدر السابق (١/ ٤٠٩) .
(٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٢٢) .
(٦) الاختصاص للمفيد ، ص ٣٢٧ ؛ بحار الأنوار (٢٧/ ٣٣) .

﴿وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ [الرعد: ١٢]؟ أليست هذه هي السبئية قد أطلت برأسها المشوه من خلال كتب الاثني عشرية؟ أليس هذا إدعاء لربوبية علي رضي الله عنه، أو أن له شركاً في الربوبية؟ كيف يتجرأ قلم المجلسي ومن قبله المفيد على كتابة هذه الأسطورة ونسبتها إلى جعفر؟ فإن هذا الإيحاء لا يخفى على أمثالهم، والعجب من قوم يستقون دينهم من كتب حوت هذا الغثاء، ويعظمون شيوخاً يجاهرون بهذا البلاء، أليس في هذه الطائفة صاحب عقل ودين يعلن الصيحة والنكير على هذا الضلال المنتشر، ويبرىء أهل البيت الأطهار من هذا الدرن القاتل، وينقي ثوب التشيع ممن لطخه به شيوخ الدولة الصفوية من ضلال، أم أن كل صوت صادق إما أن يعاجل بالقتل كما فعلوا مع الكسروي، أو يحمل قوله على التقية كما صنعوا في الكثير من رواياتهم، وطائفة من أقوال شيوخهم، فهل وصل هذا المذهب في سبيل دعوته إلى نور الحق إلى طريق مسدود[١]؟.

٧ ـ الجزء الإلٰهي الذي حلَّ في الأئمة:

وترد روايات عند الشيعة الإمامية تدعي بأن جزءاً من النور الإلهي حل بعلي[٢]، قال أبو عبد الله: ثم مسحنا بيمينه فأفضى نوره فينا[٣]. ولكن الله خلطنا بنفسه[٤]. وهذا الجزء الإلهي الذي في الأئمة ـ كما يزعمون ـ أعطوا به قدرات مطلقة، ولذلك فإن من يقرأ ما يسمونه معجزات الأئمة ـ وتبلغ مئات الروايات ـ يلاحظ أن الأئمة أصبحوا كرب العالمين ـ تعالى وتقدس عما يقولون ـ في الإحياء والإماتة والخلق والرزق[٥]. إلا أن رواياتهم تربط هذا بأنه من الله كنوع من التلبيس والإيهام، ويكفي في فساده مجرد تصوره، إذ هو مخالف للنقل والعقل والسنن الكونية، كما هو منقوض بواقع الأئمة وإقراراتهم، حيث يزعم الشيعة أن الأئمة عاشوا مظلومين ومضطهدين، ورسول الهدى ﷺ يقول ـ كما أمره ربه ـ ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]. ومن الطريف أن كتب الشيعة الإمامية مع تعظيم الأئمة والغلو فيهم تروي ما يخالف هذا، لتثبت تناقضها فيما تقول، كالعادة في كل كذب وباطل، فقد جاء في رجال الكشي أن جعفر بن محمد قال: فوالله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضر

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٢٤).
(٢) المصدر السابق نفسه (٢/ ٦٢٨).
(٣) أصول الكافي (١/ ٤٤٠)؛ المصدر السابق (١/ ٤٤١ ـ ٤٤٢).
(٤) أصول الكافي (١/ ٤٣٥).
(٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٢٨).

ولا نفع ، وإن رحمنا فبرحمته ، وإن عذبنا فبذنوبنا ، والله ما لنا على الله حجة ، ولا معنا من الله براءة ، وإنا لميتون ومقبورون ، ومنشورون ، ومبعوثون وموقوفون ومسؤولون ، ويلهم ، مالهم لعنهم الله فقد آذوا الله وآذوا رسوله ﷺ في قبره ، وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسن ومحمد بن علي صلوات الله عليهم. . . أشهدكم أني امرؤ ولدني رسول الله ﷺ وما معي براءة من الله ، إن أطعته رحمني ، وإن عصيته عذبني عذاباً شديداً[(١)] ، ولكن شيوخ الشيعة يعدون مثل هذه الإقرارات من باب التقية ، فأضلوا قومهم سواء السبيل ، وأصبح مذهب الشيعة مذهب الشيوخ لا مذهب الأئمة[(٢)].

٨ ـ قولهم: إن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء:

عقد لذلك صاحب «الكافي» باباً بعنوان «باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء[(٣)]». وضمنه طائفة من رواياتهم. وعقد باباً آخر بعنوان «باب أن الأئمة إذا شاؤوا أن يعلموا علموا[(٤)]» ، وذكر فيه جملة من أحاديثهم ، ومن روايات هذه الأبواب[(٥)]. قال أبو عبد الله ـ كما يكذبون ـ: إني لأعلم ما في السموات وما في الأرض وأعلم ما في الجنّة وأعلم ما في النار ، وأعلم ما كان وما يكون[(٦)].

وعن سيف التمار قال: كنا مع أبي عبدالله رضي الله عنه جماعة من الشيعة في الحجر فقال: علينا عين؟ فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحداً ، فقلنا: ليس علينا عين. فقال: ورب الكعبة ورب البنية ـ ثلاث مرات ـ لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما ، لأن موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة ، وقد ورثناه من رسول الله ﷺ وآله وراثة[(٧)].

---

(١) رجال الكشي ، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦.
(٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٣٠).
(٣) أصول الكافي (١/ ٢٦٠ ـ ٢٦٢).
(٤) المصدر السابق نفسه (١/ ٢٥٨).
(٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٧٩).
(٦) أصول الكافي (١/ ٢٦١).
(٧) أصول الكافي (١/ ٢٦٠ ـ ٢٦١).

فهذا نموذج من غلو الشيعة الإمامية وهذا بعض ما عندهم ، فالغلو أساس مذهبهم وأصله ، وقد نهى الله عز وجل وحذر من الغلو لما فيه من منافاة التوحيد وأصل الشرك قديماً وحديثاً قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧]. قال ابن كثير في تفسيره عند هذه الآية: أي لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق ، ولا تطروا من أمرتهم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه من حيز النبوة إلى مقام الإلهية كما صنعتم في المسيح وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلهاً من دون الله، وماذا إلا لاقتدائكم بشيوخكم شيوخ الضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديماً ﴿وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: خرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال إلى طريق الغواية والضلال[(١)] ، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١] فالله عز وجل في هاتين الآيتين ينهى عن الغلو والإطراء وتجاوز الحد وفيه رد صريح على الشيعة الإمامية وكل من سلك هذا المسلك تجاه من يعظمهم ، وقد أمر الله عز وجل نبيه محمد ﷺ أن يبين للناس أنه لا يملك لنفسه شيئاً ، وأن النفع والضر بيد الله ، وأن علم الغيب لا يعلمه إلا الله قال تعالى ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ﴾ [الأنعام: ٥٠] وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨] فلله عز وجل أمره أن يفوض الأمور إليه وأن يخبره عن نفسه أنه لا يعلم غيب المستقبل ولا اطلاع له على شيء من ذلك[(٢)]. كل ذلك سداً للطرق الموصلة إلى الغلو فيه ﷺ وتحذيراً لأمته أن يغلو فيه كما غلت اليهود والنصارى في أنبيائهم ، فإذا كان هذا في حق سيد الخلق ، وأعظمهم منزلة عند الله فغيره من باب أولى ، وبهذا يظهر بطلان دعوى الإمامية في الأئمة وزعمهم أنهم يعلمون الغيب ويعلمون ما كان وما سيكون ، وجعلهم شركاء لله في الخلق والإحياء وفي الأسماء والصفات وكيف يستقيم لهم ذلك مع قوله تعالى أيضاً في غير ما آية من كتابه العزيز. قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ﴾ [لقمان: ٣٤]. وقال تعالى: ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٨٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٧٣).

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ﴾ [الرعد: ٨] وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [الحج: ٦] وقال تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ٥٩] وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٩]. وقوله تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك: ١]. وغير ذلك من الآيات الواردة في هذا الباب والتي تثبت تفرده جل وعلا بعلم الغيب والتصرف بالكون، فمن نسب شيئاً من ذلك إلى أحد من المخلوقين فقد نازع الله في ربوبيته وألوهيته وهوى في الشرك، فأنى له الإسلام مع ذلك، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] وقال: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢] وذلك أن الله عز وجل خلق الخلق لعبادته قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] أي ليوحدوه فأرسل الرسل وأنزل الكتب من أجل إفراده بالعبادة قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] والغلو ينافي تحقيق العبادة[١]، وكما حذر الله عز وجل من الغلو بكل مظاهره وصوره، فقد حذر النبي ﷺ أيضاً حماية لتوحيد الله وسداً لكل ذريعة تكون سبباً في نقص توحيده، لأن الغلو مطية الشرك ووسيلته وما دب في أمة إلا أهلكها، فقال ﷺ محذراً أمته من هذا الداء: «إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»[٢]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله»[٣]، فالنبي ﷺ يحذر أمته من الغلو ومجاوزة الحد في مدحه، كما فعلت النصارى في عيسى عليه السلام ويأمر ﷺ أن يوصف بصفة العبودية التي قد وصفه الله بها في الإسراء فقال: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ [الإسراء: ١]، كما وصفه بذلك في مقام الدعوة إليه فقال: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [الجن: ١٩]. وكذلك وصفه عند إنزال الكتاب عليه ونزول الملك إليه فقال: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ [الفرقان: ١] فتلك ثلاث مقامات من أشرف المقامات وصفه ومدحه ربه جل وعلا فيها

---

(١) العقيدة في أهل البيت، ص ٣٩٨.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ١٧٧) صححه الألباني.

(٣) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٤٥.

بصفة العبودية له ، فأين الشيعة الإمامية من تلك الآيات والأحاديث الواردة في النهي عن الغلو والتحذير منه ، الداعية إلى تحقيق العبودية؟ .

إن الناظر إلى أقوال أمير المؤمنين علي وأبنائه رضي الله عنهم يجد فيها الرد البليغ على هذا الغلو والإفراط وبراءتهم من أقوال الشيعة الغلاة ، كما تبين كذب تلك الروايات وضلالها المنسوبة إليهم[١] ، فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» من حديث أبي الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه قال : كنت عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه : فأتاه رجل فقال : ما كان النبي ﷺ يسر إليك؟ قال : فغضب وقال : ما كان النبي ﷺ يسر إليّ شيئاً يكتمه للناس ، غير أنه قد حدثني بكلمات أربع ، قال فقال : ما هن يا أمير المؤمنين؟ قال : «لعن الله من لعن والده ، ولعن الله من ذبح لغير الله ، ولعن الله من آوى محدثاً ، ولعن الله من غير منار الأرض» . وفي رواية : أخصكم رسول الله ﷺ فقال : ما خصنا رسـل الله بشيء[٢] .

وفي رواية عند الإمام أحمد : . . ما عهد إليّ رسول الله ﷺ شيئاً خاصة دون الناس[٣] ، وروى البخاري في «صحيحه» عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال ، قلت لعلي : هل عندكم كتاب؟ قال : لا إلا كتاب الله ، أو فهم أعطيه رجل مسلم ، أو ما في هذه الصحيفة قال : قلت : فما هذه الصحيفة؟ قال : العقل ، وفكاك الأسير ، ولا يقتل مسلم بكافر[٤] . وفي رواية : هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال : لا ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، ما أعلمه إلا فهماً يعطيه الله[٥] . . . قال ابن حجر : وإنما سأله أبو جحيفة عن ذلك لأن جماعة من الشيعة كانوا يزعمون أن عند أهل البيت ـ لا سيما علياً ـ أشياء من الوحي خصهم النبي ﷺ بها لم يطلع غيرهم عليها[٦] ، وقال ابن تيمية عقب إيراده لهذا الحديث : والكتب المنسوبة إلى علي ، أو غيره من أهل البيت في الإخبار بالمستقبلات كلها كذب مثل كتاب الجفر والبطاقة وغير ذلك ، وكذلك ما يضاف إليه من أنه عنده علم من النبي ﷺ خصه به دون غيره من الصحابة ، وكذلك ما ينقل عن غير علي

---

(١) العقيدة في أهل البيت ، ص ٣٩٩ .
(٢) مسلم ، كتاب الأضاحي ، رقم ١٩٧٨ .
(٣) المسند (١/ ١١٩) .
(٤) البخاري ، كتاب العلم ، رقم ١١١ .
(٥) البخاري ، كتاب الجهاد ، رقم ٣٠٤٧ .
(٦) فتح الباري (١/ ٢٠٤) .

من الصحابة ، أن النبي ﷺ خصه بشيء من علم الدين الباطن ، كل ذلك باطل[١] .

ومما يبين بطلان ذلك ، ما روى ابن سعد عن علي بن الحسين زين العابدين أنه قال عن سعيد بن جبير رحمهما الله . . : ذلك رجل كان يمر بنا فنسأله عن الفرائض وأشياء مما ينفعنا الله بها ، إنه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء وأشار بيده إلى العراق[٢] .

وجاء عن محمد ابن الحنفية محذراً الشيعة الغلاة مما تنسبه إليهم من علم خصهم به رسول الله ﷺ حيث قال : إنا والله ما ورثنا من رسول الله ﷺ إلا ما بين اللوحين[٣] ، وقد تواتر عن آل البيت أنهم كانوا يقولون لشيعتهم : أيها الناس أحبونا حب الإسلام ، فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً[٤] وزيادة على ذلك فقد جاء في كتب الشيعة التحذير من الغلو وبراءة آل البيت من ذلك ، فقد روى المجلسي بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : إياكم والغلو فينا قولوا إنا عبيد مربوبون[٥] وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال : اللهم إني بريء من الغلاة كبراءة عيسى ابن مريم من النصارى، اللهم اخذلهم أبداً ولا تنصر منهم أحداً[٦] .

وروى الكليني بسنده عن سديد قال : كنت أنا وأبو بصير ويحيى البزار وداود بن كثير في مجلس أبي عبد الله إذ خرج إلينا وهو مغضب ، فلما أخذ في مجلسه قال : يا عجباً لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب ، ما يعلم الغيب إلا الله عز وجل ، لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت مني فما علمت في أي بيوت الدار هي[٧] .

وروى الكشي عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إنهم يقولون . قال : وما يقولون؟ قلت : يقولون تعلم قطر المطر ، وعدد النجوم وورق الشجر ، ووزن ما في البحر ، وعدد التراب . فرفع يده إلى السماء وقال : سبحان الله سبحان الله ، لا والله ما يعلم هذا إلا الله[٨] .

---

(١) منهاج السنة (٨/ ١٣٦) .
(٢) الطبقات الكبرى (٥/ ٢١٦) .
(٣) المصدر السابق نفسه (٥/ ١٠٥) .
(٤) البداية والنهاية (٩/ ١١٠) .
(٥) بحار الأنوار (٢٥/ ٢٧٠) .
(٦) المصدر السابق نفسه (٢٥/ ٢٨٤) .
(٧) أصول الكافي (١/ ٢٥٧) .
(٨) رجال الكشي ص ١٩٣ ؛ العقيدة في أهل البيت ، ص ٤٠٢ .

فهذه أقوال أئمة آل البيت الطيبين الطاهرين ، كما صرحت بذلك كتب الشيعة الإمامية وهم براء مما ترميهم به الشيعة الإمامية[١] .

إن روايات الشيعة الإمامية تكشف نفسها بنفسها وتتناقض نصوصها ، وقول الأئمة : إنهم مصدر الرزق وإنزال الغيث . . إلخ والذي يرويه شيوخ الاثني عشرية هو من مخلفات غلاة الشيعة ، والذين أنكر الأئمة مذهبهم ، فقد جاء عن أخبارهم أن أبا عبد الله قال حينما قيل له : إن المفضل بن عمر يقول : إنكم تقدرون أرزاق العباد . فقال : والله ما يقدر أرزاقنا إلا الله ولقد احتجت إلى الطعام لعيالي فضاق صدري وأبلغت إليّ الفكرة في ذلك حتى أحرزت قوتهم ، فعندها طابت نفسي ، لعنه الله وبرىء منه[٢] ، ولكن هذه الروايات هي كالشعرة البيضاء في الثور الأسود ، وفي التقية متسع لكل نص تضيق به نفوس شيوخ الشيعة .

وإليك مثالاً على ذلك فاسمع ما يقوله شارح الكافي تعقيباً على قول أبي عبد الله الذي نقلناه آنفاً ، والذي يتعجب فيه أبو عبد الله من قوم نسبوا له العلم بالغيب ، ويذكر للرد عليهم بأن جاريته قد اختلفت في داره فلم يدر أين هي ، فكيف يقال عنه : إنه يعلم ما كان وما يكون . قال شارح الكافي : . . . الغرض من هذا التعجب وإظهاره هو ألا يتخذه الجهال إلهاً ، أو يدفع عن وهم بعض الحاضرين المنكر لفضله ما نسبوه إليه من العلم بالغيب حفظاً لنفسه ، وإلا فهو رضي الله عنه كان عالماً بما كان وما يكون ، فكيف يخفى عليه مكان الجارية؟ فإن قلت : إخباره بذلك على هذا يوجب الكذب ، قلت : إنما يوجب الكذب لو لم يقصد التورية وقد قصدها ، فإن المعنى ما علمت به علماً غير مستفاد منه تعالى بأنها في أي بيوت الدار[٣]، أنظر التكلف العجيب في رد هذه الرواية لإثبات أن الإمام يعلم ما كان وما يكون حتى ارتكب في سبيل ذلك نسبة الإمام إلى الكذب ، وهدم أصلاً من أصولهم وهو العصمة[٤] ، وأما شيخهم الآخر الشعراني المعلق على الشرح فلم يعجبه هذا التكلف في تأويل الرواية ، ورام ردها بأقصر طريق وهو الحكم بأن الرواية كذب ، وهكذا يشيعون عن علماء أهل البيت مثل هذه الإشاعات الكاذبة ، فإذا أنكروا على هؤلاء الكذابين فريتهم ،

---

(١) منهاج السنة (١/ ٣) .
(٢) رجال الكشي ، ص ٢٧٤ ؛ أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٨٥) .
(٣) شرح جامع على الكافي للمازندراني (٦/ ٣٠ ـ ٣١) .
(٤) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٨٦) .

وفضحوا باطلهم أمام الملأ حمل شيوخ الشيعة هذا التكذيب والإنكار على التقية . . فصارت التقية حيلة بيد غلاة الشيعة لإبقاء التشيع في دائرة الغلو ، ورد الحق والإساءة لأهل البيت[١] ، وقد ادعى زرارة بن أعين أن جعفر بن محمد يعلم أهل الجنة ، وأهل النار ، فأنكر ذلك جعفر لما بلغه ذلك، وكفّر من قاله، ولكن زرارة حينما نقل له موقف جعفر قال لمحدثه : لقد عمل معك بالتقية[٢] .

٩ ـ الغلو في الإثبات (التجسيم):

اشتهرت ضلالة التجسيم بين اليهود ، ولكن أول من ابتدع ذلك بين المسلمين هم الشيعة الغلاة ، ولهذا قال الرازي : اليهود أكثرهم مشبهة ، وكان بدء ظهور التشبيه في الإسلام من الغلاة مثل هشام بن الحكم ، وهشام بن سالم الجواليقي ويونس بن عبد الرحمن القمي ، وأبي جعفر الأحول[٣] ، وكل هؤلاء الرجال المذكورين هم ممن تعدهم الإثنا عشرية في الطليعة من شيوخها ، والثقات من نقلة مذهبها[٤] . وقد حدد ابن تيمية أول من تولى كبر هذه الفرية من هؤلاء ، فقال : وأول من عرف في الإسلام أنه قال : إن الله جسم هو هشام بن الحكم[٥] ، وقد نقل أصحاب الفرق كلمات مغرقة في التشبيه والتجسيم منسوبة إلى هشام بن الحكم وأتباعه تقشعر من سماعها جلود المؤمنين ، يقول عبد القاهر البغدادي : زعم هشام بن الحكم أن معبوده جسم ذو حد ونهاية وأنه طويل عريض عميق وأن طوله مثل عرضه[٦] ، وقد استفاض عن هشام بن الحكم ومن تبعه أمر الغلو في التجسيم في كتب الفرق وغيرها[٧] فقد كان تشبيه الله سبحانه بخلقه كان في اليهود ، وتسرب إلى التشيع الغالي ، وأول من تولى كبره هشام بن الحكم ، ثم تعدى أثره إلى آخرين عرفوا بكتب الفرق بمذاهب ضالة غالية منسوبة إليهم[٨] ، ولكن شيوخ الاثني عشرية يدافعون عن هؤلاء الضلال الذين استفاض خبر فتنتهم ، واستطار شرهم ،

---

(١) المصدر السابق نفسه .
(٢) ميزان الاعتدال (٢/ ٦٩ ـ ٧٠) .
(٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، ص ٩٧ .
(٤) أعيان الشيعة (١/ ١٠٦) ؛ أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٤١) .
(٥) منهاج السنة (١/ ٢٠) .
(٦) الفرق بين الفرق ، ص ٦٥ .
(٧) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٤٢) .
(٨) المصدر السابق نفسه (٢/ ٦٤٣) .

ويتكلفون تأويل كل بائقة منسوبة إليهم أو تكذيبها[١] ، وقد كان لهشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي بالذات دور ظاهر في اتجاه التجسيم عند غلاة الشيعة كما تذكر ذلك مجموعة من رواياتهم[٢] ، وكان الأئمة يتبرؤون منهما ومن قولهما ، وحينما جاء بعض الشيعة إلى إمامهم وقال له : إني أقول بقول هشام . قال إمامهم أبو الحسن علي بن محمد : ما لكم ولقول هشام؟ إنه ليس منا من زعم أن الله جسم ، ونحن منه برآء في الدنيا والآخرة[٣] .

وتفصح بعض رواياتهم عما قالوه في الرب جل شأنه وتقدست أسماؤه ، فهذا أحد رجالهم[٤] ، ينقل لأبي عبد الله ـ كما تقول الرواية ـ ما عليه طائفة من غلاة الشيعة من التجسيم فيقول : إن بعض أصحابنا يزعم أن الله صورة مثل الإنسان ، وقال آخر : إنه في صورة أمرد جعد قطط ، فخرّ أبو عبد الله عليه السلام ساجداً ثم رفع رأسه فقال : سبحان الذي ليس كمثله شيء ولا تدركه الأبصار ولا يحيط به علم[٥] . فأنت ترى أن كبار متكلميهم قد غلو في الإثبات ، حتى شبهوا الله جل شأنه بخلقه وهو كفر بالله سبحانه ، لأنه تكذيب لقوله سبحانه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] وعطلوا صفاته اللائقة به سبحانه فوصفوه بغير ما وصف به نفسه ، وإمامهم كان ينكر عليهم هذا المنهج الضال ، ويأمر بالالتزام في وصف الله ، كما وصف به نفسه ، ورواياتهم في هذا الباب كثيرة[٦] ، فهذا الاتجاه إلى الغلو في الإثبات ، قد طرأ على الإثبات الحق الذي عليه علماء أهل البيت ، وأصبح المذهب يتنازعه اتجاهان: اتجاه التجسيم الذي يتزعمه هشام ، واتجاه التنزيه الذي عليه أهل البيت كما تشير إليه روايات الشيعة نفسها ، وكما هو ثابت مستفيض في كتب أهل العلم[٧] .

١٠ ـ التعطيل عندهم:

بعد هذا الغلو في الإثبات بدأ تغير المذهب في أواخر المئة الثالثة حيث تأثر بمذهب

---

(١) بحار الأنوار (٣/ ٢٩٠ ـ ٢٩٢) ، دفاع المجلسي عن هؤلاء .
(٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٤٦) .
(٣) التوحيد ، ص ١٠٤ ؛ ابن بابويه ، أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٤٦) .
(٤) سمته الرواية : يعقوب السراج وهو من ثقاتهم ، الفهرست للطوسي ، ص ٢١٤ .
(٥) التوحيد ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ ؛ ابن بابويه ، أصول الشيعة (٢/ ٦٤٧) .
(٦) أصول الكافي (١/ ١٠٤ ـ ١٠٦) ؛ أصول الشيعة (٢/ ٦٤٨) .
(٧) أصول الشيعة (٢/ ٦٤٨) .

المعتزلة في تعطيل الباريء سبحانه من صفاته الثابتة له في الكتاب والسنة ، وكثر الاتجاه إلى التعطيل عندهم في المئة الرابعة لما صنف لهم المفيد وأتباعه كالموسوي الملقب بالشريف المرتضى ، وأبي جعفر الطوسي ، واعتمدوا في ذلك على كتب المعتزلة[١] وكثيرٌ مما كتبوه في ذلك منقول عن المعتزلة نقل المسطرة ، وكذلك ما يذكرونه في تفسير القرآن العظيم في آيات الصفات والقدر ونحو ذلك هو منقول من تفاسير المعتزلة[٢] ، ولهذا لا يكاد القاريء لكتب متأخري الشيعة الإمامية يلمس بينها وبين كتب المعتزلة في باب الأسماء والصفات فرقاً ، فالعقل ـ كما يزعمون ـ هو عمدتهم فيما ذهبوا إليه ، والمسائل التي يقررها المعتزلة في هذا الباب أخذ بها شيوخ الشيعة الإمامية المتأخرون ، كمسألة خلق القرآن ، ونفي رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة ، وإنكار الصفات ، بل إن الشبهات التي يثيرها المعتزلة في هذا ، هي الشبهات التي يثيرها شيوخ الشيعة الإمامية المتأخرون والفرق الذي قد يلمسه القاريء في هذه المسألة هو أن الشيعة الإمامية أسندوا روايات إلى الأئمة تصرح بنفي الصفات وتقول بالتعطيل ، فقد جاؤوا بروايات كثيرة في الأئمة يسندون بها مذهبهم في التعطيل ويفترون على أمير المؤمنين علي ـ رضي الله عنه ـ وبعض علماء أهل البيت كمحمد الباقر وجعفر الصادق بأنهم يقولون بالتعطيل ، واعتبر بعض شيوخهم المعاصرين أن هذا هو عمدتهم في نفي الصفات ، حيث قال ـ تحت عنوان طريقة معرفة الصفات : هل يبقى مجال للبحث عن الصفات وهل له طريقة إلا الإذعان ، بكلمة أمير المؤمنين رضي الله عنه : كمال الإخلاص نفي الصفات عنه[٣] .

هذا والثابت عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأئمة أهل البيت إثبات الصفات لله ، والنقل بذلك ثابت مستفيض في كتب أهل العلم[٤] ، وهذا أيضاً ما تعترف به بعض روايات لهم موجودة وسط ركام هائل من التعطيل ، إن مجموعة من رواياتهم وصفت رب العالمين بالصفات السلبية التي ضمنوها نفي الصفات الثابتة به سبحانه ، وليس هذا بجديد فهو سبيل من زاغ وحاد عن منهج الرسل عليهم السلام من المتفلسفة والجهمية وغيرهم .

إن الله سبحانه بعث رسله في صفاته بإثبات مفصل، ونفي مجمل، ولهذا يأتي الإثبات

---

(١) منهاج السنة (١/ ٢٢٩) .
(٢) المصدر السابق نفسه (١/ ٣٥٦) .
(٣) عقائد الإمامية الاثني عشرية للزنجاني ، ص ٢٨ .
(٤) منهاج السنة (٢/ ١٤٤) .

للصفات في كتاب الله مفصلاً والنفي مجملاً[١]. قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. فالنفي جاء مجملاً ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وهذه طريقة القرآن في النفي غالباً. قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]. أي نظير يستحق مثل اسمه، ويقال: مسامياً يساميه[٢]. وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس: هل تعلم له مثلاً أو شبيهاً[٣]، وقال سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]. وأما الإثبات فيأتي التفصيل: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وكآخر سورة الحشر: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢ ـ ٢٤]. وشواهد هذا كثيرة[٤].

إن الشيعة تروي عن أئمتها: أن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه[٥] ولكنها تعرض عن ذلك كما أعرضت عن كتاب الله سبحانه، وعن مقتضى العقل والفطرة، وتؤثر في ذلك التقليد المحض، والأخذ من «بقايا» الفلسفات البائدة، وإلا فكيف يتجرأ عاقل على الاعتماد في أمر غيبي لا سبيل للوصول إلى المعرفة فيه على سبيل التفصيل إلا بخبر السماء على العقل القاصر والفكر العاثر، وتحكيم خيالات البشر، المتناقضة، وتصوراتهم المتعارضة[٦]؟

أ ـ مسألة خلق القرآن:

القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وعلى هذا دل الكتاب والسنة، وإجماع السلف[٧]، والاثنا عشرية حذت حذو الجهمية في القول بخلق القرآن، فقد عقد شيخ الشيعة في زمن المجلسي في «البحار» في كتاب القرآن باباً بعنوان: باب أن القرآن

(١) شرح الطحاوية، ص ٤٩؛ التدمرية لابن تيمية، ص ٨.
(٢) التدمرية، ص ٨.
(٣) تفسير الطبري (١٦/ ١٠٦).
(٤) انظر: التدمرية لابن تيمية، ص ٨ وما بعدها.
(٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٥٦).
(٦) المصدر السابق نفسه.
(٧) الرد على الزنادقة للإمام أحمد، خلق أفعال العباد للبخاري.

مخلوق[١] ، أورد فيه إحدى عشرة رواية ، ومعظم هذه الروايات تخالف ما ذهب إليه ، ولكن لشيوخ الشيعة الإمامية مسلكاً في تأويلها ، سنذكره بعد قليل ـ بإذن الله تعالى ـ ويقول علامة الشيعة محسن الأمين العاملي: قالت الشيعة والمعتزلة: القرآن مخلوق[٢] ، وهذا بناء على إنكارهم لصفة الكلام لله وزعمهم أن الله سبحانه: يوجد الكلام في بعض مخلوقاته كالشجرة حين كلم موسى ، وكجبرائيل حين أنزله بالقرآن[٣] ، هذا بعض ما يقوله شيوخهم في هذا الأمر[٤] ، وإذا رجعت إلى الروايات التي ينقلوها في (آل البيت) ، وجدتها تخالف في أكثرها ما يذهب إليه هؤلاء.

فمن ذلك: ما جاء في «تفسير العياشي»: عن الرضا أنه سئل عن القرآن فقال: إنه كلام الله غير مخلوق[٥]. وفي «التوحيد» لابن بابويه القمي قيل لأبي الحسن موسى الرضا رضي الله عنه: يا ابن رسول الله ما تقول في القرآن ، فقد اختلف فيه من قبلنا فقال قوم: إنه مخلوق ، وقال قوم: إنه غير مخلوق؟ فقال رضي الله عنه: أما إني لا أقول في ذلك ما يقولون ، ولكن أقول: إنه كلام الله عز وجل[٦] ، وفي هذا المعنى روايات كثيرة عندهم[٧].

ولكن يلاحظ أن شيخ الشيعة في زمنه ابن بابويه القمي قد ذهب في تأويل هذه النصوص إلى اتجاه آخر ، فأثبت أن قول الأئمة: القرآن غير مخلوق يعني أنه غير مخلوق أي غير مكذوب لا يعني به أنه غير محدث[٨]. وقال: وإنما امتنعنا من إطلاق المخلوق عليه لأن المخلوق في اللغات قد يكون مكذوباً ، ويقال: كلام مخلوق أي مكذوب[٩]. وقد قال علماء السلف رداً عليهم: إنه غير مخلوق ، ولم يريدوا بذلك أنه غير مكذوب ، بل هذا كفر ظاهر يعلمه كل مسلم ، وإنما قالوا: إنه مخلوق خلقه في غيره فرد السلف هذا

---

(١) بحار الأنوار (٩٢/ ١١٧ ـ ١٢١).
(٢) أعيان الشيعة (١/ ٤٦١).
(٣) المصدر السابق نفسه (١/ ٤٥٣).
(٤) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٥٨).
(٥) تفسير العياشي (١/ ٨).
(٦) التوحيد/ ابن بابويه ص (٢٢٤).
(٧) البحار (٩٢/ ١١٧ ـ ١٢١)؛ أصول الشيعة (٢/ ٦٥٩).
(٨) البحار (٩٢/ ١١٩)؛ أصول الشيعة (٢/ ٦٥٩).
(٩) أصول الشيعة (٢/ ٦٥٩).

القول ، كما تواترت الآثار عنهم بذلك، وصف في ذلك مصنفات متعددة[١]، وفي كتاب «تفسير الصراط المستقيم» لآيتهم البروجردي نقل نصاً عن ابن بابويه ـ أيضاً ـ يحيل فيه النصوص التي فيها المعنى السابق على التقية فقال: ولعل المنع من إطلاق الخلق على القرآن إما للتقية مماشاة مع العامة ، أو لكونه موهماً لمعنى آخر أطلق الكفار عليه بهذا المعنى في قولهم: إن هذا الاختلاق[٢]، فلم يجد هؤلاء الشيوخ ما يلوذون به إلا القول «بالتقية» أو ما ماثلها . . وهذا المنهج يثبت أنهم ليسوا على شيء ، وأن احتمال التقية في كل نص قد أفسد عليهم أمرهم وأضاع حقيقة المذهب ، فأصبح دينهم دين المجلسي أو الكليني أو ابن بابويه القمي لا روايات الأئمة[٣] ، ولو أحسن محسن للشيعة وأراد بها الخير من شيوخها لسلك بها طريق الجماعة وأخذ من رواياتهم ما يتفق مع كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ وهدي الصحابة الكرام وعلماء أهل السنة والجماعة ، وتخلص من روايات القمي والكليني والمجلسي ، ولا سيما ، والأئمة تشتكي من كثرة الكذابين عليها حتى قالوا: بأن الناس أولعوا بالكذب علينا[٤] ولو أردت أن تطبق هذه النظرية ـ أي ما تتفق فيه روايات أهل السنة مع روايات الشيعة عن أهل البيت في هـذه المسألة لوجدت أن كتب الشيعة الإمامية روت ـ كما سبق ـ روايات عن أهل البيت بأن كلام الله منزل غير مخلوق ، وكتب أهل السنة روت مثل هذا ، فقد أخرج البخاري في كتاب «أفعال العباد»[٥]. وابن أبي حاتم[٦] ، وأبو سعيد الدارمي، والآجري في «الشريعة»[٧]. والبيهقي في «الاعتقاد»[٨]، و«الأسماء والصفات»[٩]. واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة»[١٠]، وأبو داود في «مسائل الإمام

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٢/ ٣٠١).
(٢) تفسير الصراط المستقيم (١/ ٣٠٤).
(٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٦٠).
(٤) رجال الكشي ، ص ١٣٥ ـ ١٣٦ .
(٥) خلق أفعال العباد ، ص ٣٦ ، تحقيق البدر .
(٦) منهاج السنة لابن تيمية (٢/ ١٨٧ ـ ١٨٨).
(٧) الشريعة ، ص ٧٧ .
(٨) الاعتقاد ، ص ٣٦ .
(٩) الأسماء والصفات ، ص ٢٤٧ .
(١٠) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٢٣٨ ، ٢٤١ ـ ٢٤٢).

أحمد»[١] ، عن جعفر الصادق أنه قال حينما سئل عن القرآن ، قال : ليس بخالق ولا مخلوق . قال ابن تيمية : إنه قد استفاض ذلك عن جعفر[٢] .

فلماذا لا يؤخذ بالمعنى المتفق عليه ، ويترك الباطل الذي لا يسنده إلا أقوال شيوخ يبغون في الأمة الفرقة والخلاف ، وينشدون الشذوذ والعزلة ليتسنى لهم تحصيل الأموال الطائلة باسم الخمس ، وتتحقق لهم الوجاهة الاجتماعية ، والمنزلة «المقدسة» باسم النيابة عن الإمام الغائب؟ ولهذا ما برحوا يؤكدون على القول : إن ما خالف العامة ففيه الرشاد[٣] ـ ويقصدون بذلك أهل السنة والجماعة .

إن الروايات الواردة في كتب الشيعة الإمامية والتي تنص على أن القرآن منزل غير مخلوق قد تمثل مذهب قدماء الشيعة الذين كانوا على هذا الاعتقاد كما أشار إلى ذلك أهل العلم[٤] ، لأن القول بأن القرآن مخلوق هو إحداث متأخري الشيعة[٥] . كما أن الاعتقاد بأن القرآن منزل غير مخلوق ، هو الثابت عن أهل البيت ، إذ ليس من أئمة أهل البيت مثل علي بن الحسين وأبي جعفر الباقر وابنه جعفر بن محمد رضوان الله عليهم من يقول بخلق القرآن ، ولكن الإمامية تخالف أهل البيت في عامة أصولهم[٦] .

وبعد أليس يكفي في بيان فساد مذهبهم أنه خلاف ما عليه أهل البيت ، وخلاف ما اتفقت فيه روايات لهم مع ما جاء عند أهل السنة ، وأن رواياتهم كلها متعارضة متناقضة[٧]؟!!

إن معتقد أهل السنة والجماعة في هذه المسألة هو : أن القرآن كلام الله ، منه بدا بلا كيفية قولاً ، وأنزله على رسوله وحياً ، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً ، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ، ليس بمخلوق ككلام البرية ، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر ، فقد كفر ، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى : ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ [المدثر : ٢٦] .

---

(١) مسائل الإمام أحمد ، ص ٢٦٥ .

(٢) منهاج السنة (١/ ٢٧٨) .

(٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٦٢) .

(٤) منهاج السنة (١/ ٢٩٦) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٦٤) .

(٥) مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ١١٤) .

(٦) منهاج السنة (١/ ٢٩٦) .

(٧) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٦٨) .

فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥]. علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر[١].

ب ـ مسألة الرؤية:

ذهبت الشيعة الإمامية بحكم مجاراتهم للمعتزلة إلى نفي الرؤية، وجاءت روايات عديدة ذكرها ابن بابويه في كتابه «التوحيد»، وجمع أكثرها صاحب «البحار» تنفي ما جاءت به النصوص من رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، فتفتري ـ مثلاً ـ على أبي عبد الله جعفر الصادق بأنه سئل عن الله تبارك وتعالى هل يرى في المعاد؟ فقال: سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.. إن الأبصار لا تدرك إلا ماله لون وكيفية، والله خالق الألوان والكيفية[٢]، وقال جعفر النجفي صاحب كاشف الغطا: ولو نسب إلى الله بعض الصفات: .. كالرؤية حكم بارتداده[٣]، وجعل الحر العاملي نفي الرؤية من أصول الأئمة، وعقد لذلك باباً بعنوان: باب أن الله سبحانه لا تراه عين ولا يدركه بصر في الدنيا ولا في الآخرة[٤]، فنفيهم لرؤية المؤمنين لربهم في الآخرة خروج عن مقتضى النصوص الشرعية، وهو أيضاً خروج عن مذهب أهل البيت، وقد اعترفت بعض رواياتهم بذلك، فقد روى ابن بابويه القمي عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن الله عز وجل هل يراه المؤمنون يوم القيامة: قال: نعم[٥] والرؤية حق لأهل الجنة يرونه بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا مثل قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]. وقوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] قال أنس بن مالك: هو النظر إلى وجه الله عز وجل[٦]، وقوله تعالى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فالحسنى: الجنة، والزيادة، هي النظر إلى وجهه الكريم، فسرها بذلك رسول الله ﷺ والصحابة بعده، كما روى مسلم في «صحيحه» عن صهيب قال: قرأ رسول الله ﷺ ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ وقال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله

---

(١) المنحة الإلٰهية في تهذيب شرح الطحاوية، عبد الآخر الغنيمي، ص ١٠٩.
(٢) بحار الأنوار (٤/ ٣١).
(٣) كشف الغطا، ص ٤١٧؛ أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٧٠).
(٤) أصول الشيعة (٢/ ٦٧٠).
(٥) الفصول المهمة في أصول الأئمة، ص ١٢.
(٦) مجمع الفوائد (٧/ ١١٢).

موعداً ويريد أن ينجزكموه ، فيقولون : ما هو؟ ألم يُثقّل موازيننا ، ويبيّض وجوهنا ، ويدخلنا الجنة ويُجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب ، فينظرون إليه ، فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة»[(١)] .

وقال تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين : ١٥] . احتج الشافعي رحمه الله وغيره من الأئمة بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة ، ذكر ذلك الطبري وغيره عن المزني عن الشافعي . وقال الحاكم : حدثنا الأصم ، حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : حضرت محمد بن إدريس الشافعي ، وقد جاءت رقعة من الصعيد فيها . ما تقول في قول الله عز وجل : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين : ١٥]؟ فقال الشافعي : لما أن حُجب في السخط ، كان في هذا دليل على أن أولياؤه يرونه في الرضى[(٢)] .

وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن[(٣)]، وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين ، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبين إلى السنة والجماعة[(٤)] .

١١ ـ تفضيلهم الأئمة على الأنبياء والرسل:

الرسل أفضل البشر وأحقهم بالرسالة ، حيث أعدهم الله تعالى لكمال العبودية والتبليغ والدعوة والجهاد ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام : ١٢٤] . فهم قد امتازوا برتبة الرسالة عن سائر الناس[(٥)] وقد أوجب الله على الخلق متابعتهم . قال تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء : ٦٤] ولا يفضل أحد من البشر عليهم . قال الطحاوي في «بيان اعتقاد أهل السنة» : ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام ونقول : نبي واحد أفضل من جميع الأولياء[(٦)]، وتفضيل الأئمة على الأنبياء هو مذهب غلاة الشيعة ، كما نبه على ذلك عبد القاهر البغدادي[(٧)] والقاضي

---

(١) مسلم ، رقم ١٨١ .
(٢) مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٤١٩) .
(٣) شرح الطحاوية ، ص ١٥١ .
(٤) المصدر السابق نفسه ، ص ١٤٦ .
(٥) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١/ ٢٣٨) .
(٦) شرح الطحاوية ، ص ٤٩٣ .
(٧) أصول الدين ، ص ٢٩٨ .

عياض[١]، وابن تيمية[٢]، وهذا المذهب بعينه قد غدا من أصول الاثني عشرية، فقد قرر صاحب الوسائل أن تفضيل الأئمة على الأنبياء من أصول مذهب الشيعة التي نسبها للأئمة[٣]، وقال بأن الروايات عندهم في ذلك أكثر من أن تحصى[٤]، وفي «بحار الأنوار» للمجلسي عقد باباً بعنوان باب تفضيلهم عليهم السلام على الأنبياء وعلى جميع الخلق وأخذ ميثاقهم عنهم وعن الملائكة وعن سائر الخلق وأن أولي العزم إنما صاروا أولي العزم بحبهم صلوات الله عليهم[٥]، وهذا المذهب الذي استقر عليه مذهب الاثني عشرية مر بتغيرات وتطورات نحو الغلو، فإن الشيعة في مسألة تفضيل الأنبياء على الأئمة كانوا ثلاث فرق ـ كما يقول الأشعري ـ:

ـ **فرقة**: يقولون بأن الأنبياء أفضل من الأئمة، غير أن بعض هؤلاء جوزوا أن يكون الأئمة أفضل من الملائكة.

ـ **الفرقة الثانية**: يزعمون أن الأئمة أفضل من الأنبياء والملائكة.

ـ **والفرقة الثالثة**: وهم القائلون بالاعتزال والإمامة، يقولون: إن الملائكة والأنبياء أفضل من الأئمة[٦].

ويضيف المفيد في «أوائل المقالات» مذهباً رابعاً لهم وهو: أفضلية الأئمة على سائر الأنبياء ما عدا أولي العزم[٧]. ثم لا يبوح بذكر المذهب الذي يعتمده من هذه المذاهب بل يذكر توقفه للنظر في ذلك[٨]، ولكن يظهر أن كل هذه المذاهب تلاشت بسعي شيوخ الدولة الصفوية ومن تبعهم واستقر المذهب على الغلو في الأئمة، حتى إن المجلسي يقول في عنوان الباب الذي عقده في «بحاره» لهذا الغرض: إن أولي العزم إنما صاروا

---

(١) الشفاء، ص ١٠٧٨.
(٢) منهاج السنة (١/ ١٧٧).
(٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٧٤٥).
(٤) المصدر السابق نفسه (٢/ ٧٤٥).
(٥) بحار الأنوار (٢٦/ ٢٦٧).
(٦) مقالات الإسلاميين (١/ ١٢٠).
(٧) أوائل المقالات، ص ٤٢ ـ ٤٣.
(٨) المصدر السابق نفسه، ص ٤٣.

أولي عزم بحبهم صلوات الله عليهم[١] . إن من يرجع إلى كتاب الله سبحانه يجد أنه ليس لأئمتهم الاثني عشر ذكر ، فضلاً عن أن يقدموا على أنبياء الله ورسله ، كما أنه يلاحظ : أن الأنبياء لكونهم أرفع رتبة يقدمون بالذكر على غيرهم من صالحي عباد الله قال تعالى : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ ﴾ [النساء : ٦٩] . فرتب الله سبحانه عباده السعداء المنعم عليهم أربع مراتب[٢] . وكتاب الله يدل في جميع آياته على اصطفاء الأنبياء واختيارهم على جميع العالم[٣] ، وقد أجمع أهل القرون الثلاثة على تفضيل الأنبياء على من سواهم ، والإجماع حجة ، وقال ابن تيمية : اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء[٤] . والعقل يدل صريحاً على أن جعل النبي واجب الطاعة وجعله آمراً وناهياً وحاكماً على الإطلاق والإمام نائباً وتابعاً له لا يعقل بدون فضيلة النبي عليه ، ولما كان هذا المعنى موجوداً في حق كل نبي مفقوداً في حق كل إمام لم يكن إمام أفضل من نبي أصلاً ، بل يستحيل[٥] . ثم قد ورد في كتب الشيعة الإمامية نفسها ما يتفق مع النص والإجماع والعقل ، وينفي ذلك الشذوذ ، وهو ما رواه الكليني عن هشام الأحول عن زيد بن علي أن الأنبياء أفضل من الأئمة ، وأن من قال غير ذلك فهو ضال[٦] ، وروى ابن بابويه عن الصادق ما ينص على أن الأنبياء أحب إلى الله من علي[٧] .

* * *

---

(١) بحار الأنوار (٢٦/ ٢٦٧) .
(٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٧٤٩) .
(٣) الفتاوى (١١/ ٢٢١) .
(٤) المصدر السابق نفسه .
(٥) مختصر التحفة ، ص ١٠١ .
(٦) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٧٥٣) ؛ مختصر التحفة ، ص ١٠٠ .
(٧) مختصر التحفة ، ص ١٠١ .



موقف الإمامية الاثني عشرية من القرآن الكريم

قد كان لمعتقد الشيعة في الإمامة ومحاولة الدفاع عنه أثر كبير في دفع بعض الشيعة إلى تبني أفكار خطيرة حول القرآن والسنة ، والصحابة رضوان الله عليهم ، فشككوا في القرآن ، وأنكروا كثيراً من الأحاديث الثابتة ، وطعنوا في الصحابة رضي الله عنهم وجرحوهم ونسبوا إليهم تعمد الكذب وتحريف كتاب الله تعالى .

١ ـ اعتقاد بعضهم في تحريف كتاب الله عز وجل والرد عليهم:

فقد زعم بعض الشيعة الغلاة أن القرآن الكريم قد حرف ، وأسقطت منه بعض السور وكثير من الآيات التي أنزلت في فضائل أهل البيت والأمر باتباعهم ، والنهي عن مخالفتهم وإيجاب محبتهم وأسماء أعدائهم والطعن فيهم ، ولعنهم وقد اتهم الشيعة الصحابة رضوان الله عليهم ، بأنهم أسقطوا من القرآن من جملة ما أسقطوه ﴿وجعلنا علياً صهرك﴾ من سورة [الشرح] والتي تشير إلى تخصيص علي بمصاهرة الرسول عليه الصلاة والسلام دون عثمان. وقد جهل هؤلاء أن هذه السورة مكية ، وأنها حين نزلت لم يكن علياً صهراً للرسول ﷺ ، إذ أن علياً تزوج فاطمة بالمدينة وبعد غزوة بدر ، كما سبق أن أشرنا ، ويذهب الشيعة أيضاً إلى أنه من بين ما أسقط من (القرآن) سورة الولاية ويزعمون أنها سورة طويلة قد ذكر فيها فضائل أهل البيت[١] ، وهكذا تدور معظم مزاعم هذا النفر من الشيعة في القرآن حول هذه القضايا ، إذ أنهم لم ينكروا حكماً من أحكامه أو قاعدة من قواعده ، ولكن تدور آراؤهم حول إسقاط بعض الآيات إلى ولاية علي ومن بعده من الأئمة وقد ردد هذه الافتراءات على القرآن الكريم العديد من علماء الشيعة الإمامية وعلى رأسهم حجتهم المشهور أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني ت ٣٢٩ هـ صاحب كتاب

(١) دراسات عن الفرق وتاريخ المسلمين ، ص ٢٢٦ .

الكافي الذي يعتبر في حجيته لدى الشيعة في مرتبة كتاب البخاري عند أهل السنة ، وقد ذكر صاحب تفسير الصافي الشيعي : إن الظاهر من ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني طاب ثراه أنه كان يعتقد أيضاً في التحريف والنقصان في القرآن لأنه روى روايات في هذا المعنى في كتابه الكافي ولم يتعرض بقدح فيها ، على أنه ذكر في أول كتابه أنه يثق بما رواه فيه[(١)] ، وكتاب الكليني هذا مليء بهذه المزاعم المنحرفة ، والتي تهدف في الأساس إلى إثبات إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه والأئمة من بعده. ومن ذلك ما رواه الكليني عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ (عن ولاية علي والأئمة بعده) ﴿ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ هكذا نزلت[(٢)] ، ويروي أيضاً عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال ، قلت له لم سمي (علي بن أبي طالب) أمير المؤمنين؟ قال الله سماه وهكذا أنزل في كتابه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ «وأن محمداً رسولي وأن علياً أمير المؤمنين[(٣)]» . ويروي الكليني عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال : رفع إليَّ أبو الحسن عليه السلام مصحفاً وقال : لا تنظر فيه ، ففتحته وقرأت فيه ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فوجدت فيهم سبعين رجلاً من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم قال : فبعث إليّ بالمصحف[(٤)] ، وقد زعم الكليني أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة ، وأنهم (أي الأئمة) يعلمون علمه كله ، فما جمعه وحفظه كما أنزل إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده[(٥)] ، وقد ردد هذه الفرية التي ربطت جمع القرآن بعلي رضي الله عنه ، وقد ذهب صاحب «الاحتجاج» إلى : أنه لما توفي الرسول ﷺ ، جمع علي (عليه السلام) القرآن وجاء به إلى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله ﷺ ، فلما فتحه أبو بكر خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم فوثب عمر وقال : يا علي اردده فلا حاجة لنا فيه ، فأخذه عليه السلام وانصرف ، ثم أحضروا زيد بن ثابت وكان قارئـاً للقرآن ، فقال له عمر : إن علياً جاء بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار وقد رأينا أن نؤلف القرآن ونسقط منه ما كان فيه فضيحة وهتك للمهاجرين والأنصار ،

---

(١) تفسير الصافي ، ص ١٣ ؛ الإمام الصادق لأبي زهرة ، ص ٣٣٣ .
(٢) أصول الكافي (١/ ٤١٤).
(٣) أصول الكافي (١/ ٤١٢) ؛ السنة والشيعة ، إحسان إلٰهي ، ص ١٠٣ .
(٤) أصول الكافي (٢/ ٦٣١) ؛ السنة والشيعة ، ص ٨٧ .
(٥) أصول الكافي (١/ ٢٢٨).

فأجابـه زيد إلى ذلك ثم فقال : فإن أنـا فرغت من القرآن على ما سألتم وأظهر عليّ القرآن الذي ألفه أليس قد بطل كل ما عملتم؟ قال عمر فما الحيلة؟ قال زيد : أنتم أعلم بالحيلة فقال عمر : فما حيلته دون أن نقتله ونستريح منه فدبر في قتله على يد خالد بن الوليد ، فلم يقدر على ذلك[١] .

ولا شك أن مثل هذه الرواية من نسيج خيال مريض فاسد أراد أن يتهم الصحابة بتحريف القرآن ، والتآمر على حرمان علي من إمامة المسلمين وهو إذ يمدح علي يذمه إذ يصفه بالسكوت السلبي حينما رفض الصحابة الأخذ بقرآنه ، فكيف يتفق هذا مع مواقف علي رضي الله عنه البطولية في سبيل الدفاع عن الإسلام .

ويرد على مثل هذه الترهات قول علي رضي الله عنه : أعظم الناس أجراً في المصحف أبو بكر ، رحمة الله على أبي بكر ، هو أول من جمع القرآن بين اللوحين[٢] .

ولم يكتف الكليني بهذا ، بل نسب هذه الافتراءات والمزاعم الباطلة حول التحريف في القرآن إلى جعفر الصادق ، إذ ينسب إليه أنه قال : إن القرآن الذي نزل بـه الوحي على محمد سبعة آلاف آية ، والآيات التي نتلوها ثلاث وستون ومئتان وست آلاف فقط ، والباقي مخزون عند آل البيت[٣] .

وزعم الكليني أن الصادق قال عن القرآن الذي جمعه علي بن أبي طالب في زعمه : قيل هو مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد[٤] ، ويقولون : إن فاطمة رضي الله عنها مكثت بعد النبي خمسة وسبعين يوماً ، صبت عليها مصائب من الحزن لا يعلمها إلا الله ، فأرسل الله إليها جبرائيل يسليها ويعزيهـا ويحدثها عن أبيها ، وعما يحدث لذريتها ، وكان علي يستمع ويكتب ما يسمع حتى جاء به مصحف قدر القرآن ثلاث مرات ليس فيه شيء من حلال وحرام ، ولكن فيه علم ما يكون[٥] .

ـ **ويردد عالم شيعي آخر وهو علي بن إبراهيم القمي** نفس المزاعم التي ذهب إليها الكليني ، ويورد عنه محمد محسن الملقب بالفيض الكاشي في تفسيره فيقول : المستفاد

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ، ص٢٢٥ ، ٢٢٨ ؛ دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين ، ص ٢٢٨ .
(٢) كتاب المصاحف للسجستاني (١/ ٥) .
(٣) الإمام الصادق ، ص ٣٢٣ .
(٤) أصول الكافي (١/ ٢٣٩) .
(٥) أصول الكافي (١/ ٢٤٠) ؛ بحار الأنوار (٢٦/ ٤٤) ؛ بصائر الدرجات ، ص ٤٣ .

من الروايات عن طريق آل البيت أن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل على محمد بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله ، ومنه ما هو مغير محرف وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة منها اسم علي في كثير من المواضع ومنها لفظ «آل محمد» غير مرة ، ومنها أسماء المنافقين في مواضعها ، ومنها غير ذلك وأنه ليس على الترتيب المرضي عند الله ورسوله . وبه ـ أي بهذا الرأي ـ قال علي بن إبراهيم المسمى بالقمي له تفسير مليء بهذه الدعاوي والغلو فيها . وأخذ يخلط ويزعم أن هناك آيات في ولاية علي حذفت[١] .

ـ **وقال الصفّار صاحب كتاب «بصائر الدرجات»** بسنده عن أبي جعفر ـ على حد زعمه ـ ما يستطيع أحد أن يدعي أنه جمع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء[٢] ، وعنه أيضاً: ما من أحد من الناس يقول إنه جمع القرآن كله كما أنزل الله إلا كذاب ، وما جمعه وما حفظه كما أنزل إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده[٣] .

ـ **وفي «تفسير العياشي» عن أبي عبد الله**: لو قرئ القرآن كما أنزل لألفيتنا فيه مسمين[٤] .

وفيه عن أبي جعفر: لولا أنه زيد في كتاب الله ونقص منه ما خفي حقنا على ذي حجى[٥] . والروايات في كتب الشيعة الإمامية المصرحة بتحريف القرآن كثيرة جداً ، وقد أخبر عن استفاضتها وتوترها عندهم كبار علمائهم ومحققيهم ، **يقول المفيد**: إن الأخبار جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد ﷺ باختلاف القرآن ، وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان[٦] .

ـ **ويقول هاشم البحراني**[٧] : ـ أحد كبار مفسريهم ـ: أعلم أن الحق الذي لا محيص عنه بحسب الأخبار المتواترة الآتية وغيرها أن هذا القرآن الذي في أيدينا قد وقع فيه بعد رسول الله ﷺ شيء من التغييرات ، وأسقط الذين جمعوه بعده كثيراً من الكلمات

---

(١) دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين ، ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .
(٢) بصائر الدرجات ، ص ٢١٣ .
(٣) المصدر السابق نفسه .
(٤) تفسير العياشي (١/ ١٣) .
(٥) المصدر السابق نفسه .
(٦) أوائل المقالات ، ص ٩١ .
(٧) هاشم بن سليمان البحراني ، توفي سنة ١١٠٧ هـ .

والآيات[١] ، ويقول أيضاً : وعندي في وضوح صحة هذا القول ـ أي تحريف القرآن ـ بعد تتبع الأخبار وتفحص الآثار بحيث يمكن الحكم بكونه من ضروريات مذهب التشيع ، وأنه من أكبر مقاصد الخلافة[٢] .

ـ **ويقول نعمة الله الجزائري**[٣] : إن الأخبار الدالة على هذا (التحريف) تزيد على ألفي حديث ، وادعى استفاضتها جماعة كالمفيد والمحقق الداماد، والعلامة المجلسي[٤] ، فهذه أقوال أئمتهم ومحققيهم الكبار تقطع بتواتر واستفاضة الروايات في كتبهم بدعوى تحريف القرآن وتبديله ، وأنها تبلغ الآلاف مما جعل بعض هؤلاء العلماء يقطع بأن هذه العقيدة من ضروريات المذهب عندهم وأكبر مقاصد الإمامة ، وزيادة على ما جاء في كتبهم من آلاف الروايات الدالة على دعوى تحريف القرآن ، فإن أقوال علمائهم ومنظريهم ، وأهل الاجتهاد فيهم ، جاءت مؤكدة لتلك العقيدة الفاسدة ، ولعل المقام هنا لا يتسع لنقل كلامهم هنا وإنما أذكر من نقل إجماعهم على ذلك من كبار علمائهم ، يقول المفيد ناقلاً إجماعهم على ذلك واتفقوا (أي الإمامية) أن أئمة الضلال خالفوا في كثير من تأليف القرآن ، وعدلوا فيه عن موجب التنزيل وسنة النبي ﷺ وأجمعت المعتزلة ، والخوارج والمرجئة ، وأصحاب الحديث على خلاف الإمامية في جميع ما عددناه[٥] .

ـ **وقد قام النوري الطبرسي ، أحد كبار علمائهم المتأخرين ت سنة١٣٢٠ هـ** بتأليف كتابٍ ضخمٍ في إثبات دعوى تحريف القرآن عند الشيعة الإمامية ، سماه «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب»[٦] ، صدره بثلاث مقدمات يتبعها بابان :

الأول : في الأدلة على تحريف القرآن بزعمه .

الثاني : في الرد على القائلين بصحة القرآن في الأمة . وقد أودع الطبرسي في كتابه هذا آلاف الروايات الدالة على تحريف القرآن بزعمهم ، حيث أورد في الفصلين الأخيرين

---

(١) مقدمة تفسير البرهان في تفسير القرآن ، ص ٣٦ .
(٢) المصدر السابق نفسه ، ص ٤٩ .
(٣) متوفىٰ سنة ١١١٢ هـ ، قال عنه الحر العاملي : فاضل عالم محقق جليل القدر ، أمل الآمل (٢/٣٣٦) .
(٤) فصل الخطاب ، ص ٢٤٨ ، الانتصار .
(٥) أوائل المقالات ، ص ٤٩ .
(٦) الانتصار للصحب والآل ، ص ٦١ .

فقط من الباب الأول المكون من اثني عشر فصلاً (١٦٠٢) رواية ، هذا غير ما أورده في الفصول الأخرى من هذا الباب والمقدمات الثلاث والباب الثاني وقال معتذراً عن قلة ما جمعه: ونحن نذكر منها ما يصدق دعواهم مع قلة البضاعة[١] ، وقال موثقاً هذه الروايات: واعلم أن تلك الأخبار منقولة من الكتب المعتبرة التي عليها معوّل أصحابنا في إثبات الأحكام الشرعية والآثار النبوية[٢] ، وقال بعد أن سرد حشداً هائلاً من أسماء علمائهم القائلين بالتحريف استغرقت خمس صفحات من كتابه: ومن جميع ما ذكرنا ونقلنا ، بتتبعي القاصر ، يمكن دعوى الشهرة العظيمة بين المتقدمين وانحصار المخالفين فيهم بأشخاص معينين يأتي ذكرهم[٣] ، ثم ذكر أن هؤلاء المخالفين هم: الصدوق ، والمرتضى ، وشيخ الطائفة الطوسي ، قال: ولم يعرف من القدماء موافق لهم[٤].

وذكر أنه تبعهم الطبرسي صاحب كتاب «مجمع البيان» ، وقال: وإلى طبقته لم يعرف الخلاف صريحاً إلا من هؤلاء المشايخ الأربعة[٥] ثم اعتذر بعد ذلك عن بعض هؤلاء العلماء في عدم قولهم بتحريف القرآن بأن الذي حملهم على ذلك التقية والمداراة للمخالفين ، قال معتذراً عن الطوسي عما أورده في كتابه «التبيان» من القول بعدم التحريف: ثم لا يخفى على المتأمل في كتاب «التبيان» أن طريقته فيه على نهاية المداراة والمماشاة مع المخالفين . . وهو بمكان من الغرابة لو لم يكن على وجه المماشاة[٦].

وقد سبق النوري الطبرسي في الاعتذار لهؤلاء العلماء: نعمة الله الجزائري حيث قال بعد أن نقل إجماع علماء الإمامية على عقيدة التحريف: نعم قد خالف فيها المرتضى والصدوق والشيخ الطبرسي ، وحكوا أن ما بين دفتي هذا المصحف هو القرآن لا غير ، ولم يقع فيه تحريف ولا تبديل ، والظاهر أن هذا القول صدر منهم لأجل مصالح كثيرة: منها سد باب الطعن عليها ، بأنه إذا جاز هذا في القرآن ، فكيف جاز العمل بقواعده وأحكامه ، مع جواز لحوق التحريف لها ، كيف هؤلاء الأعلام رووا في مؤلفاتهم أخباراً

(١) فصل الخطاب ، ص ٢٤٩ ؛ الانتصار للصحب والآل ، ص ٦٢ .
(٢) المصدر السابق نفسه ، ص ٢٤٩ .
(٣) فصل الخطاب ، ص ٣٠ .
(٤) المصدر السابق نفسه ، ص ٣٢ .
(٥) المصدر السابق نفسه ، ص ٣٤ .
(٦) المصدر السابق نفسه ، ص ٣٤ .

كثيرة تشتمل على وقوع تلك الأمور في القرآن وأن الآية هكذا أنزلت ثم غيرت إلى هذا[١] ، وبهذا يظهر أن القول بتحريف القرآن واعتقاد تغييره وتبديله هو محل إجماع علماء الشيعة الإمامية قاطبة ، كما حقق ذلك الطبرسي في «فصل الخطاب» ، ودلت عليه النقول السابقة عن كبار علمائهم ، وأنه لم يخالف في هذه العقيدة أحد من علمائهم ، حتى وقت تأليف «فصل الخطاب» إلا أربعة منهم حملهم على ذلك التقية والمداراة للمخالفين ، على ما نص على ذلك الطبرسي ومن قبله نعمة الله الجزائري . وكما أثبتت ذلك البحوث المعاصرة التي بحثت هذه المسألة وأيدت ذلك بذكر شواهد كثيرة من الروايات الدالة على التحريف الواردة في كتب هؤلاء المشايخ الأربعة[٢] مما يدل على اعتقادهم مضمونها وموافقتهم لسائر علماء الشيعة الإمامية فيما ذهبوا إليه ، من اعتقاد تحريف القرآن وتبديله وإن أظهروا تقية ونفاقاً وخداعاً لأهل السنة[٣] ، ومما يدل على ما ذهبت إليه أنه لم يتعرض واحد من هؤلاء الذين زعموا التحريف في القرآن إلى نقد من قبل الشيعة الإمامية إذ ظل الكليني موضع الثقة والتبجيل والإكرام والمرجع الأول عند جميع الشيعة اليوم ورغم أن الشيعة المعاصرين أكدوا نفي التحريف عن القرآن زيادة ونقصاً ، فإننا لا نجد أحداً منهم يرد على الكليني رداً صريحاً أو يظهر عدم الثقة به أو يرفض ما ذهب إليه ، بل إن البعض حاول بطريقة ملتوية أن يدافع عنه ويجد له المعاذير[٤] وإن كان هؤلاء القوم صادقين ، فعليهم أن يتبرؤوا ممن قال بتحريف القرآن الكريم ، ولا يترددون في تكفير من أنكر كلمة واحدة من القرآن ، وأن يبينوا أن جحود البعض كجحود الكل ، لأن ذلك طعن صريح فيما ثبت عن النبي ﷺ بضرورة الدين واتفاق المسلمين إن القرآن الكريم هو الكتاب الإلهي الذي لم يتطرق عليه التحريف والتبديل ، وذلك لأن الله تبارك وتعالى تعهد وتكفل بحفظه ، بخلاف التوراة والإنجيل ، فإن الله لم يتكفل بحفظهما ، بل استحفظ عليهما أهلهما فضيعوهما ، حكى الشاطبي عن أبي عمر الداني عن أبي الحسن المنتاب قال : كنت يوماً عند القاضي أبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق ، فقيل له : لم جاز التبديل على أهل التوراة ، ولم يجز على أهل القرآن؟ فقال القاضي : قال الله عز وجل في أهل التوراة : ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة : ٤٤] .

---

(١) الأنوار النعمانية (٢/ ٣٢٨ ـ ٣٥٩) .
(٢) الشيعة والقرآن لإحسان إلهي ظهير ، ص ٦٨ ـ ٧١ .
(٣) الانتصار للصحب والآل ، ص ٦٥ .
(٤) أضواء على خطوط محب الدين ، ص ٤٢ وما بعدها .

فوكل الحفظ إليهم، فجاز التبديل عليهم ، وقال في القرآن : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] فلم يجز التبديل عليهم ، قال عليّ فمضيت إلى أبي عبد الله المحاملي فذكرت له الحكاية ، فقال : ما سمعت كلاماً أحسن من هذا[(١)] .

وقد أجمعت الأمة على مر العصور والدهور على أن القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ هو القرآن الموجود الآن بأيدي المسلمين ليس فيه زيادة أو نقصان ولا تغيير فيه أو تبديل ، ولا يمكن أن يتطرق إليه شيء من ذلك لوعد الله بحفظه وصيانته ، ولم يخالف في هذا إلا الشيعة الإمامية حيث زعموا أن القرآن الكريم قد حدث فيه تحريف وتغيير وتبديل، وزعموا أن الصحابة هم الذين حرفوا القرآن من أجل مصالحهم الدنيوية، وعقيدتهم هذه باطلة ، ودل على بطلانها الأدلة من القرآن الكريم ، وأقوال الأئمة من أهل البيت ، والعقل وإليك بيان ذلك :

أ ـ الأدلة من القرآن الكريم :

ـ الآيات الصريحة الدالة على تكفل الله تعالى بحفظ القرآن ، أنه لا يمكن أن يتطرَّق إليه التحريف أو التبديل ؛ والآيات في هذا الشأن كثيرة منها :

* قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

* قوله تعالى : ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ [الكهف : ٢٧] .

* قوله تعالى : ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤٢] .

* قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ١ ـ ٢] .

* قوله تعالى : ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود : ١] .

* وقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحج : ٥٢] .

* وقوله تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة : ١٦ ـ ١٧] .

فقد دلَّت هذه الآيات الكريمات على حفظ الله لكتابه الكريم وإحكامه لآياته ، وأنه

---

(١) الموافقات (٢/ ٥٩) .

لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢] ، وهذه الآيات في صراحتها على حفظ الله لكتابه وصيانته من التحريف والتبديل ، لا تحتاج إلى شرح أو توضيح ، كما أن ثناء الله تعالى في القرآن الكريم على الصحابة رضوان الله عليهم مما يؤكد زيف ما نسبته إليهم الشيعة الإمامية من دعوى تحريف القرآن[١] ، قال تعالى : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠] .

وقوله تعالى : ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨] وغير ذلك من الآيات في مدح الصحابة التي سيأتي شرحها وبيانها في موضعه ـ بإذن الله تعالى ـ .

وبعد إيراد هذه الآيات بقسميها المتقدمين ؛ نقول للشيعة الإمامية : إن قولكم بتحريف القرآن تعارضه هذه الآيات الكريمة ، التي أكد الله تعالى فيها أن هذا القرآن لم يحرَّف ولن يحرَّف ؛ لأنه هو الذي تكفل بحفظه وصيانته عن التحريف والتبديل ، كما أثنى على صحابة نبيه ﷺ الذين اتهمتموهم بالتحريف ، ووصفهم بالصدق ، والإيمان بالله ورسوله ﷺ ، وزكاهم أعظم تزكية ، فيلزمكم تجاه هذه الآيات ، إما أن تعترفوا وتقروا أن هذه الآيات جاءت من الله تعالى ، فعند ذلك لا يسعكم إلا قبولها ، واعتقاد ما دلت عليه ، من سلامة القرآن الكريم من التحريف والتبديل ، وإما أن تنكروا أنها من الله فهذا كفر بالله بإجماع المسلمين ، إذ من أنكر آية واحدة في القرآن واعتقد عدم صحة نسبتها إلى الله ؛ فهو كافر بإجماع المسلمين[٢] .

ب ـ الأدلة من أقوال أئمتهم :

فقد جاءت روايات كثيرة عن أئمتهم الذين يعتقدون عصمتهم ، يحثُّون فيها الشيعة على التمسك بكتاب الله ، وردِّ كل شيء إلى الكتاب والسنة ؛ ومن هذه الروايات : ما جاء عن موسى بن جعفر الكاظم : أنه سئل : أكل شيء في كتاب الله وسنة نبيه ، أو تقولون فيه؟ فقال : بل كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ[٣] . وجاء عن أبي عبد الله الصادق أنه

---

(١) بذل المجهود ، عبد الله الجميلي (١/ ٤٣٤) .

(٢) بذل المجهود (١/ ٢٣٥) .

(٣) الأصول للكافي (١/ ٦٢) .

قال: من خالف كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ فقد كفر[١]. وعن أبي جعفر أنه قال: إن الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلا أنزله في كتابه وبينه لرسوله ﷺ، وجعل لكل شيء حدّاً، وجعل عليه دليلاً يدل عليه[٢]، وعن أبي عبد الله قال: ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنة[٣].

والمتأمل لهذه الروايات يخرج بفائدتين مهمتين: .

* أن الأئمة من آل البيت كانوا يعتقدون كغيرهم من سلف الأمة صحة القرآن الكريم، وإلا لم يطلبوا من تلاميذهم التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ونبذ ما سواهما، ثم إخبارهم إياهم أنه ما من شيء إلا وهو في كتاب الله والسنة، وأنه ليس عندهم إلا ما فيهما.

* أن الروايات المنسوبة إليهم من القول بتحريف القرآن لم يقولوها، بل هم برآء منها وممن افتراها[٤].

ج ـ الأدلة العقلية:

وكما دلَّ النقل على بطلان دعوى الإمامية في تحريف القرآن الكريم، فإن العقل يدل على بطلان دعواهم تلك، وذلك لما يترتب على القول بتحريف القرآن من المفاسد العظيمة التي يستلزم منها الطعن في الله تبارك وتعالى، وفي النبي ﷺ، وصحابته رضوان الله عليهم، والأئمة من آل البيت الأطهار، فالقول بتحريف القرآن يستلزم الطعن في الله تعالى واتهامه بعدم الوفاء بوعده بحفظ القرآن من التحريف؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ويستلزم الطعن في النبي ﷺ؛ حيث إنه لم يبلغ القرآن الكريم البلاغ الكامل، بل خصَّ علياً رضي الله عنه بكثير من الآيات التي لم يطلع عليها غيره، ويستلزم الطعن في الصحابة الذين حرفوا القرآن من أجل مصالحهم الخاصة على حسب ما يدعيه الشيعة الإمامية ـ ويستلزم الطعن في علي والأئمة من بعده، وذلك لأنهم لم يسلموا القرآن الذي معهم ـ على حد زعم الشيعة الإمامية ـ إلى الناس ويدعوهم إليه، وهذا كتم لكتاب الله، وقد توعد الله على ذلك بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ

---

(١) أصول الكافي (١/ ٧٠).
(٢) المصدر السابق نفسه (١/ ٥٩).
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) بذل المجهود (١/ ٤٣٧).

بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

ولو كان للشيعة الإمامية اعتراف بالأدلة العقلية ، لكانت هذه اللوازم الفاسدة المترتبة على تلك العقيدة أكبر رادع لهم للإقلاع عنها ، والتوبة إلى الله من كل ما افتروه عليه وعلى نبيه ﷺ وصحابة نبيه الكرام ، وأهل البيت الأطهار[١] .

٢ ـ اعتقادهم أن القرآن ليس حجة إلا بقيم :

قال الكليني صاحب «أصول الكافي» والذي هو عندهم كصحيح البخاري عند أهل السنة[٢] ، يروي ما نصه: . . أن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم: وأن علياً كان قيم القرآن ، وكانت طاعته مفترضة ، وكان الحجة على الناس بعد رسول الله[٣] . كما توجد هذه المقالة في طائفة من كتبهم المعتمدة «كرجال الكشي»[٤] ، و«علل الشرائع»[٥] ، و«المحاسن»[٦] ، و«وسائل الشيعة»[٧] ، وغيرها . وكيف يقال مثل هذا في كتاب أنزله الله سبحانه ليكون هداية للناس ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]؟!.

قال الخليفة الراشد عليّ ـ رضي الله عنه ـ: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو الحبل المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يشبع منه العلماء ، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم»[٨] .

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: تضمن الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢا بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ

---

(١) المصدر السابق نفسه.
(٢) أصول الشيعة الإمامية (١/ ١٥٥).
(٣) أصول الكافي (١/ ١٨٨).
(٤) رجال الكشي ، ص ٤٢٠.
(٥) الصدوق ، علل الشرائع ، ص ١٩٢.
(٦) المحاسن للبرقي ، ص ٢٦٨.
(٧) وسائل الشيعة للحر العاملي (١٨/ ١٤١).
(٨) فضائل القرآن لابن كثير ، ص ١٥ ، موقف على أمير المؤمنين علي.

عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾[١] .

وقد جاء في كتب الشيعة نفسها عن أهل البيت ما ينقض هذه المقولة في بعض مصادرهم المعتمدة ، فقد جاء فيها : . . . فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم ، فعليكم بالقرآن ، فإنه شافع مشفع ، من جعله إمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار ، وهو الدليل يدل على خير سبيل[٢] .

وفي «نهج البلاغة» المنسوب لعلي ـ رضي الله عنه ـ ، وهو الذي عند الشيعة من أوثق المراجع ؛ جاء النص التالي : فالقرآن آمر زاجر ، وصامت ناطق ، حجة الله على خلقه[٣] .

ولهذه النصوص شواهد أخرى ، وهي تكشف لنا مدى التناقض والاضطراب الواقع في مصادر هؤلاء القوم ، فرواياتهم ـ كما ترى ـ يعارض بعضها بعضاً ، لكنهم في حالة التناقض تلك قد وضعوا لهم منهجاً خطيراً ، وهو الأخذ بما خالف العامة ـ وهم أهل السنة عندهم ، والمتأمل لتلك المقالة التي تواترت في كتب الشيعة يلاحظ أنها من وضع عدو حاقد أراد أن يصدَّ الشيعة الإمامية عن كتاب الله سبحانه ، ويضلهم عن هدى الله ، فما دامت تلك المقالة ربطت حجية القرآن بوجود القيم ، والقيم هو أحد الأئمة الاثني عشر ؛ لأن القرآن فسر لرجل واحد وهو علي ، وقد انتقل علم القرآن من علي إلى سائر الأئمة الاثني عشر ، كل إمام يعهد بهذا العلم إلى من بعده ، حتى انتهى إلى الإمام الثاني عشر ، وهو غائب مفقود عند الاثني عشرية منذ ما يزيد على أحد عشر قرناً ، ومعدوم عند طوائف من الشيعة وغيرهم ، فما دامت هذه المقالة ربطت حجية القرآن بهذا الغائب أو المعدوم فكأن نهايتها أن الاحتجاج بالقرآن متوقف لغياب قَيِّمه أو عدمه ، وأنه لا يرجع إلى كتاب الله ، ولا يعرج عليه في مقام الاستدلال ، لأن الحجة في قول الإمام فقط ، وهو غائب فلا حجة فيه حينئذ ! وحسبك به انحراف عن صراط الله ، وتلك ليست نهاية البعد على كتاب الله ، وعلى الشيعة ، ولكنها حلقة من حلقات ، تريد أن تبعد الشيعة عن كتاب الله عز وجل[٤] .

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٢٢٥) .

(٢) تفسير العياشي (١/ ٢) ؛ البحار (٩٢/ ١٧) .

(٣) نهج البلاغة ، ص ٢٦٥ ؛ أصول الشيعة الإمامية (١/ ١٦٠) .

(٤) أصول الشيعة الإمامية (١/ ١٦١) .

إن مما علم من الإسلام بالضرورة أن علم القرآن الكريم لم يكن سراً تتوارثه سلالة معينة ، ولم يكن لعلي اختصاص بهذا دون سائر صحابة رسول الله ﷺ ، وأن الصحابة رضوان الله عليهم هم الطليعة الأولى الذين حازوا شرف تلقي هذا القرآن عن رسول البشرية محمد ﷺ ونقله إلى الأجيال كافة، ولكن الشيعة الإمامية تخالف هذا الأصل ، وتعتقد أن الله سبحانه قد اختصَّ أئمتهم الاثني عشر بعلم القرآن كله ، وأنهم اختصوا بتأويله ، وأن من طلب علم القرآن من غيرهم فقد ضل[١] ، وتذكر بعض مصادر أهل السنة بأن بداية هذه المقالة ، وجذورها الأولى ترجع لابن سبأ ؛ فهو القائل : بأن القرآن جزء من تسعة أجزاء ، وعلمه عند علي[٢] .

وقد استفاض ذكر هذه المقالة في كتب الشيعة الإمامية الاثني عشرية بألوان الأخبار وصنوف الروايات :

أ ـ جاء في (أصول الكافي) في خبر طويل عن أبي عبد الله قال : إن الناس يكفيهم القرآن لو وجدوا له مفسراً ، وإن رسول الله ـ ﷺ ـ فسره لرجل واحد ، وفسر للأمة شأن ذلك الرجل وهو علي بن أبي طالب[٣] .

وجاء في طائفة من مصادر الشيعة المعتمدة لديهم : أن رسول الله ﷺ قال : إن الله أنزل علي القرآن وهو الذي من خالفه ضل ، ومن يبتغي علمه عند غير علي هلك[٤] .

وزعمت أيضاً كتب الشيعة أن أبا جعفر قال : يا قتادة أنت فقيه أهل البصرة؟ فقال : هكذا يزعمون ، قال أبو جعفر ـ رضي الله عنه ـ : بلغني أنك تفسر القرآن؟ فقال له قتادة : نعم . . . إلى أن قال : ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به[٥] .

ورواياتهم في هذا الباب كثيرة جداً ، وربما تستغرق مجلداً ، وكلها تحوم حول معنى واحد وهو اختصاص الأئمة الاثني عشر بعلم القرآن ، وأنه مخزون عندهم وبه يعلمون كل شيء[٦] .

---

(١) المصدر السابق نفسه (١/ ١٦٢) .
(٢) أحوال الرجال ، للجوزجاني ص ٣٨ ؛ أصول الشيعة الإمامية (١/ ١٦٢) .
(٣) أصول الكافي (١/ ٢٥) ؛ وسائل الشيعة (١٨/ ١٣١) .
(٤) أمالي الصدوق ، ص ٤٠ ؛ وسائل الشيعة (١٨/ ١٣٨) .
(٥) بحار الأنوار (٤٢/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨) ؛ أصول الشيعة (١/ ١٦٣) .
(٦) أصول الشيعة الإمامية (١/ ١٦٦) .

والرد على ذلك كما قال الله تعالى لمن طلب آية تدل على صدق الرسول: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٥١]؛ فالقرآن الكريم العظيم هو الشاهد والدليل والحجة، ومن ابتغى علم القرآن من القرآن، أو من سنة المصطفى ﷺ، أو من صحابة رسول الله ﷺ بما فيهم علي فقد اهتدى.

والقول بأن من طلب علم القرآن عند غير علي هلك ليس من دين الإسلام، وهو مما علم بطلانه من الإسلام بالضرورة، فلم يخص النبي ﷺ أحداً من الصحابة بعلم الشريعة دون الآخرين، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤]، فالآية تدل على أن البيان للناس وليس لفرد أو طائفة منهم، ولو كانوا أهل بيته، وقد نفى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أن يكون خصه رسول الله ﷺ بعلم دون الناس[١].

وقد خاطب النبي ﷺ الصحابة ومن بعدهم، ورغبهم في تبليغ سنته ولم يخص أحداً منهم، فقال ﷺ: «نضّر الله أمرأً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره، فإنه رب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[٢]. وقد روت هذا الحديث كتب الشيعة الإمامية الاثني عشرية المعتمدة[٣]، فيكون حجة عليهم.

وأما الدعوة بأن القرآن الكريم لم يخاطَب به سوى الأئمة الاثني عشر، ومن هنا فلا يعرف القرآن سواهم ـ إنما يعرف القرآن من خوطب به[٤] ـ وبهذا الفهم السقيم يعتبر صحابة رسول الله والتابعون وأئمة الإسلام على امتداد العصور قد هلكوا وأهلكوا ـ على حد زعمهم ـ بقيامهم بتفسير القرآن وفق أصوله، أو اعتقادهم أن في كتاب الله ما لا يعذر أحد بجهالته، ومنه ما تعرفه العرب من كلامها، ومنه ما لا يعرفه إلا العلماء، ومنه ما لا يعلمه إلا الله[٥]، فالشيعة تزعم أنه لا يعرف القرآن سوى الأئمة، وأنهم يعرفون القرآن كله وهذه دعوة تفتقر إلى الدليل، وزعمٌ يناقض العقل والنقل.

فمما يجب أن يعلم: أن النبي ﷺ بيَّن لأصحابه معاني القرآن، كما بين لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤]. يتناول هذا وهذا. وقد قال

---

(١) مسلم، رقم ١٩٧٨.
(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٦٨٩ ـ ٦٩٠).
(٣) أصول الكافي (١/ ٤٠٣)؛ وسائل الشيعة للحر العاملي (١٨/ ٦٣).
(٤) بحار الأنوار (٢٤/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨)؛ أصول الشيعة (١/ ١٦٣).
(٥) تفسير الطبري (١/ ٧٦)، كلام لابن عباس.

أبو عبد الرحمن السلمي : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن ـ كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود وغيرهما ـ أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً[١] .

ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة ، وذلك أن الله تعالى قال : ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص : ٢٩] ، وقال : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء : ٨٢] ، وقال : ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون : ٦٨]. وتدبر القرآن بدون فهم معانيه لا يمكن ، وكذلك قال تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف : ٢]. وعقل القرآن متضمن لفهمه ، ومن المعلوم : أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه ، فالقرآن أولى .

ولهذا لم تعد فئة من الشيعة تهضم هذه المقالة، وخرجت عن القول بكل ما فيها ، فقالت بأن ظواهر القرآن لا يختص بعلمها لأئمة الاثنا عشر ، بل يشاركهم غيرهم فيها، أما بواطن الآيات فمن اختصاص الأئمة . وقام خلاف كبير حول حجية ظواهر القرآن بين الأخباريين والأصوليين، فالفئة الأولى ترى أنه لا يعلم تفسير القرآن كله ظاهره وباطنه إلا الأئمة، والأخرى ترى حجية ظواهر القرآن لعموم الأدلة في الدعوة لتدبر القرآن وفهمه[٢] .

إن دعوى القرآن لم يفسره إلا لعلي مخالفة لقول الله سبحانه : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل : ٤٤]. فالبيان للناس لا لعلي وحده ـ كما سبق ـ ؛ فليس لمن قال هذه المقالة إلا أحد طريقين :

إما القول بأن الرسول ﷺ لم يبلغ ما أنزل إليه .

وإما أن يكذب القرآن .

وهي مخالفة للعقل وما علم من الإسلام بالضرورة، ودعوى أن علم القرآن اختص به الأئمة ينافيه اشتهار عدد كبير من صحابة رسول الله ﷺ بتفسير القرآن كالخلفاء الأربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وزيد بن ثابت وغيرهم . وكان علي ـ رضي الله عنه ـ يثني على تفسير ابن عباس[٣] .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٣١).

(٢) البيان للخوئي ، ص ٤٦٣ ؛ أصول الفقه للمظفر (٣/ ١٣٠)

(٣) تفسير ابن عطية (١/ ١٩) ؛ تفسير ابن جزي (١/ ٩).

وقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: وهذا ابن عباس نقل عنه من التفسير ما شاء الله بالأسانيد الثابتة ليس في شيء منها ذكر علي ، وابن عباس يروي عن غير واحد من الصحابة ؛ يروي عن عمر ، وأبي هريرة ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعن زيد بن ثابت ، وأبي بن كعب ، وأسامة بن زيد وغير واحد من المهاجرين والأنصار ، وروايته عن علي قليلة جداً ، ولم يخرج أصحاب الصحيح شيئاً من حديثه عن علي، وخرجوا حديثه عن عمر وعبد الرحمن بن عوف وأبي هريرة وغيرهم. . . وما يعرف بأيدي المسلمين تفسير ثابت عن علي ، وهذه كتب الحديث والتفسير مملوءة بالآثار عن الصحابة والتابعين ، والذي منها عن علي رضي الله عنه قليل جداً ، وما ينقل من التفسير عن جعفر الصادق عامته كذب على جعفر[(١)] ، وقد تحدث جعفر بِوَلَعِ الناس بالكذب عليه .

إن قولهم بأن علم القرآن انفرد بنقله علي رضي الله عنه يفضي إلى الطعن في تواتر شريعة القرآن من الصحابة إلى سائر الأجيال ، لأنه لم ينقلها ـ على حد زعمهم ـ عن رسول الله إلا واحد وهو علي ـ رضي الله عنه ـ ، فهذه المقالة الهدف منها الصد عن كتاب الله سبحانه والإعراض عن تدبره ، واستلهام هديه ، والتفكر في عبره ، والتأمل في معانيه ومقاصده ، فالقرآن عند الشيعة الإمامية لا وسيلة لفهم معانيه إلا من طريقة الأئمة الاثني عشر ، أما غيرهم فمحروم من الانتفاع به ، وهي محاولة أو حيلة مكشوفة الهدف ، مفضوحة القصد ، لأن كتاب الله نزل بلسان عربي مبين ، وخوطب به الناس أجمعون : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف : ٢] ، ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٨] .

وأمر الله عباده بتدبره ، والاعتبار بأمثاله ، والاتعاظ بمواعظه ، ومحال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له ولا يعقل تأويله : اعتبر بما لا فهم لك به ، ولا معرفة من البيان والكلام[(٢)] ، وهي محاولة للصدِّ عن ذلك العلم العظيم في تفسير القرآن، والذي نقله إلينا صحابة رسول الله والسلف والأئمة .

فهذه الكنوز العظيمة لا عبرة بها ولا قيمة لها عند الشيعة الإمامية ، لأنها ليست واردة عن الأئمة الاثني عشر ، وقد صرح بذلك بعض شيوخهم المعاصرين فقال : إن جميع

(١) منهاج السنة (٤/ ١٥٥) .
(٢) تفسير الطبري (١/ ٨٢) .

التفاسير الواردة عن غير أهل البيت لا قيمة لها ولا يعتد بها[١] ، لقد حاولت كتب التفسير المعتمدة عندهم كتفسير القمي والعياشي والصافي والبرهان ، وكتب الحديث كالكافي والبحار تأويلات لكتاب الله منسوبة لآل البيت تكشف في الكثير الغالب عن جهل فاضح بكتاب الله ، وتأويل منحرف لآياته ، وتعسف بالغ في تفسيره ، ولا يمكن أن تصح نسبتها لعلماء آل البيت ، فهي تأويلات لا تتصل بمدلولات الألفاظ ، ولا بمفهومها ولا بالسياق القرآني ـ كما سيأتي أمثلة على ذلك بإذن الله ـ ، وبناء على هذه العقيدة ؛ أن هذا هو مبلغ علم علماء آل البيت ، وفي ذلك من الزراية عليهم ونسبة الجهل إليهم الشيء الكثير من قوم يزعمون محبتهم والتشيع لهم[٢] .

٣ ـ اعتقادهم بأن للقرآن معاني باطنة تخالف الظاهر:

ذهب الشيعة الإمامية إلى أن للقرآن ظاهراً وباطناً ، وأن الناس لا يعلمون إلا الظاهر ، وأما الباطن فلا يعلمه إلا الأئمة ومن يستقي منهم ، وبمثل هذه الأفكار فتح الشيعة الإمامية الباب للزنادقة والملحدين وأصحاب الأهواء والمذاهب الهدامة لكي يتلاعبوا بالقرآن، وحاولوا جميعاً الكيد له ، وأرادوا أن يطفئوا نور الإسلام بأفواههم ، ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون ، وقد استغل الشيعة الإمامية فكرة الظاهر والباطن هذه ، وحاولوا بها تفسير القرآن لكي يوافق معتقداتهم ويخدم مذهبهم في الإمامة ، كما اتخذوا القرآن تكأة للهجوم على الصحابة رضي الله عنهم وتجريحهم في الوقت الذي يمجدون فيه أهل البيت ، وينسبون إليهم أشياء يدفعونها هم عن أنفسهم ، وقد أتى الشيعة الإمامية في هذا الباب بآراء تخالف كل ما أثر في تفسير القرآن، ولا يسندها أثر ولا عقل ولا لغة ولا منطق[٣] .

إن جذور التأويل الباطني نبتت في أروقة السبئية ، لأن ابن سبأ حاول أن يجد لقوله بالرجعة مستنداً من كتاب الله بالتأويل الباطل وذلك حينما قال: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذّب بأن محمداً يرجع . وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] [٤] .

---

(١) الشيعة والرجعة ، محمد رضا النجفي ، ص ١٩ .

(٢) أصول الشيعة الإمامية (١/ ١٧٦) .

(٣) دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٧) .

وقد نقلت لنا بعض كتب أهل السنة نماذج من تأويلات الشيعة لكتاب الله ، ولكن ما انكشف لنا اليوم أمر خطير على عقائد الناس وفكرهم وثقافتهم ، فقد نقل الإمام الأشعري[(١)] ، والبغدادي[(٢)] ، والشهرستاني[(٣)] ، وغيرهم عن المغيرة بن سعيد ـ أحد الغلاة باتفاق السنة والشيعة ـ والذي تنسب إليه الطائفة المغيرية : أنه ذهب في تأويل الشيطان في قول الله جل شأنه : ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ ﴾ [الحشر : ١٦] بعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ! وهذا التأويل بعينه قد ورثته الاثنا عشرية ، ودونته في مصادرها المعتمدة ، حيث جاء في «تفسير العياشي»[(٤)] ، والصافي[(٥)] ، والقمي[(٦)] ، والبرهان[(٧)] ، و«بحار الأنوار»[(٨)] ، عن أبي جعفر في قول الله : ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾ [إبراهيم : ٢٢] قال : هو الثاني ، وليس في القرآن شيء وقال الشيطان ؛ إلا وهو الثاني ، فكانت كتب الاثني عشرية تزيد على المغيرية بوضع هذا الانحراف في كتاب الله قاعدة مطردة[(٩)] .

فهذه الروايات التي تسندها كتب الشيعة الاثني عشرية إلى أبي جعفر الباقر هي من أكاذيب المغيرة بن سعيد وأمثاله ، فقد ذكر الذهبي عن كثير النواء[(١٠)] ، أن أبا جعفر قال : برئ الله ورسوله من المغيرة بن سعيد ، وبيان بن سمعان ؛ فإنهما كذبا علينا أهل البيت[(١١)] .

وروى الكشي في رجاله عن أبي عبد الله قال : لعن الله المغيرة بن سعيد كان يكذب علينا[(١٢)] ، وساق الكشي روايات عديدة في هذا الباب[(١٣)] .

---

(١) مقالات الإسلاميين (١/ ٧٣) .
(٢) الفرق بين الفرق ، ص ٢٤٠ .
(٣) الملل والنحل (١/ ١٧٧) .
(٤) تفسير العياشي (٢/ ٢٢٣) .
(٥) تفسير الصافي (٣/ ٢٢٣) .
(٦) تفسير القمي (٣/ ٨٤) .
(٧) البرهان (٢/ ٣٠٩) .
(٨) بحار الأنوار (٣/ ٣٧٨) .
(٩) أصول الشيعة الإمامية (١/ ٢٠٦) .
(١٠) كثير النواء : شيعي ، وروي أنه رجع عن تشيعه .
(١١) ميزان الاعتدال (٤/ ١٦١) .
(١٢) رجال الكشي ، ص ١٩٥ .
(١٣) المصدر السابق نفسه .

ويلاحظ أنه اتفق كل من الأشعري، والبغدادي، وابن حـزم، ونشوان الحميري على أن جابر الجعفي الذي وضع أول تفسير للشيعة على ذلك النهج الباطني كان خليفة المغيرة ابن سعيد[١] الذي قال: بأن المراد بالشيطان في القرآن هو أمير المؤمنين عمر ـ رضي الله عنه ـ؛ فهي عناصر خطرة يستقي بعضها من بعض عملت على فساد التشيع[٢].

وحين احتج شيخ الشيعة في زمنه ـ والذي إذا أطلق لقب العلاّمة عندهم انصرف إليه (ابن المطهر الحلي) ـ على استحقاق علي للإمامة بقوله: «البرهان الثلاثون: قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩ ـ ٢٠]، قال: علي وفاطمة، ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ النبي ﷺ، ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ الحسن والحسين»، فحينما احتج ابن المطهر بذلك قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: إن هذا وأمثاله إنما يقوله من لا يعقل ما يقول، وهذا بالهذيان أشبه منه بتفسير القرآن، وهو من جنس تفسير الملاحدة والقرامطة للقرآن، بل هو شر من كثير منه، والتفسير بمثل هذا طريق للملاحدة على القرآن والطعن فيه، بل تفسير القرآن بمثل هذا من أعظم القدح فيه والطعن فيه[٣]، وهذه أمثلة من تحريف الشيعة الإمامية لآيات القرآن الكريم، وذلك بفتحهم التفسير الباطني للقرآن الكريم على مصراعيه:

أ ـ تحريفهم معنى التوحيد الذي هو أصل الدين إلى معنى آخر هو ولاية الإمامة:

فعن أبي جعفر أنـه قال: ما بعث الله نبياً قط إلا بولايتنـا والبراءة من عدونـا[٤]، وذلك قوله الله في كتابه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ب ـ تحريفهم معنى الإلٰه إلى معنى الإمام:

ففي قوله تعالى: ﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النحل: ٥١]. قال أبو عبد الله: يعني بذلك: ولا تتخذوا إمامين إنما هو إمام واحد[٥].

---

(١) مقالات الإسلاميين (١/ ٧٣)؛ الفرق بين الفرق، ص ٢٤٢. المحلي (٥/ ٤٤)؛ أصول الشيعة (١/ ٢٠٧).
(٢) أصول الشيعة (١/ ٢٠٨).
(٣) منهاج السنة (٤/ ٦٦).
(٤) تفسير العياشي (٢/ ٢٦١)؛ البرهان (٢/ ٣٧٣).
(٥) البرهان (٢/ ٣٧٣)؛ أصول الشيعة (١/ ٢٠٩).

ج ـ تحريفهم معنى الرب في القرآن إلى معنى الإمام:

ففي تفسير قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٥]. قال القمي في تفسيره: الكافر: الثاني (يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان على أمير المؤمنين علي عليه السلام ظهيراً)[١]. وقال الكاشاني في «البصائر»: الباقر عليه السلام: أنه سئل عن تفسير هذه الآية فقال: إن تفسيرها في بطن القرآن: علي هو ربه في الولاية[٢].

د ـ تحريفهم معاني الكلمة إلى معاني الأئمة:

فقالوا في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٢١]. الكلمة: الإمام[٣]، وقوله سبحانه: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٦٤]. قالوا: لا تفسير للإمامة[٤].

هـ ـ تحريفهم معاني المسجد والكعبة والقبلة إلى معاني الأئمة:

فقالوا في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٢٩] قال: يعني الأئمة[٥]، وفي رواية: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]؛ قال: يعني الأئمة[٦]. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]. قال: إن الإمام من آل محمد فلا تتخذوا من غيرهم إماماً[٧]، ويقول الصادق عنهم: .. نحن البلد الحرام، ونحن كعبة الله، ونحن قبلة الله[٨]. والسجود: هو ولاية الأئمة، وبهذا يفسرون قوله تعالى: ﴿كَانُواْ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم: ٤٣]، حيث قالوا: يدعون إلى ولاية علي في الدنيا[٩].

---

(١) تفسير القمي (٢/ ١١٥).

(٢) تفسير نور الثقلين (٤/ ٢٥).

(٣) تفسير القمي (٢/ ٢٧٤)؛ بحار الأنوار (٢٤/ ١٧٤).

(٤) تفسير القمي (١/ ٣١٤)؛ بحار الأنوار (٢٤/ ١٧٥).

(٥) تفسير العياشي (٢/ ١٢)؛ أصول الشيعة (١/ ٢١٦).

(٦) تفسير العياشي (٢/ ١٣)؛ أصول الشيعة (١/ ٢١٦).

(٧) البرهان (٤/ ٣٩٣)؛ أصول الشيعة (١/ ٢١٦).

(٨) بحار الأنوار (٢٤/ ٣٠٣).

(٩) تفسير القمي (٢/ ٣٨٣)؛ مرآة الأنوار، ص ١٧٦.

و ـ تحريفهم معاني التوبة في القرآن إلى الرجوع عن ولاية أبي بكر وعمر وعثمان إلى ولاية علي وحده:

ففي قوله سبحانه: ﴿فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ [غافر: ٧]. جاء تأويلها عندهم في ثلاث روايات: تقول الأولى: ﴿فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾ من ولاية فلان وفلان (يعنون أبا بكر وعمر وبني أمية)، وتقول الرواية الثانية: ﴿فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾ من ولاية الطواغيت الثلاثة: (يعنون: أبا بكر وعمر وعثمان) من بني أمية، ﴿وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ يعني ولاية علي، وتقول الثالثة: ﴿فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾ من ولاية هؤلاء وبني أمية، ﴿وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ هو أمير المؤمنين[١]. وكل الروايات الثلاث المذكورة منسوبة لأبي جعفر محمد الباقر، وعلمه ودينه ينفيان صحة ذلك[٢].

وهذا قليل من كثير من تأويلاتهم الباطلة، فقد قامت مصادرهم في التفسير ـ غالباً ـ على هذا المنهج الباطني في التأويل الذي استقته من أبي الخطاب وجابر الجعفي والمغيرة بن سعيد وغيرهم من الغلاة.

ويلاحظ أنه في القرن الخامس بدأ اتجاه التفسير عندهم يحاول التخلُّص من تلك النزعة المفرقة في التأويل الباطني، حيث بدأ شيخ الطائفة عندهم أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (المتوفى ٤٦٠ هـ) يؤلف لهم كتاباً في التفسير، يحاول فيه أن يتخلص أو يخفف من ذلك الغلو الظاهر في «تفسير القمي» و«العياشي» وفي «أصول الكافي» وغيرها، وهو وإن كان يدافع عن أصول طائفته ويقرر مبادئهم المبتدعة، إلا أنه لا يهبط ذلك الهبوط الذي نزل إليه القمي ومن تأثر به، ومثل الطوسي في هذا النهج الفضل بن الحسن الطبرسي في «مجمع البيان»، وقد أشار ابن تيمية إلى ذلك حيث يقول: الطوسي ومن معه في تفسيرهم يأخذون من تفسير أهل السنة، وما في تفاسيرهم من علم يستفاد إنما هو مأخوذ من تفاسير أهل السنة[٣].

* * *

---

(١) تفسير الصافي (٤/ ٣٣٥)؛ تفسير القمي (٢/ ٢٥٥).
(٢) أصول الشيعة (١/ ٢١٨).
(٣) منهاج السنة (٣/ ٢٤٦).




موقف الإمامية الاثني عشرية من الصحابة الكرام

يقف الشيعة الإمامية من أصحاب النبي ﷺ موقف العداوة والبغضاء والحقد والضغينة ، يبرز ذلك من خلال مطاعنهم الكبيرة على الصحابة التي تزخر بها كتبهم القديمة والحديثة ، فمن ذلك اعتقادهم كفرهم وردتهم إلا نفراً يسيراً منهم ، على ما جاء مصرحاً بذلك في بعض الروايات الواردة في أصح كتبهم وأوثقها عندهم ، فقد روى الكليني عن أبي جعفر : أنه قال : كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة . فقلت : ومن الثلاث؟ فقال : المقداد بن الأسود ، وأبو ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي ، رحمة الله وبركاته عليهم ، ثم عرف أناس بعد يسير وقال : هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا ، وأبوا أن يبايعوا حتى جاؤوا بأمير المؤمنين مكرهاً فبايع[١] .

ـ **وقال نعمة الله الجزائري** : الإمامية قالوا بالنص الجلي على إمامة علي ، وكفَّروا الصحابة ، ووقعوا فيهم ، وساقوا الإمامة إلى جعفر الصادق وبعده إلى أولاده المعصومين عليهم السلام ، ومؤلف هذا الكتاب من هذه الفرقة وهي الناجية إن شاء الله[٢] .

وقدح الشيعة الإمامية في الصحابة لا يقف عند هذا الحد من اعتقاد تكفيرهم وردتهم ، بل يعتقدون أنهم شر خلق الله ، وأن الإيمان بالله ورسوله لا يكون إلا بالتبرؤ منهم ، وخاصة الخلفاء الثلاثة : أبا بكر وعمر وعثمان ، وأمهات المؤمنين[٣] .

ـ **يقول محمد باقر المجلسي** : وعقيدتنا في التبرؤ : أننا نتبرأ من الأصنام الأربعة : أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، ومعاوية ، والنساء الأربع : عائشة ، وحفصة ، وهند ، وأم الحكم ، ومن جميع أشياعهم وأتباعهم ، وأنهم شر خلق الله على وجه الأرض ،

---

(١) الروضة من الكافي (٨/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦) ؛ الانتصار للصحب والآل ، ص ٧٦ .
(٢) الأنوار النعمانية (٢/ ٢٤٤) .
(٣) الانتصار للصحب والآل ، ص ٧٧ .

وأنه لا يتم الإيمان بالله ورسوله والأئمة إلا بعد التبرؤ من أعدائهم(١).

وقد بلغ من حقد هؤلاء على أصحاب النبي ﷺ: استباحة لعنهم، بل تقربهم إلى الله بذلك أمراً يفوق الوصف، فقد روى الملا كاظم عن أبي حمزة الثمالي ـ افتراء على زين العابدين رحمه الله ـ أنه قال: من لعن الجبت والطاغوت لعنة واحدة كتب الله له سبعين ألف ألف حسنة، ومحى عنه ألف ألف سيئة، ورفع له سبعين ألف ألف درجة، من أمسى يلعنهما لعنة واحدة كتب له مثل ذلك، قال: فمضى مولانا علي بن الحسين، فدخلت على مولانا أبي جعفر محمد الباقر، فقلت: يا مولاي حديث سمعته من أبيك، قال: هات يا ثمالي، فأعدت عليه الحديث. فقال: نعم يا ثمالي. أتحب أن أزيدك؟ فقلت: بلى يا مولاي. فقال: من لعنهما لعنة واحدة في كل غداة لم يكتب عليه ذنب في ذلك اليوم حتى يمسي، ومن أمسى ولعنهما لعنة واحدة لم يكتب عليه ذنب في ليلة حتى يصبح(٢).

ومن الأدعية المشهورة عندهم الواردة في كتب الأذكار: دعاء يسمونه دعاء صنمي قريش (يعنون بهما: أبا بكر وعمر) وينسبون هذا الدعاء ظلماً وزوراً لعلي ـ رضي الله عنه ـ؛ وهو يتجاوز صفحة ونصف وفيه: اللهم صلِّ على محمد وآل محمد، والعن صنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيهما وإفكيهما، وابنتيهما اللذين خالفا أمرك، وأنكرا وحيك، وجحدا إنعامك، وعصيا رسولك، وقلبا دينك، وحرفا كتابك.... إلى أن جاء في آخره ـ: اللهم العنهما في مكنون السر، وظاهر العلانية، لعناً كثيراً أبداً، دائماً سرمداً، لا انقطاع لأمره، ولا نفاد لعدده، لعناً يعود أوله ولا يروح آخره، لهم ولأعوانهم، وأنصارهم ومحبيهم ومواليهم، والمسلمين لهم، والمائلين إليهم، والناهضين باحتجاجهم، والمقتدين بكلامهم، والمصدقين بأحكامهم. (قل أربع مرات): اللهم عذبهم عذاباً يستغيث منه أهل النار، آمين رب العالمين(٣).

هذا الدعاء مرغب فيه عندهم، حتى إنهم رووا في فضله نسبة إلى ابن عباس أنه قال: إن علياً ـ عليه السلام ـ كان يقنت بهذا الدعاء في صلواته، وقال: إن الداعي به كالرامي

(١) حق اليقين، ص ٥١٩ (فارسي)، وقد قام بترجمة النص ونقله إلى العربية: الشيخ محمد عبد الستار التونسوي في كتابه بطلان عقائد الشيعة، ص ٥٣.

(٢) أجمع الفضائح لملا كاظم، ص ٥١٣، نقلاً عن الشيعة وأهل البيت، ص ١٥٧.

(٣) مفتاح الجنان في الأدعية والزيارات والأذكار، ص ١١٣ ـ ١١٤؛ وتحفة عوام مقبول، ص ٢١٤ ـ ٢١٥. وهذا الكتاب الأخير موثق من كبار علمائهم المعاصرين ورد ذكر أسمائهم على غلاف الكتاب ومنهم الخميني.

مع النبي ﷺ في بدر ، وأحد ، وحنين ، بألف ألف سهم[١] .

ولهذا كان هذا الدعاء محل عناية علمائهم ، حتى إن أغا بزرك الطهراني ذكر أن شروحه بلغت العشرة[٢] .

فهذا ما جاء في كتبهم القديمة وعلى ألسنة علمائهم المتقدمين ، أما المعاصرون منهم فهم على عقيدة سلفهم سائرون وبها متمسكون ، فهذا إمامهم المقدس وآيتهم العظمى الخميني ـ يقول في كتابه (كشف الأسرار) : إننا هنا لا شأن لنا بالشيخين ، وما قاما به من مخالفات للقرآن ، ومن تلاعب بأحكام الإله ، وما حللاه وحرماه من عندهما ، وما مارساه من ظلم ضد فاطمة ابنة النبي ﷺ وضد أولادها ، ولكننا نشير إلى جهلهما بأحكام الإله والدين[٣] .

ويقول عن الشيخين ـ رضي الله عنهما ـ : وهنا نجد أنفسنا مضطرين على إيراد شواهد من مخالفتها الصريحة للقرآن لنثبت بأنهما كانا يخالفان ذلك[٤] .

ويقول متهمهما بتحريف القرآن : لقد ذكر الله ثماني فئات تستحق سهماً من الزكاة ، لكن أبا بكر أسقط واحدة من هذه الفئات ، بإيعاز من عمر ولم يقل المسلمون شيئاً[٥] .
ويقول : الواقع أنهم أعطوا الرسول حق قدره . . . الرسول الذي كدّ وجد وتحمل المصائب من أجل إرشادهم وهدايتهم وأغمض عينيه وفي أذنيه كلمات ابن الخطاب القائمة على الفرية والنابعة من أعمال الكفر والزندقة[٦] .

وقد خرجت أصوات شيعية معاصرة تدعو للتقارب بين الشيعة وأهل السنة ، وتزعم أنها تقدر الصحابة ، كالخنيزي ، وأحمد مغنية ، والرفاعي ، ومحمد جواد مغنية ، فعليهم أن يعلنوا موقفهم في تقديمهم للصحابة في الأوساط الشيعية ، وأن يعملوا على تنقية التراث الشيعي من كل ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله ، وأن يتصدوا لمشايخ الشيعة المعاصرين الذين لا يزالون يهذون في هذا الضلال ، وألا يتجاهلوا ما جاء في كتبهم قديماً وحديثاً ، وما يجري في واقعهم من عوامهم وشيوخهم ، وأن يصدقوا

---

(١) علم اليقين في أصول الدين لمحسن الكاشاني (٢/ ١٠١) .
(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة (٨/ ١٩٢) .
(٣) كشف الأسرار ، ص ١٢٦ .
(٤) المرجع السابق نفسه ، ص ١٣١ .
(٥) المرجع السابق نفسه ، ص ١٣٥ .
(٦) المرجع السابق نفسه ، ص ١٣٧ .

ولا يتناقضوا ، حتى يقبل منهم موقفهم[١] .

إن عقيدة الشيعة الإمامية في الصحابة موجودة في أصول كتبهم التي يقوم عليها المذهب من مطاعن ، وسباب ، وشتائم بذيئة يتنزه أصحاب المروءة والدين عن إطلاقها على أكفر الناس ، بينما تنشرح بها صدور الشيعة الإمامية ، وتسارع بها ألسنتهم في حق أصحاب رسول الله وخلفائه ووزرائه وأصهاره ، ويعدون ذلك ديناً يرجون عليه من الله أعظم الأجر والمثوبة ، وفي الحقيقة : إن المسلم إذا ما تأمل حال هؤلاء الناس وما هم عليه من بعد وضلال فإنه لا بد له من موقفين :

أ ـ موقف استشعار نعمة الله ، وعظم لطفه ، وسابغ كرمه أن أنقذه من هذا الضلال ، الأمر الذي يستوجب شكراً لله على ذلك .

ب ـ موقف الاتعاظ والاعتبار ، بما بلغ بهؤلاء القوم من زيغ وانحراف ، يعلمه من له أدنى ذرة من عقل ، كتقربهم إلى الله بلعن أبي بكر وعمر صباحاً ومساء ، وزعمهم أن من لعنهما لعنة واحدة لم تكتب عليه خطيئة يومه .

وذلك أن عامة العقلاء من هذه الأمة ، بل ومن أصحاب الملل السماوية يدركون إدراكاً ضرورياً من دين الله ، أن الله ما تعبد أمة من الأمم بلعن أحد من الكفار ، ولو كان من أكفر الناس ، بل ما تعبدهم بلعن إبليس اللعين المطرود من رحمة الله صباحاً ومساء ، في أوراد مخصوصة تقربنا إلى الله كما تتقرب الشيعة الإمامية بلعن أبي بكر وعمر .

بل إني لا أعلم[٢] ، فيما اطلعت عليه من كتب الإمامية أنفسهم ـ أنها تضمنت دعاء مخصوصاً أو غير مخصوص في لعن أبي جهل ، أو أمية بن خلف ، أو الوليد بن المغيرة الذين هم أشد الناس كفراً بالله وتكذيباً لرسوله ﷺ ، بل ولا في لعن إبليس ، في حين أن كتبهم تمتلئ بالروايات في لعن أبي بكر وعمر ، كما في دعاء صنمي قريش وغيره ، ففي هذا عبرة لكل معتبر فيما يبلغ بالعبد من الضلال إن هو أعرض عن شرع الله ، واتبع الأهواء والبدع ؛ كيف يزين له سوء عمله وقبيح أفعاله حتى يصبح لا يعرف معروفاً من منكر ، ولا يميز حقاً من باطل ، بل يتخبط في الظلمات ، ويعيش سكرة الشهوات ، وهذا ما أخبر الله عنه في كتابه وبين حال أصحابه[٣] في قوله : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) أصول الشيعة الإمامية (٣/ ١٣١٩ إلى ١٣٤٢) .

(٢) القائل : هو الدكتور إبراهيم الرحيلي صاحب كتاب (الانتصار للصحب والآل) ، ص ٨٥ .

(٣) الانتصار للصحب والآل ، ص ٨٥ .

يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر: ٨]. وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]. وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ [مريم: ٧٥].

١ ـ نماذج للمزاجية في تفسير الآيات عند الشيعة الإمامية: المتعلقة بردة الصحابة ـ على حد زعمهم ـ والرد على باطلهم:

أ ـ آية آل عمران:

استدل الشيعة الرافضة بقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٣ ـ ١٤٤]. إن هذه الآية يزعمون أنها صريحة في الدلالة على انقلاب الصحابة بعد رسول الله ﷺ، وعد الصحابة المنقلبين على أعقابهم هم الكثرة الغالبة من الصحابة، فيما ثبت من الصحابة قلة قليلة، وهي الفئة التي ترى الشيعة الإمامية ثبوتها على الإسلام، وهؤلاء الثابتون هم الشاكرون، ولا يكونون إلا قلة كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] والمهم عندهم أن آية الانقلاب تقصد الصحابة مباشرة، الذين يعيشون مع رسول الله ﷺ في المدينة، وترمي إلى الانقلاب مباشرة بعد وفاته دون فعل[1]، وقد حوَّلوها وطبقوها على ما حدث في سقيفة بني ساعدة عندما انتخب الصحابة الكرام أبا بكر الصديق رضي الله عنهم. والرد على هذا الزيف العظيم كالآتي:

ـ **روى الطبري في «تفسيره» بسنده عن الضحاك قال** في قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]: ناس من أهل الارتياب والمرضى والنفاق، قالوا يوم فر الناس عن نبي الله ﷺ، وشج فوق حاجبه، وكسرت رباعيته: قتل محمد فالحقوا بدينكم الأول، فذلك قوله: ﴿أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤][2].

وروي أيضاً عن ابن جرير قال: قال أهل المرضى والارتياب والنفاق، حين فرّ الناس عن النبي ﷺ: قد قتل محمد، فالحقوا بدينكم الأول، فنزلت هذه الآية[3].

---

(١) ثم اهتديت للتجاني، ص ١١٤، ١١٥.
(٢) تفسير الطبري (٣/ ٤٥٨).
(٣) المصدر السابق نفسه (٣/ ٤٥٨).

فالمقصود بالانقلاب على الأعقاب في الآية هو ما قاله المنافقون لما أشيع في الناس أن رسول الله ﷺ قتل ، وهو قولهم : ارجعوا إلى دينكم الأول . ولم تكن هذه الآية فيمن ارتد بعد موت النبي ﷺ وإن كانت هي حجة عليهم ، مع أنها إن كانت فيمن ارتد بعد موت النبي ﷺ لكانت أظهر في الدلالة على براءة أصحاب النبي ﷺ من المرتدين ، فإنهم هم الذين قاتلوهم ، وأظهر الله دينه على أيديهم ، وخذل المرتدين بحربهم لهم ، فرجع منهم من رجع إلى الدين ، وهلك من هلك على ردته ، وظهر فضل الصديق والصحابة رضي الله عنهم بمقاتلتهم لهم[(١)] ، ولهذا ثبت عن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه كان يقول في قوله تعالى : ﴿ وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] : الثابتين على دينهم أبا بكر وأصحابه[(٢)] ، وكان يقول : كان أبو بكر أمين الشاكرين وأمين أحباء الله ، وكان أشكرهم وأحبهم إلى الله[(٣)] .

لقد كانت لموقعة أحد ظروفها الخاصة وملابساتها ، ولذلك جاءت الآيات الكريمة في سورة آل عمران وفقاً لتلك الظروف والملابسات ، واستخدام الآية الكريمة للاستدلال على وقائع أخرى كحادثة السقيفة أو موقعة الجمل لا يخلو من غرابة ومن مزاجية ، لا تمت بصلة للمنهجية العلمية .

وتعتبر هذه الآية من أكبر الدلائل على عظم إيمان أبي بكر رضي الله عنه وحكمته وتفانيه في الدفاع عن دين الله ، فموقفه الثابت يوم أن توفي رسول الله ﷺ خير شاهد على ذلك . . يوم أن وقف وقفته الثابتة مخاطباً الناس بعدما أصابهم الوهن والضعف على فقد رسول الله ﷺ فقال : إن الله عز وجل يقول : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] ويقول : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] ، فمن كان يعبد الله عز وجل فإن الله عز وجل حي لا يموت ، ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات[(٤)] .

وموقفه الصارم من الذين ارتدوا على أعقابهم واستبدلوا بالإيمان الكفر ، فاتبعوا مسيلمة وسجاح وطليحة بن خويلد والأسود العنسي وأمثالهم ، ومن الذين قالوا نصلي

---

(١) الانتصار للصحب والآل ، ص ٣٢٢ .

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٤٥٥) .

(٣) المصدر السابق نفسه .

(٤) البخاري ، فضائل الصحابة ، رقم ٣٦٦٨ .

ولا نزكي، فأسقطوا شعائر الإسلام بالهوى ؛ لأروع مثال على عظمة أبي بكر والصحابة وعلى حرصهم على الدين[(١)] .

وقد وقف أمير المؤمنين علي بجانب الخليفة الراشد الصديق في جهاده ضد المرتدين ومانعي الزكاة، أما التيجاني وشرف الدين الموسوي وفلان وفلان من أئمة علماء الشيعة الاثني عشرية فلا زالوا يدندنون حول قضية مانعي الزكاة محاولين تبرئة ساحتهم ، ورمي أبي بكر والصحابة بالمقابل بالأباطيل والردة ، فأي ضلال ينطق به هؤلاء حين يطعنون في أصحاب رسول الله ﷺ، ويجعلون من الذين جاهدوا[(٢)] في سبيل الله ورفعة هذا الدين رموزاً للكفار والردة والنفاق؟! ولذلك لا نعجب إن علمنا مدى إكبار وإجلال الإمام الباقر أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لأبي بكر الصديق، يذكر الأربلي ـ في كتاب (كشف الغمة في معرفة الأئمة) عن عروة بن عبد الله أنه قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيوف، فقال: لا بأس به ، قد حلى أبو بكر الصديق رضي الله عنه سيفه ، قلت: فتقول الصديق؟ قال: فوثب وثبة واستقبل القبلة وقال: نعم الصديق ، نعم الصديق، فمن لم يقل له الصديق فلا صدق الله له قولاً في الدنيا ولا في الآخرة[(٣)] ، فرحم الله الإمام أبا جعفر، ورحم الله كلماته التي طوتها صحف الأمس ولم تنطق بها ضمائر اليوم[(٤)] .

ب ـ آية سورة المائدة:

وقد استدلَّ بعض المتنطعين على ردة الصحابة و انقلابهم على أعقابهم بقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤] .

إن هذه الآية التي بين أيدينا والتي يستدل بها علماء الشيعة الاثني عشرية على ردة الصحابة ، وانقلابهم على أعقابهم ، لهي أعظم دليل على عظمة هؤلاء الصحابة وتفانيهم في الدفاع عن الإسلام ، لا على ردتهم وانقلابهم على أعقابهم[(٥)] ، فقد روى الطبري

(١) ثم أبصرت الحقيقة ، ص ٣٠٢ .
(٢) المصدر السابق نفسه ، ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ .
(٣) كشف الغمة (٢/ ١٤٧) .
(٤) ثم أبصرت الحقيقة ، ص ٣٠٤ .
(٥) المصدر السابق نفسه ، ص ٣١١ .

بسنده عن علي رضي الله عنه: أنه قال في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾: بأبي بكر وأصحابه، وعن الحسن البصري قال: هذا والله أبو بكر وأصحابه، وعن الضحاك قال: هو أبو بكر وأصحابه، لما ارتد من ارتد من العرب عن الإسلام جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردهم إلى الإسلام، وبهذا قال قتادة وابن جريج وغيره من أئمة التفسير[(١)].

إن الآية الكريمة تحدثت عن صفات جيل التمكين، وبأن أهل الإيمان سيحالفهم النصر والتمكين فينالوا العزة والكرامة، بينما سيحيق بأهل الردة مكرهم السيِّئ وتغشاهم الذلة، وهذه حقيقة يلمسها كل من قرأ التاريخ الصحيح وتجلت له عزة الصحابة وعلى رأسهم الخليفة الراشد أبي بكر، وذل زعماء الردة، كمسيلمة والعنسي وسجاح وخيبتهم[(٢)].

إن هذه الصفات المذكورة في هذه الآية الكريمة أول من تنطبق عليه أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، وجيوشه من الصحابة الذين قاتلوا المرتدين، فقد مدحهم الله بأكمل الصفات وأعلى المبرات؛ فالله سبحانه وتعالى ذكر بأنه يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم، وقد شرحت هذه الصفات في كتابي «الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق»[(٣)]؛ فمن أراد المزيد فليرجع إليه.

ج ـ آية بسورة التوبة:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٢٨ ـ ٢٩].

فقد قال بعض علماء الشيعة الإمامية: هذه الآية صريحة في أن الصحابة تثاقلوا عن الجهاد، واختاروا الركون إلى الحياة الدنيا، رغم علمهم بأنهم متاع قليل، حتى استوجبوا توبيخ الله سبحانه، وتهديده إياهم بالعذاب الأليم، واستبدل غيرهم من المؤمنين الصادقين، وقد جاء هذا التهديد باستبدال غيرهم في العديد من الآيات، مما يدل دلالة واضحة على أنهم تثاقلوا عن الجهاد في مرات عديدة.

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٦٢٣ ـ ٦٢٤).

(٢) ثم أبصرت الحقيقة، ص ٣١٢.

(٣) الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق للمؤلف، ص ٢٨٨ إلى ٢٩١.

فقد جاء في قول الله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨] عند صاحب كتاب (ثم اهتديت): ومن البديهي المعلوم أن الصحابة تفرقوا بعد النبي ﷺ واختلفوا، وأوقدوا نار الفتنة، حتى وصل بهم الأمر إلى القتال والحرب الدامية، التي سببت انتكاس المسلمين وتخلفهم، وأطمعت فيهم أعداءهم[١].

والرد على هذا الشيعي الإمامي كالآتي: أنه ليس في هاتين الآيتين مطعن على أصحاب النبي ﷺ، وإنما فيهما حث الله تعالى الصحابة على الجهاد، وذلك عندما أمر النبي ﷺ أصحابه في غزوة تبوك بغزو الروم، وكان ذلك في زمن العسرة وفاقة من أصحاب النبي ﷺ مع شدة الحر وبعد السفر، فشق ذلك على بعضهم، فنزلت الآيات في الترغيب في الجهاد في سبيل الله، والتحذير من التثاقل عنه، فاستجاب أصحاب النبي لأمر ربهم.

قال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٣٨]: وهذه الآية حث من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسوله على غزو الروم، وذلك غزوة رسول الله ﷺ تبوك[٢].

ولا شك أن هاتين الآيتين تضمنتا نوع عتاب من الله عز وجل لبعض من ثقل عليهم الخروج في الجهاد، وهذا قطعاً لا يرد على عامة أصحاب النبي ﷺ الذين استجابوا لله ورسوله بالمسارعة في الخروج في سبيل الله وهم غالب الصحابة وأكثرهم[٣]. وقال ابن كثير: هذا شروع في عتاب من تخلف عن رسول الله في غزوة تبوك[٤].

ومعلوم أنه لم يتخلَّف عن النبي ﷺ غزوة تبوك أحد من أصحابه من غير أهل الأعذار، إلا ثلاثة نفر كما دل على ذلك حديث كعب بن مالك المشهور في «الصحيحين»[٥]، وهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، ومع هذا فقد ثبت بنص كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: أن الله تاب على الجميع، وأنزل في توبته على سائر الصحابة وحياً يتلى في كتابه في قوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ

(١) ثم اهتديت، ص ١١٥.
(٢) تفسير الطبري (٦/ ٣٧٢).
(٣) الانتصار للصحب والآل، ص ٣٢٧.
(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٧٢).
(٥) البخاري، رقم ٤١١٨؛ مسلم، رقم ٢٧٦٩.

فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٧ ـ ١١٨] .

وتضمنت هذه الآيات إخبار الله تعالى عن توبته على المهاجرين والأنصار الذين اتبعوا الرسول ﷺ في غزوة تبوك، والتي تسمى غزوة العسرة فلم يتخلفوا عنه مع ما أصابهم فيها من الجهد والشدة والفقر، حتى جاء في بعض الروايات: أن النفر منهم كانوا يتناولون التمرة بينهم يمصها هذا ثم يشرب عليها، ثم يمصها هذا، ثم يشرب عليها حتى تأتي على آخرهم[(١)] .

كما تضمنت توبة الله على الثلاثة المخلفين ، الذين تأخروا عن رسول الله ﷺ في تلك الغزوة بعد هجر النبي ﷺ لهم، وندمهم ندماً عظيماً حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت[(٢)] .

فلم يبق بعد ذلك عذر لأحد في النيل من أصحاب النبي ﷺ أو غمزهم بشيء مما قد يقع منهم ، بعد مغفرة الله لهم وتوبته عليهم ، وثنائه عليهم الثناء العظيم في كتابه ، وتزكية الرسول ﷺ لهم في سنته ـ رضي الله عنهم ـ[(٣)] .

وأما اقتتال الصحابة رضي الله عنهم فقد نشأ في عهد علي رضي الله عنه ، وقد بينت أسباب الاختلاف بين الصحابة في الفتنة ، وبيان وجهة كل فريق ، وبراءتهم من كل ما يلصق بهم من ذلك ، وأن عامة ما صدر منهم إنما كانوا مجتهدين فيه ، ليس لأحد أن يذمهم بشيء منه وإنما الإمساك عن ما شجر بينهم والترحم عليهم هو السبيل الأمثل ، والمنهج الأقوم في حقهم في كتابي: «علي بن أبي طالب» ، فرضي الله عنهم أجمعين[(٤)] .

د ـ حديث المذادة عن الحوض:

قال رسول الله ﷺ: «بينما أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم ، فقلت: إلى أين؟ فقال: إلى النار والله ، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى ، فلا أرى يخلص منهم إلاّ همل

(١) تفسير الطبري (٦/ ٥٠٢) ؛ تفسير البغوي (٢/ ٣٣٣) .
(٢) الانتصار للصحب والآل ، ص ٣٢٩ .
(٣) المصدر السابق نفسه ، ص ٣٢٨ .
(٤) المصدر السابق نفسه ، ص ٣٣٠ .

النعم»[١]. فقال ﷺ: «إني فرطكم على الحوض ؛ من مر عليّ شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم، فأقول: أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول سحقاً سحقاً لمن غيّر بعدي»[٢].

يقول بعض الشيعة: فالمتمعن في هذه الأحاديث العديدة التي أخرجها علماء أهل السنة في صحاحهم ومسانيدهم ؛ لا يتطرق إليه الشك في أن أكثر الصحابة قد بدلوا وغيروا ، بل ارتدوا على أدبارهم بعده ﷺ ، إلا القليل الذين عبر عنه بهمل النعم ، ولا يمكن بأي حال من الأحوال حمل هذه الأحاديث على القسم الثالث: وهم المنافقون ؛ لأن النص يقول: فأقول أصحابي ، ولأن المنافقين لم يبدلوا بعد النبي ﷺ ، وإلا فأصبح المنافق بعد وفاة النبي ﷺ مؤمناً[٣].

والرد على هذه الشبهة كالتالي ، إن أصحاب النبي ﷺ مما لا يقبل النزاع في عدالتهم أو التشكيك في إيمانهم بعد تعديل العليم الخبير لهم في كتابه ، وتزكية رسوله ﷺ لهم في سنته ، وثناء الله ورسوله ﷺ عليهم أجمل الثناء ، ووصفهم بأحسن الصفات ، مما هو معلوم ومتواتر من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ـ ويأتي بيان ذلك بإذن الله ـ.

ولهذا اتفق شراح الحديث من أهل السنة ، على أن الصحابة غير معنيين بهذه الأحاديث وأنها لا توجب قدحاً فيهم ، قال ابن قتيبة ـ في معرض رده على الشيعة الغالية في استدلالهم بالحديث على ردة الصحابة: فكيف يجوز أن يرضى الله ـ عز وجل ـ عن أقوام ويحمدهم ، ويضرب لهم مثلاً في التوراة والإنجيل ، وهو يعلم أنهم يرتدون على أعقابهم بعد رسول الله ﷺ إلا أن يقولوا: إنه لم يعلم! وهذا هو شر الكافرين[٤].

وقال الخطابي: لم يرتد من الصحابة أحد ، وإنما ارتد من جفاة العرب ، ممن لا نصرة له في الدين ، وذلك لا يوجب قدحاً في الصحابة المشهورين ، ويدل القول: (أصيحابي) على قلة عددهم[٥].

وقال النووي في شرح بعض روايات الحديث عند قوله ﷺ: «هل تدري ما أحدثوا

---

(١) البخاري ، كتاب الرقاق ، رقم ٦٥٨٤ ، ٦٥٨٧.
(٢) مسلم ، كتاب الفضائل (٤/ ١٧٩٣).
(٣) ثم اهتديت ، ص ١١٩.
(٤) تأويل مختلف الحديث ، ص ٢٧٩.
(٥) فتح الباري (١١/ ٢٨٥).

بعدك» : هذا مما اختلف العلماء في المراد به على أقوال :

أ ـ إن المراد به المنافقون والمرتدون ، فيجوز أن يحشروا بالغرة والتحجيل ، فيناديهم النبي ﷺ للسيما التي عليهم ، فيقال : ليس هؤلاء مما وعدت بهم ، إن هؤلاء بدلوا بعدك . أي : لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم .

ب ـ إن المراد من كان في زمن النبي ﷺ ثم ارتد بعده ، فيناديهم النبي ﷺ إن لم يكن عليكم سيما الوضوء لما كان يعرفه ﷺ في حياته من إسلامهم ، فيقال : ارتدوا بعدك .

ج ـ إن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد ، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام ، وعلى هذا لا يقطع بهؤلاء الذين يذادون بالنار ، يجوز أن يذادوا عقوبة لهم ، ثم يرحمهم الله سبحانه وتعالى فيدخلهم الجنة بغير عذاب[١] .

ونقل هذه الأقوال ، أو قريباً منها ، القرطبي وابن حجر ـ رحمهما الله تعالى [٢] .

ولا يمتنع أن يكون أولئك المذادون عن الحوض هم من مجموع تلك الأصناف المذكورة، فإن الروايات محتملة لكل هذا ، ففي بعضها يقول النبي ﷺ: «فأقول: أصحابي أو أصيحابي» ـ بالتصغير ـ، وفي بعضها يقول : «سيؤخذ أناس من دوني فأقول : يا ربي مني ومن أمتي» . وفي بعضها يقول : «ليردن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني»[٣] .

وظاهر ذلك أن المذادين ليسوا طائفة واحدة ، وهذا هو الذي تقتضيه الحكمة ، فإن العقوبات في الشارع تكون بحسب الذنوب، فيجتمع في العقوبة الواحدة كل من استوجبها من أصحاب ذلك الذنب[٤] ، وإذا كان النبي ﷺ قد بين سبب الذود عن الحوض هو الارتداد كما في قوله : إنهم ارتدوا على أدبارهم، أو الإحداث في الدين، كما في قوله : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك[٥] ، فمقتضى ذلك هو أن يذاد عن الحوض كل مرتد عن الدين سواء أكان ممن ارتد بعد موت النبي ﷺ من الأعراب ، أو من كان بعد ذلك ، يشاركهم في هذا أهل الإحداث وهم المبتدعة ، وهذا ما ذهب إليه بعض أهل العلم .

---

(١) شرح صحيح مسلم (٣/ ١٣٦ ـ ١٣٧) .
(٢) المفهم للقرطبي (١/ ٥٠٤) ؛ فتح الباري (١١/ ٣٨٥) .
(٣) الروايات في البخاري ، كتاب الرقاق ، فتح الباري (١١/ ٤٦٣ ـ ٤٦٥) .
(٤) الانتصار للصحب والآل ، ص ٣٥٤ .
(٥) مسلم ، كتاب الفضائل ، إثبات الحوض (٤/ ١٧٩٢ ـ ١٠٨٢)

قال ابن عبد البر: كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض، كالخوارج والروافض، وسائر أصحاب الأهواء، قال: وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق، والمعلنون بالكبائر، قال: وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر والله أعلم[١].

وقال القرطبي في «التذكرة»: قال علماؤنا ـ رحمة الله عليهم أجمعين ـ فكل من ارتد عن دين الله، أو أحدث فيه ما لا يرضاه، ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم، كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدلون[٢].

وإذا ما تقرر هذا ظهرت براءة الصحابة من كل ما يرميهم به الشيعة الإمامية، فالذود عن الحوض، إنما هو بسبب الردة أو الإحداث في الدين، والصحابة من أبعد الناس عن ذلك، بل هم أعداء المرتدّين الذين قاتلوهم وحاربوهم في أصعب الظروف وأحرجها بعد موت النبي ﷺ، على ما روى الطبري في «تاريخه» بسنده عن عروة بن الزبير عن أبيه قال: قد ارتدت العرب إما عامة وإما خاصة في كل قبيلة، ونجم النفاق، واشرأبت اليهود والنصارى، والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية لفقد نبيهم ﷺ وقلتهم وكثرة عدوهم[٣].

ومع هذا تصدى أصحاب النبي ﷺ لهؤلاء المرتدين وقاتلوهم قتالاً عظيماً وناجزوهم حتى أظهرهم الله عليهم، فعاد للدين من أهل الردة من عاد، وقتل منهم من قتل، وعاد للإسلام عزه وقوته وهيبته على أيدي الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ. وكذلك أهل البدع كان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ أشد الناس إنكاراً عليهم، ولهذا لم تشتد البدع وتقوى إلا بعد انقضاء عصرهم، ولما ظهرت بعض بوادر البدع في عصرهم أنكروها وتبرؤوا منها ومن أهلها؛ فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال لمن أخبره عن مقالة القدرية: إذا لقيت هؤلاء، فأخبرهم أن ابن عمر منهم بريء، وهم منه براء ثلاث مرات[٤].

ويقول البغوي ناقلاً إجماع الصحابة وسائر السلف على معاداة أهل البدع: وقد مضت

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٣/ ١٣٧).
(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (١/ ٣٤٨).
(٣) الانتصار للصحب والآل، ص ٣٥٦، نقلاً عن تاريخ الطبري (٣/ ٢٢٥).
(٤) السنة لعبد الله بن أحمد (٢/ ٤٢٠).

الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على هذا ، مجمعين متفقين على معاداة أهل البدع ومهاجرتهم[(١)] .

وهذه المواقف العظيمة للصحابة من أهل الردة وأهل البدع ، من أكبر الشواهد الظاهرة على صدق تدينهم ، وقوة إيمانهم وحسن بلائهم في الدين ، وجهادهم أعداءه بعد موت رسول الله ﷺ حتى أقام الله بهم السنة وقمع البدع ، الأمر الذي يظهر به بطلان قول الإمامية في رميهم لهم بالردة والإحداث في الدين ، والذود عن حوض النبي ﷺ ، بل هم أولى الناس بحوض نبيهم لحسن صحبتهم له في حياته وقيامهم بأمر الدين بعد وفاته .

ولا يشكل على هذا قول النبي ﷺ : «ليردن عليّ ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني»[(٢)] ، فهؤلاء هم من مات النبي ﷺ وهم على دينه ، ثم ارتدوا بعد ذلك ، كما ارتدت كثير من قبائل العرب بعد موت النبي ﷺ ، فهؤلاء في علم النبي ﷺ من أصحابه ، لأنه مات وهم على دينه ، ثم ارتدوا بعد وفاته ، ولذا يقال له : «إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» ، وفي بعض الروايات : «إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك ؛ إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى»[(٣)] .

فظاهر أن هذا في حق المرتدين بعد موت النبي ﷺ ، وأين أصحاب النبي ﷺ الذين قاموا بأمر الدين بعد نبيهم خير قيام ، فقاتلوا المرتدين ، وجاهدوا الكفار والمنافقين ، وفتحوا بذلك الأمصار ، حتى عم دين الله كثيراً من الأمصار ، من أولئك المنقلبين على أدبارهم ، وهؤلاء المرتدون لا يدخلون عند أهل السنة في الصحابة ، ولا يشملهم مصطلح الصحبة إذا ما أطلق ، فالصحابي كما عرفه العلماء المحققون : من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام[(٤)] .

وأما قول النبي ﷺ : «فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم»[(٥)] ، واحتجاج الشيعة الإمامية به على تكفير الصحابة إلا القليل منهم فالحجة له فيه ، لأن الضمير في قوله (منهم) إنما يرجع على أولئك القوم الذين يدنون من الحوض ثم يذادون عنه ، فلا يخلص

---

(١) شرح السنة للبغوي (١/ ١٩٤) .
(٢) البخاري ، رقم ٦٥٨٢ .
(٣) مسلم ، الفضائل ، (٤/ ١٧٩٦) .
(٤) الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٧) .
(٥) البخاري ، رقم ٦٥٨٤ ـ ٦٥٨٧ .

منهم إلا القليل ، وهذا ظاهر من سياق الحديث؛ فإن نصه: «بينما أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هَلمّ ، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله ، قلت: وما شأنهم؟ قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى ، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمَل النعم»[١] ، فليس في الحديث للصحابة ذكر ، وإنما ذكر زمراً من الرجال يذادون من دون الحوض ثم لا يصل إليه منهم إلا القليل[٢] .

قال ابن حجر في شرح الحديث عند قوله: «فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمَل النعم» : يعني من هؤلاء الذين دنوا من الحوض وكادوا يردونه فصدوا عنه ، والمعنى لا يرده منهم إلا القليل ، لأن الهَمَل في الإبل قليل بالنسبة لغيره[٣] ، ولهذا يظهر بطلان احتجاج الشيعة الإمامية وتلبيسهم وبراءة الصحابة من طعنهم وتجريحهم[٤] .

٢ـ عدالة الصحابة:

إن تعريفات أهل العلم للعدالة في الاصطلاح ترجع إلى معنى واحد وهو أن العدالة ملكة في النفس تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة ، ولا تتحقق للإنسان إلا بفعل المأمور وترك المنهي ، وأن يبتعد عما يخل بالمروءة ، ولا تتحقق إلا بالإسلام والبلوغ ، والعقل ، والسلامة من الفسق ، ولم تتحقق العدالة في أحد تحققها في أصحاب رسول الله ﷺ ، فجميعهم رضي الله عنهم عدول تحققت فيهم صفة العدالة[٥] ، والمراد بها رواياتهم للحديث عن رسول الله ﷺ ، وحقيقتها: التجنب عن تعمد الكذب في الرواية والانحراف فيها، قال العلامة الدهلوي: ولقد تتبعنا سيرة الصحابة كلهم من دخل منهم في الفتنة والمشاجرات ، فوجدناهم يعتقدون الكذب على النبي ﷺ أشد الذنوب ، ويحترزون عنه غاية الاحتراز كما لا يخفى على أهل السير[٦] .

ولقد تضافرت الأدلة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على تعديل الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، مما لا يبقى معها الشك لمرتاب في تحقيق عدالتهم ، فكل حديث له سند متصل بين من رواه وبين المصطفى ﷺ لم يلزم العمل به إلا بعد أن تثبت عدالة

---

(١) المصدر السابق نفسه ، رقم ٦٥٨٤ .
(٢) الانتصار للصحب والآل ، ص ٣٥٩ .
(٣) فتح الباري (١١/ ٤٧٤ ـ ٤٧٥).
(٤) الانتصار للصحب والآل ، ص ٣٦٠ .
(٥) عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (٢/ ٧٩٩).
(٦) ظفر الأماني في مختصر الجرجاني للكنوي ، ص ٥٠٦ ، ٥٠٧ .

رجاله ، وبعد النظر في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه النبي ﷺ ؛ لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم بنص القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[١] .

* **دلالة كتاب الله تعالى على تعديلهم رضي الله عنهم :**

أ ـ قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، ووجه الاستدلال بهذه الآية على عدالة الصحابة رضي الله عنهم : أن وسطاً بمعنى : عدولاً خياراً[٢] ، ولأنهم المخاطبون بهذه الآية مباشرة .

ب ـ قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ﴾ [آل عمران : ١١٠] ، ووجه دلالة هذه الآية على عدالة الصحابة رضي الله عنهم : أنها أثبتت الخيرية المطلقة لهذه الأمة على سائر الأمم قبلها ، وأول من يدخل في هذه الخيرية المخاطبون بهذه الآية مباشرة عند النزول ؛ وهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، وذلك يقتضي استقامتهم في كل حال ، وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة ، ومن البعيد أن يصفهم الله عز وجل بأنهم خير أمة ولا يكونوا أهل عدل واستقامة ، وهل الخيرية إلا ذلك؟ ![٣] .

ج ـ قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] . ووجه دلالة هذه الآية على عدالتهم رضي الله عنهم : أن الله تعالى أخبر فيها برضاه عنهم ، ولا يثبت الله رضاه إلا لمن كان أهلاً للرضا ، ولا توجد الأهلية لذلك إلا لمن كان من أهل الاستقامة في أموره كلها عدلاً في دينه ، ومن أثنى الله تعالى عليه لهذا الثناء كيف لا يكون عدلاً ، وإذا كان التعديل يثبت بقول اثنين من الناس ؛ فكيف لا يثبت عدالة صفوة الخلق وخيارهم بهذا الثناء الصادر من رب العالمين؟ ![٤] .

د ـ قوله تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ

---

(١) عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (٢/ ٨٠٠) .
(٢) الكفاية للخطيب البغدادي ، ص ٦٤ .
(٣) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٨٠٢) .
(٤) المصدر السابق نفسه (٢/ ٨٠٤) .

أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩] فهذا الوصف الذي وصفهم الله به في كتبه ، وهذا الثناء الذي أثنى به عليهم لا يتطرق إلى النفس معه شك في عدالتهم.

قال القرطبي رحمه الله عند تفسير هذه الآية: فالصحابة كلهم عدول ، أولياء الله تعالى وأصفياؤه وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله ، وقد ذهبت شرذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم ، فيلزم البحث عن عدالتهم ، ومنهم من فرق بين حالهم في بداءة الأمر ، فقال: إنهم كانوا على العدالة إذ ذاك ، ثم تغيرت بهم الأحوال ، فظهرت فيهم الحروب وسفك الدماء ، فلا بد من البحث ، وهذا مردود ؛ فإن خيار الصحابة وفضلاءهم كعلي وطلحة والزبير وغيرهم رضي الله عنهم ممن أثنى الله عليهم وزكاهم ، ورضي عنهم وأرضاهم ، ووعدهم الجنة بقوله تعالى: ﴿مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ ، وخاصة العشرة المقطوع لهم بالجنة بإخبار الرسول هم القدوة مع علمهم بكثير من الفتن والأمور الجارية عليهم بعد نبيهم بإخباره لهم بذلك ، وذلك غير مسقط من مرتبتهم وفضلهم إذ كانت تلك الأمور مبنية على الاجتهاد(١).

هـ- قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨ - ٩]. فالصادقون هم المهاجرون ، والمفلحون هم الأنصار ؛ بهذا فسر أبو بكر الصديق هاتين الكلمتين من الآيتين ؛ حيث قال في خطبته يوم السقيفة مخاطباً الأنصار: إن الله سمانا (الصادقين) وسماكم (المفلحين) ، وقد أمركم أن تكونوا حيثما كنا ، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

فهذه الصفات الحميدة في هاتين الآيتين كلها حققها المهاجرون والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ واتصفوا بها، ولذلك ختم صفات المهاجرين بالحكم بأنهم صادقون، وختم صفات الذين آزروهم ونصروهم وآثروهم على أنفسهم بالحكم لهم بأنهم مفلحون ، وهذه الصفات العالية لا يمكن أن يحققها قوم ليسوا بعدول؛ فهذه الآيات التي أسلفناها من الآيات البينة الدالة على عدالة الصحابة رضي الله عنهم،

---

(١) تفسير القرطبي (١٦/ ٢٩٩).

فعدالتهم ثابتة بنص القرآن الكريم[١].

*** وأما دلالة السنة على تعديلهم رضي الله عنهم:**

فقد وصفهم النبي ﷺ في أحاديث يطول تعدادها، وأحسن الثناء عليهم بتعديلهم؛ ومن تلك الأحاديث:

أ ـ ما رواه الشيخان في «صحيحيهما» من حديث أبي بكر: أن النبي ﷺ قال: «... ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب»[٢] وجه دلالة الحديث على عدالتهم رضي الله عنهم: أن هذا القول صدر من النبي ﷺ في أعظم جمع من الصحابة في حجة الوداع، وهذا من أعظم الأدلة على ثبوت عدالتهم؛ حيث طلب منهم: أن يبلغوا ماسمعوه منه من لم يحضر ذلك الجمع دون أن يستثني منهم أحداً[٣].

قال ابن حبان: وفي قوله ﷺ: «ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب»: أعظم دليل على أن الصحابة كلهم عدول ليس فيهم مجروح ولا ضعيف، إذ لو كان فيهم أحد غير عدل لاستثنى في قوله ﷺ وقال: ألا يبلغ فلان منكم الغائب، فلما أجملهم في الذكر بالأمر بالتبليغ من بعدهم؛ دل ذلك على أنهم كلهم عدول، وكفى بمن عدَّله رسول الله ﷺ شرفاً[٤].

ب ـ روى البخاري بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «لا تسبوا أصحابي؛ فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً؛ ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»[٥]. وجه الاستدلال بهذا الحديث على عدالة الصحابة رضي الله عنهم: أن الوصف لهم بغير العدالة سب؛ لا سيما وقد نهى ﷺ بعض من أدركه وصحبه عن التعرض لمن تقدمه؛ لشهود المواقف الفاضلة، فيكون من بعدهم بالنسبة لجميعهم من باب أولى[٦]، فالصحابة كلهم عدول بتعديل الله لهم وثنائه عليهم، وثناء رسول الله ﷺ عليهم، فليسوا بحاجة إلى تعديل أحد من الخلق[٧].

---

(١) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٨٠٧).
(٢) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (١/ ٩١).
(٣) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (٢/ ٨٠٧).
(٤) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (١/ ٩١).
(٥) البخاري (٢/ ٢٩٢).
(٦) فتح المغيث شرح ألفية الحديث (٣/ ١١٠ ـ ١١١).
(٧) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (٢/ ٨٠٩).

ولو لم تكن عدالتهم منصوصاً عليها في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ؛ لجزم أهل العقول الصحيحة والقلوب السليمة بعدالتهم استناداً إلى ما تواترت به الأخبار عنهم ؛ من الأعمال الجليلة والخيرات الوفيرة التي قدموها لنصرة دين الله الحنيف ، فقد بذلوا ما أمكنهم بذله في سبيل نصرة الحق ورفع رايته وإرساء قواعده ونشر أحكامه في جميع الأقطار رضي الله عنهم أجمعين .

والعدالة المرادة هنا ليس المقصود بها عدم الوقوع في الذنوب والخطايا ؛ فإن هذا لايكون إلا لمعصوم[١] ، قال ابن الأنباري : وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم واستحالة المعصية منهم ، وإنما المراد قبول رواياتهم من غير تكلف البحث عن أسباب العدالة وطلب التزكية ، إلى أن ثبت ارتكاب قادح ولم يثبت ذلك ولله الحمد والمنة ؛ فنحن على استصحاب ما كانوا عليه في زمن رسول الله ﷺ حتى يثبت خلافه ، ولا التفات إلى ما يذكره أهل السير ، فإنه لا يصح ، وما صح فله تأويل صحيح[٢] .

*** الإجماع على عدالتهم :**

أجمع أهل السنة والجماعة على أن الصحابة جميعهم عدول بلا استثناء ؛ من لابس الفتن وغيرها ، ولا يفرقون بينهم ؛ الكل عدول إحساناً للظن بهم ، ونظراً لما أكرمهم الله به من شرف الصحبة لنبيه عليه الصلاة والسلام ، ولما لهم من المآثر الجليلة : من مناصرتهم للرسول ﷺ ، والهجرة إليه ، والجهاد بين يديه ، والمحافظة على أمور الدين ، والقيام بحدوده ؛ فشهاداتهم ورواياتهم مقبولة دون تكلف بحث عن أسباب عدالتهم بإجماع من يعتد بقوله ، وقد نقل الإجماع على عدالتهم جم غفير من أهل العلم ، ومن تلك النقول :

أ ـ قال الخطيب البغدادي ـ رحمه الله ـ: بعد أن ذكر الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ التي دلت على عدالة الصحابة ، وأنهم كلهم عدول ، قال : هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء[٣] .

ب ـ وقال أبو عمر بن عبد البر ـ رحمه الله ـ: ونحن وإن كان الصحابة رضي الله عنهم قد كفينا البحث عن أحوالهم لإجماع أهل الحق من المسلمين ، وهم أهل السنة والجماعة

---

(١) المصدر السابق نفسه .
(٢) فتح المغيث (٣/ ١١٥) .
(٣) الكفاية ، ص ٦٧ .

على أنهم كلهم عدول ، فواجب الوقوف على أسمائهم[١] .

ج ـ وحكى الإجماع على عدالتهم إمام الحرمين ـ الجويني رحمه الله ـ ، وعلل حصول الإجماع على عدالتهم بقوله : ولعل السبب فيه أنهم نقلة الشريعة ، فلو ثبت توقف في رواياتهم ؛ لانحصرت الشريعة على عصر الرسول ﷺ ، ولما استرسلت على سائر الأعصار[٢] .

د ـ ذكر ابن الصلاح : أن الإجماع على عدالة الصحابة خصيصة فريدة تميزوا بها عن غيرهم ، فقد قال : للصحابة بأسرهم خصيصة ؛ وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم ، بل ذلك أمر مفروغ منه ؛ لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به الإجماع من الأمة ، وقال أيضاً : إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة ومن لابس الفتن منهم ، فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع إحساناً للظن بهم ، ونظراً إلى ما تمهد لهم من المآثر ، وكأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة[٣] والله أعلم .

هـ ـ قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ ؛ بعد أن ذكر أن الحروب التي وقعت بينهم كانت عن اجتهاد وأن جميعهم معذورون رضي الله عنهم فيما حصل بينهم ، وقال : ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم ، وكمال عدالتهم رضي الله عنهم[٤] . وقال في «التقريب» : الصحابة كلهم عدول من لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به[٥] .

و ـ وقال الحافظ ابن كثير : والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة لما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز ، وبما نطقت به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم ، وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله ﷺ ، ورغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل والجزاء الجميل[٦] .

---

(١) الاستيعاب على حاشية الإصابة (١/ ٨) .
(٢) فتح المغيث شرح ألفية الحديث (٣/ ١١٢) ؛ وذكره السيوطي في تدريب الراوي (٢/ ٢١٤) .
(٣) مقدمة ابن الصلاح ، ص ١٤٦ ـ ١٤٧ .
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ١٤٩) .
(٥) تقريب النووي مع شرح تدريب الراوي (٢/ ٢١٤) .
(٦) الباعث الحثيث ، ص ١٨١ ـ ١٨٢ .

ز ـ وقال العراقي في شرح ألفيته بعد ذكره لبعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على عدالة الصحابة: إن جميع الأمة مجمعة على تعديل من لم يلابس الفتن منهم، وأما من لابس الفتن منهم وذلك من حين مقتل عثمان، فأجمع من يعتد به أيضاً: في الإجماع على تعديلهم وإحساناً للظن بهم، وحملاً لهم في ذلك على الاجتهاد(١).

ح ـ وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى؛ مبيناً أن أهل السنة مجمعون على عدالة الصحابة فقال: اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة(٢).

فهذه النقول المباركة للإجماع من هؤلاء الأئمة كلها فيها بيان واضح ودليل قاطع على أن ثبوت عدالة الصحابة عموماً أمر مفروغ منه ومسلم، فلا يبقى لأحد شك ولا ارتياب بعد تعديل الله ورسوله وإجماع الأمة على ذلك(٣).

٣ ـ وجوب محبتهم والدعاء والاستغفار لهم:

من عقائد أهل السنة والجماعة وجوب محبة أصحاب رسول الله ﷺ وتعظيمهم وتوقيرهم وتكريمهم والاحتجاج بإجماعهم والاقتداء بهم، وحرمة بغض أحد منهم لما شرفهم الله به من صحبة رسوله ﷺ والجهاد معه لنصرة دين الإسلام، وصبرهم على أذى المشركين والمنافقين، والهجرة عن أوطانهم وأموالهم، وتقديم حب الله ورسوله ﷺ على ذلك كله.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة؛ لأنه جعل لمن بعدهم حظاً في الفيء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم، وأن من سبهم أو أحداً منهم أو اعتقد فيه شراً أنه لا حق له في الفيء، روي ذلك عن الإمام مالك وغيره.

قال مالك: من كان يبغض أحداً من أصحاب محمد ﷺ أو كان في قلبه عليهم غلّ فليس له حق في فيء المسلمين، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾(٤).

---

(١) شرح ألفية العراقي المسماة بالتبصرة والتذكرة (٣/ ١٣ ـ ١٤).
(٢) الإصابة (١/ ١٧).
(٣) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٨١٣).
(٤) تفسير القرطبي (١٨/ ٣٢).

وقد فهم متقدمو أهل السنة والجماعة ومتأخروهم: أن المراد من الآية السابقة الأمر بالدعاء والاستغفار لهم من اللاحق للسابق، ومن الخلف للسلف، الذين هم أصحاب رسول الله ﷺ، روى مسلم بإسناده إلى هشام بن عروة عن أبيه قال: قالت لي عائشة: يا بن أختي أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم(١).

وروى ابن بطة وغيره من حديث أبي بدر، قال: حدثنا عبد الله بن زيد عن طلحة بن مصرف عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: الناس على ثلاث منازل، فمضت منزلتان، وبقيت واحدة، فأحسن ما أنتم عليه كائنون أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت ثم قرأ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ هؤلاء المهاجرون وهذه منزلة قد مضت، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، ثم قال: هؤلاء الأنصار وهذه منزلة قد مضت، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، قد مضت هاتان وبقيت هذه المنزلة التي بقيت: أن تستغفروا لهم(٢).

ولا يتردد من له أدنى علم في أن الشيعة الإمامية خارجون من هذه المنزلة؛ لأنهم لم يترحموا على الصحابة، ولم يستغفروا لهم، بل سبوهم وحملوا لهم الغل في قلوبهم، فحرموا من تلك المنزلة التي يجب على المسلم أن يكون فيها ولا يحيد عنها بحال حتى يلقى ربه(٣).

وقد قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار وعلى الذين جاؤوا من بعدهم؛ يستغفرون لهم ويسألون الله ألا يجعل في قلوبهم غلاً لهم، وتتضمن أن هؤلاء الأصناف هم المستحقون للفيء، ولا ريب أن هؤلاء الإمامية خارجون من الأصناف الثلاثة، فإنهم لم يستغفروا للسابقين، وفي قلوبهم غل عليهم، ففي الآيات الثناء على الصحابة وعلى أهل السنة الذين يتولونهم، وإخراج الإمامية من ذلك، وهذا ينقض مذهب الإمامية(٤).

---

(١) مسلم (٤/ ٢٣١٧).

(٢) منهاج السنة (١/ ١٥٣)؛ المستدرك (٢/ ٤٨٤) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) عقيدة أهل السنة (٢/ ٧٧٠).

(٤) منهاج السنة (١/ ١٥٣)؛ عقيدة أهل السنة (٢/ ٧٧٢).

٤ـ تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم في الكتاب و السنة:

أ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧]. وهذه الآية تضمنت التهديد والوعيد بالطرد والإبعاد من رحمة الله والعذاب المهين لمن آذاه ـ جل وعلا ـ بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره وإصراره على ذلك، وإيذاء رسوله[١]، يشمل كل أذية قولية أو فعلية من سب وشتم أو تنقص له أو لدينه، أو ما يعود إليه بالأذى[٢]، ومما يؤذيه ﷺ سب أصحابه، وقد أخبر ﷺ: أن إيذاءهم إيذاء له، ومن آذاه فقد آذى الله[٣]، وأي أذية للصحابة أبلغ من سبهم، والآية فيها إشارة قوية ظاهرة إلى أنه يحرم سبهم رضي الله عنهم.

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]. وهذه الآية فيها التحذير من إيذاء المؤمنين والمؤمنات بما ينسب إليهم مما هم منه براء لم يعملوه، ولم يفعلوه، والبهت الكبير: أن يحكي أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتنقص لهم[٤].

ووجه دلالة الآية على تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم: أنهم في صدارة المؤمنين؛ فإنهم المواجهون بالخطاب في كل آية مفتتحة بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ١٠٤]، ومثل قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الكهف: ١٠٧] في جميع القرآن؛ فالآية دلت على تحريم سب الصحابة؛ لأن لفظ المؤمنين أول ما ينطبق عليهم؛ لأن الصدارة في المؤمنين لهم رضي الله عنهم، وسبهم والنيل منهم من أعظم الأذى، وأن من نال منهم بذلك فقد آذى خيار المؤمنين بما لم يكتسبوا، وأن من اتخذ شتمهم والنيل منهم ديناً له فإن الوعيد المذكور في الآية يصيبه[٥].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ عند هذه الآية: ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد الكفرة بالله ورسوله، ثم غلاة الشيعة الذين ينتقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد برأهم الله منه، ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم، فإن الله عز وجل ـ قد أخبر أنه قد رضي عن

---

(١) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٨٣٢).
(٢) تفسير السعدي (٦/ ١٢١).
(٣) مسند أحمد (٤/ ٨٧).
(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٥).
(٥) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٨٣٣).

المهاجرين والأنصار ومدحهم ، وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم وينتقصونهم ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبداً ؛ فهم في الحقيقة منكسو القلوب يذمون الممدوحين ويمدحون المذمومين(١) .

ج ـ قوله تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ ﴾ [الفتح : ٢٩]. ووجه دلالة الآية على تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم : أنه لا يسبهم شخص إلا لما وجد في قلبه من الغيظ عليهم ، وقد بيَّن تعالى في هذه الآية إنما يغاظ بهم الكفار ، فدلت على تحريم سبهم ، والتعرض لهم بما وقع بينهم على وجه العيب .

د ـ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»(٢) . فهذا الحديث اشتمل على النهي والتحذير من سب الصحابة رضي الله عنهم ، وفيه التصريح بتحريم سبهم(٣) ، والأحاديث في هذا الباب كثيرة .

*** نهي السلف عن سب الصحابة :**

إن النصوص الواردة عن سلف الأمة وأئمتها من الصحابة ومن جاء بعدهم من التابعين لهم بإحسان ، التي تقضي بتحريم سب الصحابة والدفاع عنهم ؛ كثيرة جداً منها :

أ ـ قال أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ : . . . إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ بسوء ؛ فاتهمه على الإسلام(٤) .

ب ـ قال أبو زرعة الرازي ـ رحمه الله ـ : إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ ، فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق ، والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى وهم زنادقة(٥) .

---

(١) عقيدة أهل السنة نقلاً عن تفسير ابن كثير .
(٢) مسلم (٤/ ١٦٩٧ ـ ١٩٦٨) .
(٣) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٨٣٨) .
(٤) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ، ص ١٦٠ .
(٥) الكفاية في علم الرواية ، ص ٦٧ .

ج ـ وقد ذكر الإمام الشوكاني ، إجماع أهل البيت رضي الله عنهم ، على تحريم سب الصحابة رضوان الله عليهم ، من اثني عشر طريقاً[١] ، وقد روى أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي بإسناده إلى محمد بن علي بن الحسين بن علي أنه قال لجابر الجعفي : يا جابر بلغني أن قوماً بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا ويتناولون أبا بكر وعمر ، ويزعمون أني آمرهم بذلك! فأبلغهم عني أني إلى الله منهم بريء ، والذي نفس محمد بيده لو وليت لتقربت إلى الله بدمائهم ، لا نالتني شفاعة محمد ﷺ إن لم أكن أستغفر لهما ، وأترحم عليهما ، إن أعداء الله لغافلون عن فضلهما ، فأبلغهم أني بريء منهم ، وممن تبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[٢] . وروى أيضاً بسنده إلى عبد الله بن الحسن بن علي أنه قال : ما أرى رجلاً يسب أبا بكر وعمر تُيَسَّرُ له توبة أبداً[٣] .

٥ ـ حب أمير المؤمنين علي وأبنائه الصحابة رضي الله عنهم جميعاً:

الصورة الحقيقية الناصعة البياض تبقى وما سواها يزول ، إنها تتجلى في أهم كتاب عند الشيعة الاثني عشرية «نهج البلاغه» ، تلك النصوص كفيلة بهدم الأطروحة القائمة على لعن وسب صحابة رسول الله ﷺ والقول بردتهم وانقلابهم على أعقابهم من بعده ، فهذا أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يصور لنا بنفسه صحابة رسول الله ﷺ كما رآهم وعاينهم ، إذ يقول : لقد رأيت أصحاب محمد فما أرى أحداً يشبههم ؛ لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً ، وقد باتوا سجداً وقياماً يراوحون بين جباههم وخدودهم ، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم ، كأنّ بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم ، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم ، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف ، خوفاً من العقاب ورجاء الثواب»[٤] .

وهو يتحسر على فراقهم ، ويرثيهم بعد موتهم كحال أي محب فارق من يحبه فيقول : «أين القوم الذين دُعوا إلى الإسلام فقبلوه ، وقرؤوا القرآن فأحكموه ، وسلوا السيوف أغمادها ، وأخذوا بأطراف الأرض أطرافها زحفاً زحفاً وصفاً صفاً ، مُره العيون من البكاء ، خُمص البطون من الصيام ، ذُبل الشفاه من الدعاء ، صُفر الألوان من السهر ،

(١) إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي ، ص ٥٠ ـ ٦٤ .

(٢) البداية والنهاية (٩/ ٣٤٩) .

(٣) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٨٥١) .

(٤) نهج البلاغة ، ص ١٨٢ ـ ١٨٩ ؛ ثم أبصرت الحقيقة ، ص ٣٢٤ .

على وجوههم غبرة الخاشعين ، أولئك إخواني الذاهبون ، فحق لنا أن نظمأ إليهم ، ونعضّ الأيدي على فراقهم»(١) .

فيا أحباب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، تأملوا في نظرته إلى أصحاب رسول الله ﷺ .

وأما الإمام علي بن الحسين ـ زين العابدين ـ رحمه الله ـ فكان يذكر أصحاب رسول الله ﷺ ويدعو لهم في صلاته بالرحمة والمغفرة ؛ لنصرتهم سيد الخلق في نشر دعوة التوحيد وتبليغ رسالة الله إلى خلقه ، فيقول : «فاذكرهم منك بمغفرة ورضوان ، اللهم وأصحاب محمد خاصة ، الذين أحسنوا الصحبة ، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره ، وكانفوه وأسرعوا إلى وفادته ، وسابقوا إلى دعوته ، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالته ، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته ، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته ، والذين هجرتهم العشائر إذ علقوا بعروته ، وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في قرابته ، اللهم ما تركوا لك وفيك ، وأرضِهم من رضوانك وبما حاشوا الحق عليك ، وكانوا من ذلك لك وإليك ، واشكرهم على هجرتهم فيك ديارهم وخروجهم من سعة العيش إلى ضيقه ، ومن أكثره في اعتزاز دينك إلى أقله ، اللهم وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون : ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان خير جزائك ، والذين قصدوا سمتهم ، وتحروا جهتهم ، ولو مضوا إلى شاكلتهم لم يثنهم ريب في بصيرتهم ، ولم يختلجهم شك في قفو آثارهم والائتمام بهداية منارهم ، مكانفين ومؤازرين لهم ، يدينون بدينهم ، ويهتدون بهديهم ، يتفقون عليهم ولا يتهمونهم فيما أدوا إليهم»(٢) .

فهذا موقف أئمة أهل البيت رضوان الله عليهم من الصحابة لا ما يدعيه المندسون من الغلاة والمتسترون بستار التشيع ، أعداء القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة وأئمة أهل البيت الأطهار .

❊ ❊ ❊

---

(١) نهج البلاغة ، ص٢٣٥ ، ثم أبصرت الحقيقة ، ص ٣٢٥ .

(٢) صحيفة كاملة لزين العابدين ، ص ١٣ ، نقلاً عن ثم أبصرت الحقيقة ، ص ٣٢٩ .

الفصل السابع



موقف الإمامية الاثني عشرية من السنة النبوية

معنى السنة النبوية في اصطلاح الأصوليين: ما نقل عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير[1] ، ولقد اهتم علماء أهل السنة بتدوين السنة الصحيحة ، وبذلوا جهوداً عظيمة من أجل حمايتها من الوضع والوضاعين ، وقد بذلوا جهداً لا مزيد عليه ، وقد سلكوا طرقاً هي أقوم الطرق العلمية للنقد والتمحيص، حتى لنستطيع أن نجزم بأن علماءنا رحمهم الله، هم أول من وضعوا قواعد النقد العلمي الدقيق للأخبار والمرويات بين أمم الأرض كلها ، وأن جهدهم في ذلك جهد تفاخر به الأجيال ، وتتيه به على الأمم ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم.

وقد سار علماء السنة على الخطوات التالية في سبيل النقد حتى أنقذوا السنة مما دُبّر لها من كيد ، ونظفوها مما علق بها من أوحال[2].

١ ـ إسناد الحديث:

لم يكن صحابة رسول الله ﷺ بعد وفاته يشك بعضهم في بعض ، ولم يكن التابعون يتوقّفون عن قبول أي حديث يرويه صحابي عن رسول الله ﷺ ، حتى وقعت الفتنة ، وقام عبد الله بن سبأ بدعوته الآثمة التي بناها على فكرة التشيع الغالي القائل بألوهية علي رضي الله عنه ، وأخذ الدس على السنة يربو عصراً بعد عصر ، عندئذ بدأ العلماء من الصحابة والتابعين يتحرون في نقل الأحاديث ولا يقبلون منها إلا ما عرفوا طريقها ورواتها ، واطمأنوا إلى ثقتهم وعدالتهم.

يقول ابن سيرين فيما يرويه عنه الإمام مسلم في مقدمة «صحيحه»: لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم ، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، ص ٤٧.

(٢) المصدر السابق نفسه ، ص ٩٠.

حديثهم ، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم ، وقد ابتدأ هذا التثبت منذ عهد صغار الصحابة الذين تأخرت وفاتهم عن زمن الفتنة ، فقد روى مسلم في مقدمة «صحيحه» عن مجاهد: أن بشيراً العدوي جاء إلى ابن عباس ، فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله كذا ، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه ، فقال: يا بن عباس ما لي أراك لا تسمع لحديثي ، أحدثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع؟ فقال ابن عباس: إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله ؛ ابتدرته أبصارنا ، وأصغينا إليه بآذاننا ، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف.

ثم أخذ التابعون في المطالبة بالإسناد حين فشا الكذب يقول أبو العالية: كنا نسمع الحديث من الصحابة فلا نرضى حتى نركب إليهم فنسمعه منهم. ويقول ابن المبارك: الاسناد من الدين ، ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء. ويقول ابن المبارك أيضاً: بيننا وبين القوم القوائم. يعني الإسناد[١].

٢ ـ التوثق من الأحاديث ؛ وذلك بالرجوع إلى الصحابة والتابعين وأئمة هذا الفن:

فلقد كان من عناية الله بسنة نبيه أن مدّ في أعمار عدد من أقطاب الصحابة وفقهائهم ، ليكونوا مرجعاً يهتدي الناس بهديهم ، فلما وقع الكذب لجأ الناس إلى هؤلاء الصحابة يسألونهم ما عندهم أولاً ، ويستفتونهم فيما يسمعونه من أحاديث وآثار ، ولهذا الغرض كثرت رحلات التابعين بل بعض الصحابة أيضاً من مصرٍ إلى مصرٍ ليسمعوا الأحاديث الثابتة من الرواة الثقاة ، ولذلك سافر جابر بن عبد الله إلى الشام ، وأبو أيوب إلى مصر لسماع الحديث.

٣ ـ نقد الرواة ، وبيان حالهم من صدق وكذب:

وهذا باب عظيم وصل منه العلماء إلى تمييز الصحيح من المكذوب ، والقوي من الضعيف ، وقد أبلوا فيه بلاءً حسناً ، وتتبعوا الرواة ودرسوا حياتهم وتاريخهم وسيرتهم وما خفي من أمرهم وما ظهر ، ولم تأخذهم في الله لومة لائم[٢].

وقد وضعوا لذلك قواعد ساروا عليها فيمن يؤخذ منه ومن لا يؤخذ ، ومن يكتب عنه ومن لا يكتب ، ومن أهم أصناف المتروكين الذين لا يؤخذ حديثهم:

---

(١) مقدمة صحيح مسلم (١/ ١٠).

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، ص ٩١.

أ ـ الكذّابون على رسول الله ﷺ ، وقد أجمع أهل العلم على أنه لا يؤخذ حديث من كذب على النبي ﷺ ، كما أجمعوا على أنه من أكبر الكبائر ، واختلفوا في كفره : فقال به جماعة ، وقال آخرون بوجوب قتله ، واختلفوا في توبته هل تقبل أم لا؟

ب ـ الكذّابون في أحاديثهم العامة ولو لم يكذبوا على رسول الله ﷺ ، وقد اتفقوا على أن من عُرف عنه الكذب ولو مرة واحدة ترك حديثه .

ج ـ أصحاب البدع والأهواء : وكذلك اتفقوا على أنه لا يقبل حديث صاحب البدعة إذا كفر ببدعته ، وكذا إذا استحل الكذب ، وإن لم يكفر ببدعته ، أما إذا لم يستحل الكذب فهل يقبل أم لا؟ أو يفرق بين كونه داعية أو غير داعية؟ قال ابن كثير : في ذلك نزاع قديم وحديث، والذي عليه الأكثرون التفصيل بين الداعية وغيره[١] . والذي يظهر لي أنهم يرفضون رواية المبتدع إذا روى ما يوافق بدعته، أو كان من طائفة عرفت بإباحة الكذب ووضع الحديث في سبيل أهوائها، ولهذا رفضوا رواية غلاة الشيعة ، وقبلوا رواية المبتدع إذا كان هو أو جماعته لا يستحلون الكذب كعمران بن حطان[٢] .

د ـ الزنادقة والفساق والمغفلون الذين لا يفهمون ما يحدثون ، وكل من لا تتوفر فيهم صفات الضبط والعدالة والفهم .

وقد وضع علماء الحديث القواعد لمعرفة الصحيح والحسن والضعيف من أقسام الحديث ، ووضعوا قواعد لمعرفة الموضوع ، وذكروا له علامات يعرف بها ، كركاكة اللفظ ، وفساد المعنى ، ومخالفته لصريح القرآن ، ومخالفته لحقائق التاريخ المعروفة في عهد النبي ﷺ وغيرها من العلامات[٣] .

وبتلك الجهود الموفقة استقام أمر الشريعة بتوطيد دعائم السنة التي هي ثاني مصادرها التشريعية ، واطمأن المسلمون إلى حديث نبيهم ، فأقصي عنـه كل دخيل ، ومُيِّـز بين الصحيح والحسن والضعيف ، وصـان الله شرعـه من عبث المفسدين ودس الدساسين وتآمر الزنادقة والشعوبيين ، وقطف المسلمون ثمار هذه النهضة الجبارة المباركة التي

(١) السنة ومكانتها في التشريع ، ص ٩٣ .
(٢) المصدر السابق نفسه ، ص ٩٤ .
(٣) المصدر السابق نفسه ، ص ٩٤ ، إلى ٩٧ ، ٩٨ .

كان من أبرزها : تدوين السنة وعلم مصطلح الحديث ، وعلم الجرح والتعديل ، وعلوم الحديث[١] .

● **موقف الشيعة من السنة بسبب تكفيرهم للصحابة :**

كانت لنظرة غلاة الشيعة ورأيهم في الإمامة أثر في تكفيرهم لمعظم الصحابة رضي الله عنهم ، وهذا التكفير الشنيع ترتب عليه إنكار غلاة الشيعة لكل الأحاديث التي وردت عن طريق الصحابة ، ولم يقبلوا إلا الأحاديث الواردة عن طريق الأئمة من أهل البيت أو ممن نسبوهم إلى التشيع كسلمان الفارسي ، وعمّار بن ياسر ، وأبو ذر ، والمقداد بن الأسود ، وقد شنوا هجوماً عنيفاً على رواة الحديث كأبي هريرة ، وسمرة بن جندب ، وعروة بن الزبير ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة وغيرهم واتهموهم بالوضع والتزوير والكذب[٢] ، واعتبر الإمام عبد القاهر البغدادي غلاة الشيعة من المنكرين للسنة لرفضهم قبول مرويات صحابة رسول الهدى ـ عليه الصلاة والسلام ـ[٣] .

فالشيعة تحارب السنة ، ولهذا فإن أهل السنة اختصوا بهذا الاسم لاتباعهم سنة المصطفى ﷺ[٤] ، هذا ما جاء في بعض مصادر أهل السنة ، ولكن الشيعة الإمامية تروي عن أئمتها : أن كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة ، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف[٥] ، وبهذا المعنى روايات أخر[٦] عندهم . وهو يفيد أن الشيعة الإمامية لا تنكر سنة رسول الله ﷺ ، بل تعتمد عليها ، وتجعلها مع كتاب الله الميزان والحكم .

والدارس لنصوص الشيعة الإمامية ورواياتها ينتهي إلى الحكم بأن معظم رواياتهم وأقوالهم تتجه اتجاهاً مجانفاً للسنة التي يعرفها المسلمون ، في الفهم والتطبيق ، وفي الأسانيد والمتون ، ويتبين ذلك فيما يلي :

١ ـ قول الإمام كقول الله ورسوله : فالسنة عندهم هي : كل ما يصدر عن المعصوم من قول أو فعل أو تقرير[٧] ، ومن لا يعرف طبيعة مذهبهم لا يلمح مدى مجانبتهم للسنة في

---

(١) المصدر السابق نفسه ، ص ١٠٣ .
(٢) أضواء على محب الدين ، ص ٤٨ ، ٦٥ ، ٦٨ .
(٣) الفرق بين الفرق ، ص ٣٢٢ ، ٣٢٧ ، ٣٤٦ .
(٤) منهاج السنة (٢/ ١٧٥) .
(٥) صحيح الكافي (١/ ١١) ؛ أصول الشيعة الإمامية (١/ ٣٧٣) .
(٦) أصول الشيعة الإمامية (١/ ٣٧٣) .
(٧) الأصول العامة للفقه المقارن ، ص ١٢٢ ؛ محمد تقي الحكيم ، ص ١٢٢ .

هذا القول ، إذ إن المعصوم هو رسول الله ﷺ ، وتجعل كلامهم مثل كلام الله وكلام رسوله ﷺ ، وهم الأئمة الاثنا عشر ، لا فرق عندهم في هذا بين هؤلاء الاثني عشر وبين من لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى[١] ؛ فهم : ليسوا من قبيل الرواة عن النبي والمحدثين عنه ، ليكون قولهم حجة من جهة أنهم ثقات في الرواية ، بل لأنهم هم المنصوبون من الله تعالى على لسان النبي لتبليغ الأحكام الواقعية ، فلا يحكمون إلا عن الأحكام الواقعية عند الله تعالى كما هي[٢] .

ولا فرق في كلام هؤلاء الاثني عشر بين سن الطفولة وسن النضج العقلي ، إذ إنهم ـ في نظرهم ـ لا يخطئون عمداً ولا سهواً ولا نسياناً طوال حياتهم ـ كما مرّ معنا في مسألة العصمة ـ ، ولهذا قال أحد شيوخهم المعاصرين : إن الاعتقاد بعصمة الأئمة جعل الأحاديث التي تصدر عنهم صحيحة دون أن يشترطوا إيصال سندها إلى النبي ﷺ كما هو الحال عند أهل السنة[٣] ، فالسنة عندهم ليست سنة النبي فحسب ، بل سنة الأئمة ، وأقوال هؤلاء الأئمة كأقوال الله ورسوله ، ولهذا اعترفوا بأن هذا مما ألحقته الشيعة بالسنة المطهرة قالوا : وألحق الشيعة الإمامية كل ما يصدر عن أئمتهم الاثني عشر من قول أو فعل أو تقرير بالسنة الشريفة[٤] .

وهم يقولون بهذا القول من منطلقين خطيرين ، وقاعدتين أساسيتين عندهم في هذه المسألة ، وقد أشار أحد شيوخهم المعاصرين إليهما حينما ذكر أن قول الإمام عندهم يجري مجرى قول النبي ﷺ ، من كونه حجة على العباد واجب الاتباع ، وأنهم لا يحكمون إلا عن الأحكام الواقعية عند الله تعالى كما هي ، فبين أن ذلك يتحقق لهم من طريقين : من طريق الإلهام كالنبي من طريق الوحي ، أو من طريق التلقي عن المعصوم قبله[٥] .

وهم يزعمون أن الأئمة هم خزنة علم الله ووحيه ، وقد عقد صاحب «الكافي» باباً بهذا بعنوان : باب أن الأئمة ـ عليهم السلام ـ ولاة أمر الله وخزنة علمه[٦] ، وضمن هذا الباب

---

(١) أصول الشيعة الإمامية (١/ ٣٧٤) .
(٢) أصول الفقه المقارن (٣/ ٥١)؛ أصول الشيعة (١/ ٣٧٤) .
(٣) تاريخ الإمامية ، عبد الله قياض ، ص ١٤٠ .
(٤) سنة أهل البيت ، محمد تقي الحكيم ، ص ٩٠ .
(٥) أصول الشيعة الإمامية (١/ ٣٧٧) .
(٦) أصول الكافي (١/ ١٩٢ ـ ١٩٣) .

ست روايات في هذا المعنى ، وباباً آخر بعنوان: إن الأئمة ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء الذين من قبلهم[١] ، وفيه سبع روايات ، وباباً ثالثاً بعنوان: أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل ـ عليهم السلام ـ[٢] ، وفيه أربع روايات[٣] .

وقد توسع الشيعة الرافضة في هذا الباب .

ونكتفي بهذا القدر من المصادر الوهمية التي تذكرها الإمامية، والتي يغني في بيان فسادها مجرد عرضها وتصورها ، ونتيجة لذلك التصور عن الأئمة فإن الشيعة الإمامية لم يهتموا بصحة الإسناد وتقويم الرجال ، كما اهتم علماء الحديث من أهل السنة ، وفي الوقت الذي رفض فيه الشيعة «صحيحي» البخاري ومسلم وكتب السنة المعتمدة الموثقة، اعتمدوا في أحاديثهم على ما نقله الكليني الذي سبق أن أوردنا أقواله في كثير من عقائدهم واعتبروه حجة، ويعتبر كتابه (الكافي)[٤] ، من أقدم كتب الشيعة في الحديث وأوثقها عندهم ، ويصور أحد الشيعة مكانة هذا الكتاب لديهم فيقول: وقد اتفق أهل الإمامة وجمهور الشيعة على تفضيل هذا الكتاب ، والأخذ به والثقة بخبره ، والاكتفاء بأحكامه ، وهم مجمعون على الإقرار بارتفاع درجته وعلو قدره ، على أنه القطب الذي عليه مدار روايات الثقات المعروفين بالضبط والإتقان إلى اليوم ، وعندهم أجل وأفضل من جميع أصول الأحاديث ، علماً بأن جل ما في «الكافي» ـ كما يقول أبو زهرة ـ أخبار تنتهي عند الأئمة ، ولا يصح أن نقول أنه يذكر سنداً متصلاً بالنبي ﷺ ، ولا أنه يدعي أن هذه أقوال النبي ﷺ ، إلا على أساس أن أقوال أئمتهم هي أقوال النبي ﷺ ، وأنها دين الله تعالى . .

وأكثر ما يروى في «الكافي» واقف عند الصادق ، وقليل منه ما يعلو إلى أبيه الباقر رضي الله عنه ، وأقل من ذلك ما يعلو إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، ونادراً ما يقف عند النبي ﷺ[٥] .

(١) المصدر السابق نفسه (١/ ٢٢٣ ـ ٢٢٦).
(٢) أصول الشيعة (١/ ٣٨٥).
(٣) المصدر السابق نفسه (١/ ٣٨٥ ، ٣٨٦).
(٤) أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله للسالوس ، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ .
(٥) الإمام الصادق ، أبو زهرة ، ص ٤٢٩ .

كما أن هناك كتاب: «من لا يحضره الفقيه» جمعه أبو جعفر محمد بن علي بن موسى بن بابويه ، الذي يلقبونه بالشيخ الصدوق ، وهو أيضاً من أكبر علمائهم بخراسان (توفي ٣٨١ هـ).

ومن الكتب المعتمدة عند الشيعة كتابا: «تهذيب الأحكام» و«الاستبصار فيما اختلف من الأخبار» لمحمد بن الحسن الطوسي ، وهذه الكتب الشيعية الإمامية مليئة بعشرات الألوف من الأحاديث التي لا يمكن إثبات صحتها ، بل معظمها موضوع مختلق[١] ، مثل ما سبق أن أشرنا إليه ، من الأحاديث التي اعتمدوا عليها في دفاعهم عن أحقية علي بالإمامة.

من هذا العرض لآراء الشيعة الإمامية ومعتقداتهم ، والشيعة الإمامية يعترفون ـ أو على الأقل بعض منهم ـ بأن في تلك الكتب بعض الروايات الموضوعة ، كما أنهم أنفسهم جرحوا بعض رواتهم ، وإذا كان الأمر كذلك فيمكن أن يأخذ الشيعة الإمامية بوصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما قال: «.. الزموا دينكم واهتدوا بهدي نبيكم واتبعوا سنته ، واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن ؛ فما عرفه القرآن ، فالزموه ، وما أنكره فردوه»[٢] . وقوله رضي الله عنه: «واقتدوا بهدي نبيكم ﷺ ؛ فإنه أفضل الهدي واستنوا بسنته ، فإنها أفضل السنن»[٣] .

وأن يلتزموا بطريقة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في فهم الأحكام من القرآن الكريم ومعاني الآيات ، فيلتزموا بظاهر القرآن الكريم ، وحمل المجمل على المفسر ، والمطلق على المقيد ، وأن يراعوا الناسخ والمنسوخ والنظر في لغة العرب ، وفهم النص بنص آخر ، والسؤال عن مشكله ، والعلم بمناسبة الآيات ، وتخصيص العام ، وأن يتعلموا من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه كيف يحترموا مقام النبوة ، ويتعاملوا مع سنة الرسول ﷺ وفق هديه الذي بينته في هذا الكتاب ، ثم يعرضوا رواياتهم التي في كتبهم على العدلين ، كتاب الله وسنة رسوله ، فما وافق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قبلوه ، وما خالفها ينبذوه ، ويحذِّروا أتباعهم منه ، وخصوصاً تلك الروايات التي تسيء إلى أئمتهم أنفسهم فضلاً عن الإسلام.

---

(١) الخطوط العريضة ، ص ٤٩.

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٦).

(٣) المصدر السابق نفسه (٧/ ٣١٩).

إن دين الله كمل ، قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ . . . ﴾ [المائدة: ٣] ، ورسول الله ﷺ بلغ جميع ما أنزل إليه ، وامتثل أمر ربه في قوله : ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ ﴾ [المائدة: ٦٧] .

وقد بلغ النبي ﷺ البلاغ المبين ، وأقام الحجة على العالمين ، وأعلن ذلك بين المسلمين ، ولم يسرّ لأحد بشيء من الشريعة ويستكتمه إياه ، قال تعالى : ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ [آل عمران: ١٨٧] .

فهو بيان للناس وليس لفئة معينة من أهل البيت ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ ﴾ [البقرة: ١٥٩ ـ ١٦٠] ، وقال : ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ ﴾ [النحل: ٦٤]. فالدين قد تم وكمل لا يزاد فيه ولا ينقص منه ولا يبدل[١] ، لا من إمام مزعوم ، ولا من غائب موهوم[٢] .

وقد ودع المصطفى ﷺ الدنيا بعد أن بلغ الدين كله ، وبيَّن جميعه كما أمره ربه ، قال ﷺ : «تركتكم على مثل البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»[٣] ، وقال أبو ذر رضي الله عنه : لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً[٤] .

* * *

---

(١) المحلى (١/ ٢٦).

(٢) أصول الشيعة الإمامية (١/ ٣٩٨).

(٣) هذا المعنى صحح الألباني ـ رحمه الله ـ معظمه .

(٤) مسند أحمد (٥/ ١٥٣).



التقية عند الإمامية الاثني عشرية

١ ـ وأما تعريفها عند الشيعة الإمامية فيقول شيخهم المفيد: التقية كتمان الحق، وستر الاعتقاد فيه. وكتمان المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا[١].

ويقول يوسف البحراني ـ أحد كبار علمائهم في القرن الثاني عشر ـ: المراد بها إظهار موافقة أهل الخلاف في ما يدينون به، خوفاً[٢].

ويقول الخميني: التقية معناها: أن يقول الإنسان قولاً مغايراً للواقع، أو يأتي بعمل مناقض لموازين الشريعة، وذلك حفاظاً لدمه أو عرضه أو ماله[٣].

فهذه ثلاث تعريفات للتقية لثلاثة من كبار علماء الشيعة الإمامية جاؤوا في فترات زمنية مختلفة، وهذه التعريفات تدور حول أربعة أحكام رئيسة للتقية عندهم وهي:

* أن معنى التقية أن يظهر الإنسان لغيره خلاف ما يبطن.

* أن التقية تستعمل مع المخالفين، ولا يخفى دخول كافة المسلمين تحت هذا العموم.

* أن التقية تكون فيما يدين به المخالفون من أمور الدين.

* أن التقية إنما تكون عند الخوف على الدين أو النفس أو المال، وهذه أربعة أحكام هي محور عقيدة التقية عندهم[٤].

٢ ـ وأما مكانتها عند الشيعة الإمامية: فهي تحتل منزلة عظيمة ومكانة رفيعة، دلت

(١) تصحيح الاعتقاد، ص ١١٥.
(٢) الكشكول (١/ ٢٠٢).
(٣) كشف الأسرار، ص ١٤٧.
(٤) بذل المجهود (٢/ ٦٣٨).

عليها روايات عديدة جاءت في أمهات الكتب عندهم ، فقد روى الكليني وغيره عن جعفر الصادق : أنه قال : التقية من ديني ودين آبائي ، ولا إيمان لمن لا تقية له[١] .

وعن أبي عبد الله أنه قال : إن تسعة أعشار الدين في التقية ، ولا دين لمن لا تقية له ، والتقية في كل شيء إلا في النبيذ والمسح على الخفين[٢] .

وفي المحاسن : عن حبيب بن بشير ، عن أبي عبد الله أنه قال : لا والله ما على الأرض شيء أحب إلي من التقية ، يا حبيب إنه من كانت له تقية رفعه الله ، يا حبيب من لم يكن له تقية وضعه الله[٣] .

وفي أمالي الطوسي عن جعفر الصادق : أنه قال : ليس منا من لم يلزم التقية ويصوننا عن سفلة الرعية[٤] .

وفي الأصول الأصيلة : عن علي بن محمد من مسائل داود الصرمي قال : قال لي : يا داود لو قلت لك : إن تارك التقية كتارك الصلاة ؛ لكنت صادقاً[٥] .

وعن الباقر أنه سئل : من أكمل الناس ؟ قال : أعلمهم بالتقية وأقضاهم لحقوق إخوانه[٦] .

وعنه أيضاً أنه قال : أشرف أخلاق الأئمة الفاضلين من شيعتنا استعمال التقية[٧] .

فدلت هذه الروايات على مكانة التقية عندهم ، ومنزلتها العظيمة في دينهم ، إذ التقية عند الشيعة الإمامية من أهم أصول الدين ، فلا إيمان لمن لا تقية له ، والتارك للتقية كالتارك للصلاة ، بل إن التقية عندهم أفضل من سائر أركان الإسلام ، فالتقية تمثل تسعة أعشار دينهم وسائر أركان الإسلام وفرائضه وتمثل العشر الباقي[٨] ، وقد ذكر صاحب

---

(١) أصول الكافي (٢/ ٢١٩) ؛ المحاسن ، ص ٢٥٥ .

(٢) أصول الكافي (٢/ ٢١٧) ؛ بذل المجهود (٢/ ٢٣٦) .

(٣) المحاسن للبرقي ، ص ٢٥٧ .

(٤) أمالي الطوسي ، ص ٢٨٧ .

(٥) الأصول الأصيلة ، عبد الله شبر ، ص ٣٢٠ .

(٦) المصدر السابق نفسه ، ص ٣٢٤ .

(٧) المصدر السابق نفسه ، ص ٣٢٣ .

(٨) بذل المجهود (٢/ ٦٣٧) .

الكافي أخبارها في (باب التقيـة)[١] ، و(باب الكتمان)[٢] و(باب الإذاعـة)[٣] ، وذكر المجلسي في «بحاره» من رواياتهم فيها مئة وتسع روايات في باب عقده بعنوان (باب التقية والمداراة)[٤] .

٣ ـ وأما سبب هذا الغلو في أمر التقية فيعود إلى عدة أمور منها:

أ ـ أن الشيعة الإمامية تعد إمامة الخلفاء الثلاثة باطلة ، وهم ومن بايعهم في عداد الكفار ، مع أن علياً ـ رضي الله عنه ـ بايعهم وصلى خلفهم ، وجاهد معهم ، وزوج عمر ابنته أم كلثوم ، وتسرّى من جهاده مع أبي بكر ، ولما ولي الخلافة سار على نهجهم ولم يغير شيئاً مما فعله أبو بكر وعمر ، كما تعترف بذلك كتب الشيعة نفسها ، وهذا يبطل مذهب الشيعة من أساسه ، فحاولوا الخروج من هذا التناقض المحيط بهم بالقول بالتقية[٥] ، واستخدموا مبدأ التقية لتفسير أحداث تاريخهم ، فذهبوا إلى أن سكوت علي عن أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ كان تقية ، وتنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية كان تقية ، واختفاء أئمتهم وسترهم كان تقية منهم ، وهكذا يمكن تفسير كل الأحداث التي تناقض عقيدتهم بالتقية[٦] .

ب ـ أنهم قالوا بعصمة الأئمة ، وأنهم لا يسهون ولا يخطئون ولا ينسون ، وهذه الدعوى خلاف ما هو معلوم من حالهم ، وحتى إن روايات الشيعة نفسها المنسوبة للأئمة مختلفة متناقضة حتى لا يوجد خبر منها إلا وبإزائه ما يناقضه، كما اعترف بذلك شيخهم الطوسي[٧] ، وهذا ينقض مبدأ العصمة من أصله ، فقالوا بالتقية لتبرير هذا التناقض والاختلاف والتستر على ما ينسبونه للأئمة .

روى صاحب «الكافي» عن منصور بن حازم قال: قلت لأبي عبد الله ـ عليه السلام ـ: ما بالي أسألك عن المسألة فتجيبني فيها بالجواب، ثم يجيئك غيري فتجيبه فيه بجواب آخر؟

---

(١) أصول الكافي (٢/ ٢١٧) .
(٢) المصدر السابق نفسه (٢/ ٢٢١) .
(٣) المصدر السابق نفسه (٢/ ٣٦٩) .
(٤) بحار الأنوار (٧٥/ ٣٩٣ ـ ٤٤٣) .
(٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٨٤) .
(٦) دراسات عن الفرق وتاريخ المسلمين ، ص ٢١٧ .
(٧) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٨٥) .

فقال: إنا نجيب الناس على الزيادة والنقصان[١]. قال «شارح الكافي»: أي: زيادة حكم عند التقية، ونقصانه عند عدمها. . ولم يكن ذلك مستنداً إلى النسيان والجهل بل لعلمهم بأن اختلاف كلمتهم أصلح لهم، وأنفع لبقائهم، إذ لو اتفقوا لعرفوا بالتشيع، وصار ذلك سبباً لقتلهم وقتل الأئمة عليهم السلام[٢].

ج ـ تسهيل مهمة المدعين على الأئمة، ومحاولة التعتيم على حقيقة مذهب أهل البيت؛ بحيث يوهمون الأتباع أن ما ينقله (واضعو مبدأ التقية) عن الأئمة هو مذهبهم، وأن ما اشتهر وذاع عنهم، وما يقولونه، ويفعلونه أمام المسلمين لا يمثل مذهبهم، وإنما يفعلونه تقية، فيسهل عليهم بهذه الحيلة التلاعب بأقوال الأئمة، والدس عليهم، وتكذيب ما يروى عنهم من حق، فتجدهم مثلاً يردون كلام الإمام محمد الباقر أو جعفر الصادق الذي قاله أمام ملأ من الناس، أو نقله العدول من المسلمين بحجة أنه حضره بعض أهل السنة، فاتقى في كلامه، ويقبلون ما ينفرد بنقله الكذبة أمثال جابر الجعفي بحجة أنه لا يوجد أحد يتقيه في كلامه.

وبحسبك أن تعرف أن الإمام زيد بن علي وهو من أهل البيت، يروي عن علي ـ رضي الله عنه ـ كما تنقله كتب الاثني عشرية نفسها، أنه غسل رجليه في الوضوء، ولكن من يلقبونه بـ (شيخ الطائفة) لا يأخذ بهذا الحديث، ولا يجد حجة يحتج بها سوى التقية، فهو يورد الحديث في «الاستبصار» عن زيد بن علي عن جده علي بن أبي طالب قال: جلست أتوضأ، فأقبل رسول الله ﷺ حين ابتدأت الوضوء ـ إلى أن قال ـ وغسلت قدمي، فقال لي: يا علي خلل بين الأصابع ولا تخلل بالنار[٣]، فأنت ترى أن علياً كان يغسل رجليه في وضوئه، وأن رسول الله ﷺ أكد عليه بأن يخلل أصابعه، والشيعة تخالف سنة رسول الله ﷺ وهدي علي رضي الله عنه في ذلك، ولا تلتفت لمثل هذه الروايات، وإن جاءت في كتبها بروايات أئمة أهل البيت، ولا يكلف شيوخ الشيعة أنفسهم بالتفكر في أمر هذه الروايات ودراستها، فلديهم هذه الحجة الجاهزة[٤] (التقية).

ولهذا قال الطوسي: هذا خبر موافق للعامة ـ يعني أهل السنة ـ، وقد ورد مورد

---

(١) أصول الكافي (١/ ٦٥).
(٢) شرح جامع للمازندراني (١/ ٦٥).
(٣) الاستبصار (١/ ٦٥، ٦٦).
(٤) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٨٧).

التقية ؛ لأن المعلوم الذي لا يتخالج منه الشك من مذاهب أئمتنا ـ عليهم السلام القول بالمسح على الرجلين ، ثم قال: إن رواة هذا الخبر كلهم عامة ، ورجال الزيدية ، وما يختصون به[١] لا يعمل به .

وفي النكاح : جاءت عندهم روايات في تحريم المتعة ؛ ففي كتبهم عن زيد بن علي عن آبائه عن علي عليه السلام ـ قال : حرّم رسول الله ﷺ يوم خيبر لحوم الحمر الأهلية ونكاح المتعة[٢] .

وقال شيخهم الحر العاملي أقول: حمله الشيخ[٣] وغيره على التقية ، يعني في الرواية ، لأن إباحة المتعة من ضروريات مذهب الإمامية[٤] .

وفي قسمة المواريث أن المرأة لا ترث من العقار والدور والأرضين شيئاً[٥] ، ولما يأتي عندهم نص عن الأئمة يخالف ذلك ، وهو حديث أبي يعقوب عن أبي عبد الله قال : سألته عن الرجل : هل يرث من دار امرأته أو أرضها من التربة شيئاً؟ أو يكون في ذلك منزلة المرأة فلا يرث من ذلك شيئاً؟ فقال يرثها وترثه من كل شيء ترك وتركت[٦] . قال الطوسي: نحمله على التقية ، لأن جميع من خالفنا يخالف في هذه المسألة ، وليس يوافقنا عليها أحد من العامة ، وما يجري هذا المجرى يجوز التقية فيه[٧] .

د ـ وضع مبدأ التقية لعزل الشيعة عن المسلمين لذلك جاءت أخبارهم فيها على هذا النمط؛ يقول إمامهم (أبو عبد الله): ما سمعت مني يشبه قول الناس فيه التقية ، وما سمعت مني لا يشبه قول الناس فلا تقية فيه[٨] .

وقد كان من آثار عقيدة التقية ضياع مذهب الأئمة عند الشيعة ، حتى إن شيوخهم لا يعلمون في الكثير من أقوالهم أيها تقية وأيها حقيقة[٩] .

---

(١) الاستبصار (١/ ٦٥ ، ٦٦) .
(٢) تهذيب الأحكام للطوسي (٢/ ١٨٤) .
(٣) إذا أطلق الشيخ في كتب الشيعة ؛ فالمراد به شيخهم الطوسي .
(٤) وسائل الشيعة (٧/ ٤٤١) .
(٥) الاستبصار للطوسي (٤/ ١٥١ ـ ١٥٥) .
(٦) المصدر السابق نفسه (٤/ ١٥٤) .
(٧) المصدر السابق نفسه (٤/ ١٥٥) .
(٨) بحار الأنوار (٢/ ٢٥٢) .
(٩) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٨٩) .

ووضعوا لهم ميزاناً ، أخرج المذهب إلى دائرة الغلو ، وهو أن من خالف العامة فيه الرشاد[١] .

وقد اعترف صاحب «الحدائق» بأنه لم يعلم من أحكام دينهم إلا القليل بسبب التقية ، حيث قال : فلم يعلم من أحكام الدين على اليقين إلا القليل لامتزاج أخباره بأخبار التقية ، كما قد اعترف بذلك ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني في جامعه «الكافي» ، حتى إنه تخطئ العمل بالترجيحات المروية عند تعارض الأخبار ، والتجأ إلى مجرد الرد والتسليم للأئمة الأبرار[٢] .

وأما تطبيق التقية عندهم فهو خير كاشف بأن تقيتهم غير مرتبطة بحالة الضرورة ، وقد اعترف يوسف البحراني بأن الأئمة : يخالفون بين الأحكام وإن لم يحضرهم أحد من أولئك الأنام ، فتراهم يجيبون في المسألة الواحدة بأجوبة متعددة ، وإن لم يكن بها قائل من المخالفين[٣] .

هـ ـ مفهوم التقية عند أهل السنة : إن مفهوم التقية في الإسلام غالباً ، إنما هي مع الكفار ، قال تعالى : ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ [آل عمران : ٢٨] . قال ابن جرير الطبري : التقية التي ذكرها الله في هذه الآية إنما هي تقية من الكفار لا غيرهم[٤] ، ولهذا يرى بعض السلف أنه لا تقية بعد أن أعز الله الإسلام ، قال معاذ بن جبل ومجاهد : كانت التقية في جدة الإسلام قبل قوة المسلمين ، أما اليوم فقد أعز الله المسلمين[٥] .

ولكن تقية الشيعة هي مع المسلمين ولا سيما مع أهل السنة ، حتى إنهم يرون عصر القرون المفضلة عهد تقية كما قرره شيخهم المفيد ، وكما تلحظ ذلك من نصوصهم التي ينسبونها للأئمة ، لأنهم يرون أهل السنة أشد كفراً من اليهود والنصارى ، لأن منكر إمامة الاثني عشر أشد من منكر النبوة[٦] .

---

(١) المصدر السابق نفسه .
(٢) الحدائق الناضرة ، يوسف البحراني (١/ ٥) .
(٣) الحدائق الناضرة (١/ ٥) .
(٤) تفسير الطبري (٦/ ٣١٦) .
(٥) تفسير القرطبي (٤/ ٥٧) ؛ فتح القدير (١/ ٣٣١) .
(٦) المصدر السابق نفسه (٢/ ٩٧٨) .

والتقية رخصة في حالة الاضطرار ، ولذلك استثناها ـ سبحانه ـ من مبدأ النهي عن موالاة الكفار فقال سبحانه : ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران : ٢٨] ، فنهىٰ الله سبحانه عن موالاة الكفار ، وتوعد على ذلك أبلغ الوعيد فقال : ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ [آل عمران : ٢٨] أي : من يرتكب ما نهى الله فقد برئ من الله ، ثم قال سبحانه : ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ أي : إلا من خاف من بعض البلدان والأوقات من شرهم ، فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته(١) .

وأجمع أهل العلم على أن التقية رخصة في حال الضرورة ، قال ابن المنذر : أجمعوا على من أكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل ، فكفر وقلبه مطمئن بالإيمان : أنه لا يحكم عليه بالكفر(٢) . ولكن من اختار العزيمة في هذا المقام فهو أفضل ، قال ابن بطال : وأجمعوا على أن من أكره على الكفر واختار القتل أنه أعظم أجراً عند الله(٣) ، ولكن التقية عند الشيعة خلاف ذلك ، فهي عندهم ليست رخصة بل هي ركن من أركان دينهم(٤) .

والتقية في دين الإسلام دين الجهاد والدعوة لا تمثل نهجاً عاماً في سلوك المسلم ، ولا سمة من سمات المجتمع الإسلامي ، بل هي ـ غالباً ـ حالة فردية مؤقتة ، مقرونة بالاضطرار ، ومرتبطة بالعجز عن الهجرة ، وتزول بزوال حالة الإكراه ، أما في المذهب الشيعي الإمامي فتعدُّ طبيعة ذاتية في بنية المذهب ، وحالة مستمرة وسلوك جماعي دائم(٥) .

وقد قرر أهل العلم من خلال معرفتهم بواقع الشيعة الإمامية : أن تقيتهم إنما هي الكذب ليس إلا ، وقد فرق ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بين تقية الكذب والتقية في الإسلام فقال . . . . ليست بأن أكذب وأقول بلساني ما ليس في قلبي فإن هذا نفاق ، ولكن أفعل ما أقدر عليه . . . فالمؤمن إذا كان بين الكفار والفجار ، لم يكن عليه أن يجاهدهم بيده

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣٧١) .
(٢) فتح الباري (١٢/ ٣١٤) .
(٣) المصدر السابق (١٢/ ٣١٧) .
(٤) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٧٩) .
(٥) المصدر السابق نفسه (٢/ ٩٨١) .

مع عجزه ، ولكن إن أمكنه بلسانه ، وإلا فبقلبه ، مع أنه لا يكذب ويقول بلسانه ما ليس في قلبه ، إما أن يظهر دينه وإما أن يكتمه ، ومع هذا لا يوافقهم على دينهم كله ، ، بل غايته أن يكون كمؤمن آل فرعون ، حيث لم يكن موافقاً لهم على جميع دينهم وكان لا يكذب ، ولا يقول بلسانه شيء ، وإظهار الدين الباطل شيء آخر ، فهذا لم يبحه الله قط إلا لمن أكره ؛ بحيث أتيح له النطق بكلمة الكفر فيعذره الله بذلك ، والمنافق والكذّاب لا يعذر بحال ، ثم إن المؤمن الذي يعيش بين الكفار مضطراً ويكتم إيمانه يعاملهم بمقتضى الإيمان الذي يحمله ـ بصدق وأمانة ونصح وإرادة للخير بهم ، وإن لم يكن موافق لهم على دينهم ، كما كان يوسف الصديق يسير في أهل مصر وكانوا كفار ، وبخلاف غلاة الشيعة الذين لا يتركون شرا يقدرون عليه إلا فعلوه بمن يخالفهم[١] .

ولقد لخص الشيخ سلمان العودة الفروق بين التقية عند أهل السنة والشيعة الإمامية فقال : إن التقية عند أهل السنة استثناء مؤقت مخالف للأصل ، أما عند الشيعة الإمامية فواجب مفروض حتى يقوم القائم من آل البيت . وينتهي العمل بها عند أهل السنة بمجرد زوال السبب الداعي إليها ، أما عند الشيعة الإمامية فواجب جماعي مستمر لا ينتهي العمل به حتى يخرج مهديهم . وتقية أهل السنة هي مع الكفار في الغالب ، وقد تكون مع الفساق الظلمة ، أما تقية الشيعة الإمامية فهي أصلاً مع المسلمين المخالفين لهم من أهل السنة . إن التقية عند أهل السنة حالة ممقوتة يلجأ إليها المسلم دون رضا واطمئنان إليها ، أما عند الشيعة الإمامية فقد أصبحت خلة ممدوحة مرضية ، جاء في مدحها من النصوص عن أئمتهم الكثير الكثير[٢] .

* * *

---

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٩٥) .

(٢) العزلة والخلطة ، سلمان بن فهد العودة ، ص ١٤٩ .



المهدي المنتظر بين السنة والإمامية الاثني عشرية

١ ـ عقيدة المهدي المنتظر عند الشيعة الإمامية:

من أبرز عقائد الشيعة الإمامية التي تكاد تمتلئ بها كتبهم: عقيدة المهدي المنتظر ، ويقصد الإمامية بالمهدي المنتظر : محمد بن الحسن العسكري ؛ وهو الإمام الثاني عشر عندهم ويطلقون عليه الحجة ، كما يطلقون عليه القائم[١] ، ويزعمون أنه ولد سنة ٢٥٥ هـ واختفى في سرداب (سر من رأى[٢]) ، سنة ٢٦٥ هـ ، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان ، لينتقم لهم من أعدائهم وينتصر لهم[٣]، ولا زال الشيعة الإمامية يزورونه بسرداب (سر من رأى) ويدعونه للخروج[٤]، وهذا المهدي الذي يدعيه الشيعة الإمامية معدوم ولا وجود له: فالحسن العسكري الذي ينسبون إليه المهدي مات ولم يعقّب أحداً ، فقسم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر .

وقد صاحب عقيدة المهدي المنتظر عند الشيعة الإمامية ، خرافات وأساطير كبيرة لا يصدقها عاقل ، ويعتقدون أن المهدي من ولد الحسين[٥] ، ويروون العجائب في ولادته[٦] ، ويقولون عندما يخرج يجتمع إليه الشيعة الإمامية من كل مكان[٧]، ويخرج

---

(١) الإرشاد للمفيد ، ص ٣٦٣ ؛ كشف الغمة ، الأربلي (٢/ ٤٣٧)؛ بذل المجهود (١/ ٢٣٧).

(٢) بذل المجهود (١/ ٢٣٧) ؛ معجم البلدان (٣/ ١٧٣).

(٣) المفيد ، ص ٣٤٦ ؛ كشف الغمة (٢/ ٤٤٦) ؛ بذل المجهود (١/ ٢٣٧).

(٤) مصابيح الجنات ، محسن العصفور ، ص ٢٥٥ .

(٥) الغيبة ، ص ١١٥ ؛ بذل المجهود (١/ ٢٣٨).

(٦) بذل المجهود (١/ ٢٣٩).

(٧) بحار الأنوار (٥٢/ ٢٩١).

الصحابة من قبورهم ويعذبهم[١]، ويقتل العرب، وقريش[٢]، ويهدم الكعبة والمسجد النبوي وكل المساجد[٣]، ويدعو إلى دين جديد وكتاب جديد وقضاء جديد[٤]، ويستفتح المدن بتابوت اليهود[٥]، وتنبع له عينان من ماء ولبن، ويصير الرجل من الشيعة الإمامية بقوة أربعين رجلاً، ويمد لهم في أسماعهم وأبصارهم، ويحكم بحكم آل داود[٦].

وعقيدة الشيعة الإمامية في مهديهم المنتظر باطلة، وقد دلَّ على بطلانها عدة أوجه:

أ ـ ثبوت عدم ولادة هذا المهدي، فقد اقتضت حكمة العلي القدير أن يموت الحسن العسكري الإمام الحادي عشر عند الشيعة الإمامية وليس له ولد، فكانت مشكلة كبيرة للشيعة الإمامية؛ إذ كيف يموت الإمام ولا يوجد له من الأولاد من يخلفه في الإمامة؟! فعقيدة الشيعة الإمامية تنص على أن الذي يخلف الإمام بعد موته ولده، ولا يجوز أن تكون الإمامة في الإخوة بعد الحسن والحسين[٧]، وعدم ولادة المهدي ثابتة في كتب الشيعة أنفسهم[٨].

ب ـ لا معنى لاختفاء المهدي: لو سلمنا جدلاً بولادة هذا المهدي، فإنه لا معنى لاختفائه هذه الفترة الطويلة في السرداب، وإذا ما سئل الشيعة الإمامية عن الحكمة من اختفائه في السرداب وعدم خروجه للناس؛ فإنهم يعللون ذلك بأنه يخشى على نفسه القتل[٩]، وهذه علة واهية قد دل على بطلانها عدة أدلة؛ منها:

ـ أنه قد جاءت في كتبكم أنه سيكون منصوراً ومؤيداً من الله تعالى، وأنه يملك مشارق الأرض ومغاربها، فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، ويعيش حتى زمن نزول عيسى ابن مريم عليه السلام[١٠].

(١) المصدر السابق نفسه (٥٢/ ٣٨٦).
(٢) المصدر السابق نفسه (٥٢/ ٣٥٥).
(٣) الرجعة للإحساني، ص ١٨٤.
(٤) الغيبة، ص ١٥٤.
(٥) بذل المجهود (١/ ٢٤٧).
(٦) المصدر السابق نفسه (١/ ٢٤٩).
(٧) كمال الدين وتمام النعمة للصدوق، ص ٤١٤.
(٨) أصول الكافي (١/ ٥٠٥)؛ بذل المجهود (١/ ٢٦٧).
(٩) الغيبة، ص ١٩٩.
(١٠) بحار الأنوار (٥٢/ ١٩١).

ـ كما أن قولكم هذا يترتب عليه أن المهدي لن يخرج حتى تذهب دول الجور والظلم والفساد ليأمن على نفسه من القتل ، وعندئذ لا حاجة في خروجه ، وهذه الدول تستطيع أن تحمي المهدي لو خرج فلماذا لم يخرج؟

ـ أن من لا يستطيع أن يحمي نفسه من القتل فمن باب أولى عجزه عن حماية غيره، فإن فاقد الشيء لا يعطيه ، فكيف تنتظرون من هذه صفته أن ينتقم لكم من أعدائكم وينصركم عليهم نصراً مؤزراً؟!

وبهذا تكون قد بطلت دعواهم ، بأن العلة من عدم خروج المهدي هو: الخوف من القتل ، وبناء على هذا تبطل دعوى وجود المهدي أصلاً ، إذ لا سبب يمنعه من الاستتار غير خوفه من القتل ، كما صرح بذلك شيخ الطائفة الطوسي[١] ، فتكون دعوى وجود المهدي باطلة بشهادة علمائهم ، وهذا من توفيق الله وعظيم فضله[٢] .

ج ـ **أنه لم تحصل منفعة بهذا المهدي**؛ ومما يدل على بطلان عقيدة الشيعة الإمامية في المهدي المنتظر :

أن هذا المهدي الذي تدعيه الإمامية لم تحصل به مصلحة في شيء من أمور الدين أو الدنيا، ولم ينتفع منه المسلمون بشيء لا الإمامية ولا غيرهم، قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: إن هذا المعصوم الذي يدعونه في وقت ما قد ولد عندهم لأكثر من أربعمئة وخمسين سنة[٣] ؛ فإنه دخل السرداب عندهم سنة ستين ومئتين ، وله خمس سنين عند بعضهم ، وأقل من ذلك عند آخرين ، ولم يظهر عنه شيء مما يفعله الإمام المعصوم ، فأي منفعة للوجود في مثل هذا لو كان موجوداً ، فيكف إذا كان معدوماً؟! والذين آمنوا بهذا المعصوم أي لطف وأي منفعة حصلت لهم به نفسه في دينهم أو دنياهم؟! إلى أن قال: وهذا الذي تدعيه الإمامية إما مفقود عندهم ، وإما معدوم عند العقلاء ، وعلى التقديرين فلا منفعة لأحد به في دين ولا في دنيا[٤] .

والشيعة الاثني عشرية في هذا العصر نقضوا هذه العقيدة عملياً من خلال اعتقادهم بنظرية ولاية الفقيه ، وهي تجويز الحكم والولاية للمسلم العادي غير المعصوم ، أو عليه

---

(١) الغيبة ، ص ١٩٩ ؛ بذل المجهود (١/ ٢٧١).
(٢) بذل المجهود (١/ ٢٧١).
(٣) هذا بالنسبة لعصر ابن تيمية ، أما الآن فقد مضى عليه ما يزيد عن ألف ومئة وثمان وسبعين عاماً.
(٤) منهاج السنة (٨/ ٢٦١ ـ ٢٦٢).

نص من الله ورسوله بشرط العلم والعدل.

٢ ـ عقيدة أهل السنة والجماعة في المهدي:

بينت الأحاديث الصحيحة: أن الله تعالى يخرج في آخر الزمان رجلاً من أهل البيت يؤيد الله به الدين، يملك سبع سنين، يملأ الأرض عدلاً وسلاماً كما ملئت جوراً وظلماً، تنعم الأمة في عهده نعمة لم تنعمها قط، وتخرج الأرض نباتها، وتمطر السماء قطرها، ويعطي المال بغير عدد. ومن هذه الأحاديث:

أ ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحاً[(١)]، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، ويعيش سبعاً أو ثمانياً»[(٢)]، يعني حججاً[(٣)].

ب ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً»، قال: «ثم يخرج رجل من عترتي ـ أو من أهل بيتي ؛ يملؤها قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وعدواناً»[(٤)].

ج ـ وعن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «يقتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة، تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم» ـ ثم ذكر شيئاً لا أحفظه فقال: ـ «فإذا رأيتموه، فبايعوه، ولو حبواً على الثلج ؛ فإنه خليفة الله المهدي»[(٥)].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: والمراد بالكنز المذكور في هذا السياق كنز الكعبة، يقتتل عنده ليأخذه ثلاثة من أولاد الخلفاء حتى يكون آخر الزمان فيخرج المهدي، يكون ظهوره من بلاد المشرق، لا من سرداب سامراء كما يزعم الإمامية من أنه موجود فيه إلى الآن، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان، لا دليل عليه ولا برهان، لا من كتاب ولا من سنة، ولا معقول صحيح ولا استحسان... إلى أن قال: ويؤيد بناس من أهل

---

(١) بمعنى الصحيح. النهاية لابن الأثير (٣/ ١٢).

(٢) المستدرك (٤/ ٥٥٧ ـ ٥٥٨)، قال الألباني: سندهُ صحيح رجاله ثقات. سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم ٧١١.

(٣) المهدي وفقه أشراط الساعة، محمد إسماعيل، ص ٣٣.

(٤) السلسلة الصحيحة، رقم ١٥٢٩، وحكم الألباني بتواتره.

(٥) سنن ابن ماجه (٢/ ١٣٦٧) ؛ مستدرك الحاكم (٤/ ٤٦٤) ؛ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

المشرق ينصرونـه ، ويقيمون سلطانـه ، ويشيدون أركانـه ، وتكون راياتهم سود أيضاً وهو زي عليه الوقار؛ لأن راية رسول الله ﷺ كانت سـوداء ، يقال لها: العقاب . . . إلى أن قال: والمقصود أن المهدي الممدوح الموعود بوجوده في آخر الزمان يكون أصل ظهوره وخروجـه من ناحيـة المشرق ، ويبايع له عند البيت كما دلت على ذلك بعض الأحاديث(١) .

د ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم»(٢) .

هـ ـ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ، ظاهرين إلى يوم القيامة» إلى أن قال: «فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام ، فيقول أميرهم: صل بنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة»(٣) .

والأحاديث التي وردت في الصحيحين تدل على أمرين:

أحدهما: أنه عند نزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام من السماء يكون المتولي لإمرة المسلمين رجل منهم .

والثاني: أن حضور أميرهم للصلاة ، وصلاته للمسلمين ، وطلبه من عيسى عليه السلام عند نزوله أن يتقدم ليصلي لهم يدل على صلاح هذا الأمير وهداه ، وجاءت الأحاديث في السنن والمسانيد وغيرها مفسرة لهذه الأحاديث التي في الصحيحين ، ودالة على أن ذلك الرجل الصالح يسمى: محمد بن عبد الله ، ويقال له: المهدي ، والسنة يفسر بعضها بعضاً .

و ـ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «منا الذي عيسى ابن مريم يصلي خلفه»(٤) .

ز ـ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «المهدي مني:

---

(١) النهاية ، الفتن والملاحم (١/ ٣١) .

(٢) البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء (٦/ ٤٩١) مع الفتح .

(٣) مسلم ، كتاب الإيمان (٢/ ١٩٣) مع شرح النووي .

(٤) رواه أبو نعيم في أخبار المهدي ، صححه الألباني . صحيح الجامع (٥/ ٧١٧٠) .

أجلى الجبهة ، أقنى الأنف ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، ويملك سبع سنين»[١] .

ولا توجد أي صلة أو علاقة بين مهدي السنة ومهدي الشيعة الإمامية . وهناك بعض الفوارق بينهما ؛ منها :

* أن المهدي عند أهل السنة اسمه (محمد بن عبد الله) فاسمه يوافق اسم النبي ﷺ ، واسم أبيه يوافق اسم أبيه، أما مهدي الشيعة الإمامية، فاسمه محمد بن الحسن العسكري .

* أن المهدي عند أهل السنة من ولد الحسن رضي الله عنه ، ومهدي الشيعة الإمامية من ولد الحسين .

* أن المهدي عند أهل السنة تكون ولادته ومدة حياته طبيعية ، ولم يوجد في الأحاديث ما يدل على أنه يمتاز عن غيره من الناس بشيء من ذلك ، أما مهدي الشيعة الإمامية فإن حمله وولادته كانت في ليلة واحدة ، ودخل في السرداب وعمره تسع سنوات ، ومضى عليه الآن ما يزيد على ألف ومئة وثمان وسبعين سنة وهو في السرداب .

* أن المهدي عند أهل السنة يخرج لنصرة الإسلام والمسلمين ، ولا يفرق بين جنس وجنس ، وأما مهدي الشيعة الإمامية فيخرج لنصرة الشيعة الإمامية خاصة والانتقام من أعدائهم ، ويكره العرب وقريشاً فلا يعطيهم إلا السيف ، ولا يكون من أتباعه عربي ، كما دلت ذلك رواياتهم .

* أن مهدي السنة يحب صحابة النبي ﷺ ، ويترضَّى عنهم ، ويتمسك بسنتهم ، كما يحب أمهات المؤمنين ، ولا يذكرهن إلا بالثناء الحسن الجميل ، أما مهدي الشيعة الإمامية فيبغض أصحاب النبي ﷺ ويخرجهم من قبورهم ويعذبهم، ثم يحرقهم ـ على حد زعمهم ـ وكذلك يبغض أمهات المؤمنين، ويحدّ أحب نساء النبي ﷺ الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها، على حد زعمهم .

* أن مهدي أهل السنة يعمل بسنة النبي ﷺ فلا يترك سنة إلا أقامها ، ولا بدعة إلا قمعها ، أما مهدي الشيعة الإمامية فإنه يدعو إلى دين جديد وكتاب جديد .

* أن مهدي السنة يقيم المساجد ويعمرها ، وأما مهدي الشيعة الإمامية فيهدم

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب المهدي ، رقم ٤٢٦٥ .

المساجد ويخربها ، فيهدم المسجد الحرام والكعبة ، ومسجد النبي ﷺ ، ولا يبقي مسجداً واحداً على وجه الأرض ـ كما صرحوا بذلك في رواياتهم .

* أن مهدي السنة يحكم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، أما مهدي الشيعة الإمامية فيحكم بحكم آل داود .

* أن مهدي السنة يخرج من المشرق ، أما مهدي الشيعة الإمامية فيخرج من سرداب سامراء .

* أن مهدي السنة حقيقة ثابتة ، دلت عليها أحاديث النبي ﷺ ، وأقوال العلماء قديماً وحديثاً ، أما مهدي الشيعة الإمامية فوهم من الأوهام لم يخرج ولن يخرج في يوم من الأيام[١] .

* * *

(١) بذل المجهود (١/ ٢٥٦ ، ٢٥٧) .



عقيدة الرجعة عند الإمامية الاثني عشرية

الرجعة من أصول المذهب الشيعي ، فمن رواياتهم : ليس منا من لم يؤمن بِكَرَّتِنا[١] . وقال ابن بابويه في «الاعتقادات» : واعتقادنا في الرجعة أنها حق[٢] . وقال المفيد : واتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات[٣] . وقال الطبرسي والحر العاملي و غيرهما من شيوخ الشيعة : بأنها موضع إجماع الشيعة الإمامية[٤] ، وأنها من ضروريات مذهبهم ، وأنهم : مأمورون بالإقرار بالرجعة واعتقادها ، وتحديد الاعتراف بها في الأدعية والزيارات ويوم الجمعة وكل وقت كالإقرار بالتوحيد والنبوة والإمامة والقيامة[٥] .

ومعنى **الرجعة** : الرجوع إلى الدنيا بعد الموت[٦] ، وقد ذهبت فرق شيعية كثيرة إلى القول برجوع أئمتهم إلى هذه الحياة ، ومنهم من يقر بموتهم ثم رجعتهم ، ومنهم من ينكر موتهم ويقول بأنهم غابوا وسيرجعون ، وكان أول من قال بالرجعة ابن سبأ ، إلا أنه قال : بأنه غاب وسيرجع ولم يصدق بموته .

وكانت عقيدة الرجعة خاصة برجعة الإمام عند السبئية ، الكيسانية وغيرها ، ولكنها صارت عند الاثني عشرية عامة للإمام وكثير من الناس ، ويشير الآلوسي إلى أن تحول مفهوم الرجعة عند الشيعة من رجعة الإمام فقط إلى ذلك المعنى العام كان في القرن الثالث[٧] .

---

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١٠٣) .
(٢) الاعتقادات ، ص ٩٠ .
(٣) أوائل المقالات ، ص ٥١ .
(٤) مجمع البيان (٥/ ٥٢) ، الإيقاظ من الهجمة ، ص ٣٣ .
(٥) المصدر السابق نفسه ص ٦٤ .
(٦) القاموس (٣/ ٢٨) ؛ مجمع البحرين (٤/ ٣٣٤) .
(٧) روح المعاني (٥/ ٢٧) ؛ ضحى الإسلام ، أحمد أمين (٣/ ٢٣٧) .

وأما المفهوم العام لمبدأ الرجعة عند الاثني عشرية فهو يشمل ثلاثة أصناف :

١ ـ الإئمة الإثني عشر ، حيث يخرج المهدي من مخبئه ، ويرجع من غيبته ، وباقي الأئمة يحيون بعد موتهم ويرجعون لهذه الدنيا .

٢ ـ ولاة المسلمين الذين اغتصبوا الخلافة ـ في نظرهم ـ من أصحابها الشرعيين (الأئمة الاثني عشر) ، فيبعث خلفاء المسلمين وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر وعثمان . . ومن قبورهم يرجعون لهذه الدنيا ـ كما يزعم الشيعة الإمامية ـ للاقتصاص منهم بأخذهم الخلافة من أهلها ، فتجري عليهم عمليات التعذيب والقتل والصلب .

٣ ـ عامة الناس ، ويخص منهم : من محض الإيمان محضاً ، وهم الشيعة عموماً ، ولأن الإيمان خاص بالشيعة الإمامية ، كما تتفق على ذلك رواياتهم وأقوال شيوخهم ومن محض الكفر محضاً ، وهم كل الناس ما عدا المستضعفين[(١)] .

ولهذا قالوا في تعريف الرجعة : إنها رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة[(٢)] ، وعودتهم إلى الحياة بعد الموت[(٣)] في صورهم التي كانوا عليها[(٤)] .

واتجه شيوخ الشيعة الإمامية إلى كتاب الله سبحانه ليأخذوا منه الدليل على ثبوت الرجعة التي يتفردون بها عن سائر المسلمين، ولما لم يجدوا بغيتهم تعلقوا كعادتهم بالتأويل الباطني، وركبوا متن الشطط، وتعسفوا أيما تعسف في هذا السبيل، حتى أصبح استدلالهم حجة عليهم ، ودليلاً على زيف معتقدهم ، وبرهاناً على بطلان مذهبهم .

وإليك مثال على تفسيرهم للآيات : ويرى شيخ المفسرين عندهم أن من أعظم الأدلة على الرجعة قوله سبحانه : ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٥] ؛ حيث يقول ما نصه : هذه الآية من أعظم الأدلة على الرجعة ، لأن أحداً من أهل الإسلام لا ينكر أن الناس كلهم ـ يرجعون ـ يوم القيامة من هلك ومن لم يهلك[(٥)] ، ومع أن الآية حجة عليهم ، فهي تدل على نفي الرجعة على الدنيا ، إذ معناها كما صرح به ابن عباس

(١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١٠٥) .
(٢) أوائل المقالات ، ص ٥١ .
(٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١٠٥) .
(٤) أوائل المقالات ، ص ٩٥ .
(٥) تفسير القمي (٢/ ٧٦) ، وضع عنوان في أعلى الصفحة : أعظم دليل على الرجعة .

وأبو جعفر الباقر وقتادة وغير واحد: حرام على أهل كل قرية أهلكوا بذنوبهم أنهم يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة[١] ، وهذا كقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٣١] وقوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٥٠] ، وزيادة (لا) هنا لتأكيد معنى النفي من (حرام) ، وهذا من أساليب التنزيل البديعة ، وقد بلغت النهاية في الدقة.

وسر الإخبار بعد الرجوع مع وضوحه ، هو الصدع بما يزعجهم ويؤسفهم ، وفوات أمنيتهم الكبرى وهي حياتهم الدنيا[٢] ، وإذا كان المقصود إثبات الرجعة فيه رجعة للناس ليوم القيامة بلا ريب[٣] أي ممتنع البتة عدم رجوعهم إلينا للجزاء[٤].

إن فكرة الرجعة عند الشيعة الإمامية بعد الموت مخالفة صريحة لنص القرآن الكريم ، وباطلة بدلالة آيات عديدة من كتاب الله سبحانه ، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠] ، فقوله سبحانه: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ صريح في نفي الرجعة مطلقاً[٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧ ـ ٢٨].

فهؤلاء جميعاً يسألون الرجوع عند الموت ، وعند العرض على الجبار جل في علاه ، وعند رؤية النار يجابون ، لما سبق في قضائه: أنهم إليها لا يرجعون.

ولذلك عد أهل العلم القول بالرجعة إلى الدنيا بعد الموت من أشد مراحل الغلو في بدعة التشيع[٦] ، وقد جاء في مسند أحمد أن عاصم بن ضمرة: وكان من أصحاب علي رضي الله عنه قال للحسن بن علي: إن الشيعة يزعمون أن علياً يرجع. قال الحسن: كذب

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٠٥).

(٢) تفسير القاسمي (١١/ ٢٩٣).

(٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١١٢).

(٤) فتح القدير (٣/ ٤٢٦).

(٥) مختصر التحفة ، ص ٢٠١.

(٦) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١٢٢).

أولئك الكذابون ، ولو علمنا ذاك ما تزوج نساؤه ، ولا قسمنا ميراثه[١] .

والقول بالرجعة بعد الموت على الدنيا لمجازاة المسيئين وإثابة المحسنين ينافي طبيعة هذه الدنيا ، وأنها ليست دار جزاء : ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران : ١٨٥] .

وقد كان لابن سبأ دور التأسيس لمبدأ الرجعة ، إلا أنها رجعة خاصة بعلي ، كما أنه ينفي وقوع الموت عليه أصلاً كحال الإمامية الاثني عشرية مع مهديهم الذي يزعمون وجوده ، وعقيدة الرجعة عند الشيعة الإمامية خلاف ما علم من الدين بالضرورة من أنه لا حشر قبل يوم القيامة ، وأن الله كلما توعد كافراً أو ظالماً إنما توعده بيوم القيامة ، كما أنها خلاف الآيات والأحاديث المتواترة المصرحة بأنه لا رجوع إلى الدنيا قبل يوم القيامة[٢] .

❊ ❊ ❊

(١) مسند أحمد (٢/ ٣١٢) ، قال أحمد شاكر : إسناده صحيح .

(٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١٢٤) .



قول الإمامية بالبداء على الله سبحانه وتعالى

من أصول الإمامية الاثني عشرية القول بالبداء على الله سبحانه وتعالى ، حتى بالغوا في أمره فقالوا : ما عبد الله بشيء مثل البداء[1] ، وما عظم الله عز وجل بمثل البداء[2] ، ولو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا من الكلام فيه[3] ، وما بعث الله نبياً قط إلا بتحريم الخمر ، وأن يقر الله بالبداء[4] .

ويبدو أن الذي أرسى هذا المعتقد عند الاثني عشرية هو الملقب عندهم بثقة الإسلام ، وهو شيخهم الكليني (ت ٣٢٨ أو ٣٢٩ هـ) ؛ حيث وضع هذا المعتقد في قسم الأصول من (الكافي) ، وجعله ضمن كتاب التوحيد ، وخصص له باباً بعنوان (باب البداء) ، وذكر فيه ستة عشر حديثاً من الأحاديث المنسوبة للأئمة[5] .

وإذا رجعتَ إلى اللغة العربية لتعريف معنى البدء تجد أن «القاموس» يقول : بدا بدواً بداءة : ظهر . وبدا له في الأمر بدواً وبداء وبداة : نشأ له فيه رأي[6] ، فالبداء في اللغة له معنيان :

١ ـ الظهور بعد الخفاء ؛ تقول : بدا سور المدينة ، أي : ظهر .

٢ ـ نشأة الرأي الجديد . قال الفراء : بدا لي بداء ، أي : ظهر لي رأي آخر ، قال

---

(١) أصول الكافي (١/ ١٤٦) .
(٢) المصدر السابق نفسه .
(٣) المصدر السابق نفسه (١/ ١٤٨) .
(٤) المصدر السابق نفسه .
(٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١٣٣) .
(٦) القاموس المحيط (٤/ ٣٠٢) .

الجوهري: بدا له في الأمر بداء أي: نشأ له فيه رأي[١]. وكلا المعنيين وردا في القرآن، فمن الأول قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، ومن الثاني قوله: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُاْ ٱلْأٓيَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴾ [يوسف: ٣٥]، وواضح أن البداء بمعنييه يستلزم سبق الجهل وحدوث العلم، وكلاهما محال على الله سبحانه، ونسبته إلى الله سبحانه من أعظم الكفر، فكيف تجعل الشيعة الاثني عشرية هذا من أعظم العبادات وتدعي أنه ما عُظّم الله عز وجل بمثل البداء؟ سبحانك هذا بهتان عظيم[٢].

وهذا المعنى المنكر يوجد في كتب اليهود؛ فقد جاء في التوراة التي حرفها اليهود وفق ما شاءت أهواؤهم نصوص صريحة تتضمن نسبة معنى البداء إلى الله سبحانه[٣]، ويبدو أن ابن سبأ اليهودي قد حاول إشاعة هذه المقالة، التي أخذها من (توراته) في المجتمع الإسلامي الذي حاول التأثير فيه باسم التشيع، وتحت مظلة الدعوة إلى ولاية علي رضي الله عنه، ذلك أن فرق السبئية كلهم يقولون بالبداء، وأن الله تبدو له البداوات[٤]، ثم انتقلت هذه المقالة إلى فرقة (الكيسانية) أو المختارية أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي، وهي الفرقة التي اشتهرت بالقول بالبداء والاهتمام به، والتزامه عقيدة[٥].

وكان شيوخ الشيعة الإمامية يُمَنُّون أتباعهم بأن الأمر سيعود إليهم، والدولة ستكون لهم، حتى إنهم حددوا ذلك بسبعين سنة في رواية نسبوها لأبي جعفر، فلما مضت السبعون ولم يتحقق شيء من تلك الوعود اشتكى الأتباع من ذلك فحاول مؤسسو المذهب الخروج من هذا المأزق بالقول بأنه قد بدا الله سبحانه ما اقتضى تغيير هذا الوعد[٦].

وقد دل القرآن الكريم على إثبات صفة العلم لله تعالى، وعلى بطلان ما نسبته الشيعة الإمامية من عقيدة البداء لله؛ التي أفضت إلى نسبة الجهل إليه تعالى.

---

(١) الصحاح (٦/ ٢٢٧٨)؛ لسان العرب (١٤/ ٦٦).
(٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١٣٥).
(٣) المصدر السابق نفسه (٢/ ١١٣٦).
(٤) التنبيه والرد للملطي، ص ١٩.
(٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١٣٦).
(٦) تفسير العياشي (٢/ ٢١٨)؛ بحار الأنوار (٤/ ٢١٤).

والآيات الدالة على إثبات صفة العلم لله تعالى كثيرة ؛ منها قوله تعالى : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٥٩ ـ ٦٠].

وقال تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: قد دلت هذه الآية على وجوب علمه بالأشياء من وجوه انتظمت . . . لأهل النظر والاستدلال القياسي العقلي :

أحدها: أنه خالق لها ، والخلق هو الإبداع بتقدير ، ذلك يتضمن تقديرها في العلم قبل تكونها في الخارج .

الثاني: أن ذلك مستلزم للإرادة المشيئة ، والإرادة مستلزمة لتصور المراد والشعور به .

الثالث: أنها صادرة عنه ، وهو سببها التام ، والعلم بأصل الأمر وسببه يوجب العلم بالفرع المسبب ، فعلمه بنفسه مستلزم بكل ما يصدر عنه .

الرابع: أنه في نفسه لطيف يدرك الدقيق ، خبير يدرك الخفي ، وهذا هو مقتضى العلم ، بالأشياء مستغنٍ بنفسه عنها ، كما هو غني بنفسه في جميع صفاته[١] ، وقد دلت الآيات كذلك على تقدير الله تعالى للكون قبل أن يخلقه ، وذلك بناء على علمه السابق بهذا الكون قبل وجوده ، قال تعالى : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] ، وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٢ ـ ٣].

فهذه الآيات الكريمات فيها أعظم رد على الشيعة الإمامية الذين زعموا: أن الله تعالى لا يعلم الحوادث إلا بعد حدوثها ، وأنه قد يأمر بأمر ثم يتغير رأيه بناء على تجديد المصلحة ، فالله تعالى قبل أن يخلق هذا الخلق قدره ، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره ولا تدبيره ، ولا يتجاوز ما كتب الله في اللوح المحفوظ قبل خلق المخلوقات ووجود الكائنات ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون[٢] .

وقد دلت السنة على إثبات صفة العلم لله تعالى ، روى البخاري: أن رسول الله ﷺ

---

(١) الفتاوى (٢/ ٢١١).

(٢) بذل المجهود (١/ ٣٤٠).

قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»[١]، وهذه الأمور التي جاءت في الحديث أمور مستقبلية دل الحديث على علم الله بها قبل حدوثها .

وقال النبي ﷺ: «قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»[٢].

وقد جاءت في كتب الشيعة في ذلك الركام الهائل من الأباطيل روايات قد تكون وثيقة الصلة بعلماء آل البيت؛ لأنها تعبر عن المعنى الحق وهو ما يليق بأولئك الصفوة، وقد تكون من آثار الشيعة المعتدلة، فعن منصور بن حازم قال سألت أبا عبد الله ـ عليه السلام ـ: يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله تعالى بالأمس؟ قال: من قال هذا فأخزاه الله، قلت: أرأيت ما كان وما هو كائن إلى اليوم القيامة أليس في علم الله؟ قال: بلى، قبل أن يخلق الخلق[٣].

* * *

---

(١) البخاري، رقم ٤٦٩٧.

(٢) مسلم، رقم ١٦.

(٣) التوحيد لابن بابويه، ص ٣٣٤؛ أصول الكافي (١/ ٤٨)، رقم ١٠.



موقف أهل البيت من غلاة الشيعة

أئمة أهل البيت كسائر أهل السنة في موقفهم من غلاة الشيعة ومن عقائدهم ، فهم يعتقدون ضلالهم وانحرافهم عن السنة ، وبعدهم عن الحق ، وهم من أشد الناس ذماً ومقتاً لهم وذلك لنسبتهم تلك العقائد الفاسدة إليهم ، وكثرة افترائهم عليهم ، وقد تعددت عبارات أهل البيت وتنوعت في ذم غلاة الشيعة ، وبراءتهم من عقيدتهم ، فمما جاء عنهم في براءتهم من عقائد غلاة الشيعة ، وتأصيلهم عقيدة أهل السنة[١] :

١ ـ ما ثبت عن علي رضي الله عنه:

وتواتر عنه أنه قال وهو على منبر الكوفة : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ـ رضي الله عنهما[٢] .

وعنه رضي عنه قال : لا يفضلني أحد على الشيخين إلا جلدته حد المفتري[٣] .

وفي «الصحيحين» أنه قال في حق عمر : ما خلَّفْت أحداً أحب إلي من أن ألقى الله بمثل عمله منك ، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك ، وذلك أني كنت أسمع كثيراً رسول الله ﷺ يقول : «ذهبت أنا و أبو بكر وعمر . . . » وإن كنت لأظن أن يجعلك الله معهما[٤] .

وهذه الآثار ـ الثابتة عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه تناقض عقيدة الشيعة الإمامية في الشيخين ، كما تقدم ، وتدل على براءة علي ـ رضي الله عنه ـ من الشيعة الإمامية ومن

---

(١) الانتصار للصحب والآل ، ص ١١٢ .
(٢) اللالكائي (٧/ ١٣٦٦ ـ ١٣٩٧) .
(٣) السنة لابن أبي عاصم ، ص ٥٦١ .
(٤) البخاري ، رقم ٣٦٨٥ .

عقيدتهم ، وتوليه للشيخين وسائر أصحاب النبي ﷺ وحبه لهم ـ كما بينا سابقاً ـ ، وإقراره للشيخين بالفضل عليه ، وعقوبته من فضله عليهما ، وتمنيه أن يلقى الله بمثل عمل عمر ، فرضي الله عنه وعن سائر أصحاب النبي الطيبين المطهرين، من كل ما ينسبه إليهم أهل البدع من الشيعة الإمامية والخوارج .

ثم من بعد علي ـ رضي الله عنه ـ جاءت أقوال أبنائه، وأهل بيته، في البراءة من غلاة الشيعة ومن عقيدتهم وانتقادهم لعقيدة أهل السنة[١] .

٢ ـ قول الحسن بن علي ـ رضي الله عنه ـ:

عن عمرو بن الأصم قال: قلت للحسن: إن الشيعة تزعم أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة قال: كذبوا والله ، ما هؤلاء بالشيعة ؛ لو علمنا أنه مبعوث ، ما زوجنا نساءه ، ولا اقتسمنا ماله[٢] .

وروى أبو نعيم : قيل للحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ: إن الناس يقولون: إنك تريد الخلافة ، قال: كانت جماجم العرب في يدي ، يحاربون من حاربت ، ويسالمون من سالمت ، فتركتها ابتغاء وجه الله ، وحقن دماء أمة محمد ﷺ[٣] .

٣ ـ قول الحسين بن علي ـ رضي الله عنهما ـ:

كان يقول في شيعة العراق ـ الذين كاتبوه ووعدوه بالنصر ، ثم تفرقوا عنه ، وأسلموه إلى أعدائه ـ: «اللهم إن أهل العراق غروني ، وخدعوني ، صنعوا بأخي ما صنعوا ، اللهم شتت عليهم أمرهم ، وأحصهم عدداً»[٤] .

ثم كان نتيجة غدرهم وخذلانهم له استشهاده ـ رضي الله عنه ـ هو وعامة من كان معه من أهل بيته ، بعد أن تفرق عنه هؤلاء الخونة ، فكان مقتله ـ رضي الله عنه ـ معيبة عظيمة ، ومأساة جسيمة يتفطر لها قلب كل مسلم[٥] .

٤ ـ قول علي بن الحسين ـ رحمه الله ـ:

ثبت عنه أنه قال: يا أهل العراق أحبونا حب الإسلام ، ولا تحبونا حب الأصنام ، فما

---

(١) الانتصار للصحب والآل ، ص ١١٤ .
(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٣) .
(٣) حلية الأولياء (٢/ ٣٧) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٠٢) .
(٥) المصدر السابق نفسه .

زال بنا حبكم حتى صار علينا شيناً[١] .

وعنه رحمه الله ، أنه جاءه نفر من أهل العراق ، فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان ـ رضي الله عنهم ـ ، فلما فرغوا قال لهم: ألا تخبروني أنتم المهاجرون الأولون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون؟ قالوا: لا ، قال: فأنتم الذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه ، فأولئك هم المفلحون؟

قالوا: لا .

قال: أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] اخرجوا فعل الله بكم[٢]!! .

٥ ـ قول محمد بن علي (الباقر):

عن محمد بن علي أنه قال: أجمع بنو فاطمة على أن يقولوا في أبي بكر وعمر أحسن ما يكون من القول[٣] .

وعنه ـ رحمه الله ـ أنه قال لجابر الجعفي: إن قوماً بالعراق يزعمون أني أمرتهم بذلك؛ فأخبرهم أني أبرأ إلى الله تعالى منهم ، والله بريئ منهم ، والذي نفس محمد بيده لو وليت ، لتقربت إلى الله بدمائهم ، لا نالتني شفاعة محمد إن لم أكن أستغفر الله لهما ، وأترحم عليهما ، إن أعداء الله غافلون عنهما[٤] .

وعن بسام الصيرفي قال: سألت أبا جعفر عن أبي بكر وعمر فقال: والله إني لأتولاهما ، وأستغفر لهما . وما أدركت أحداً من أهل بيتي إلا وهو يتولاهما[٥] .

---

(١) المصدر السابق نفسه (٤/ ٣٩٠) .
(٢) الحلية (٣/ ١٣٧) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٠٦) .
(٤) الاعتقاد للبيهقي ، ص ٣٦١ .
(٥) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٠٣) .

٦ ـ قول زيد بن علي ـ رحمه الله ـ:

عن زيد بن علي أنه قال: كان أبو بكر إمام الشاكرين. ثم تلا: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ثم قال: البراءة من أبي بكر هي البراءة من علي[١] رضي الله عنهما ـ فإن شئت فتقدم، وإن شئت فتأخر[٢].

٧ ـ قول جعفر بن محمد (الصادق):

عن عبد الجبار بن عباس الهمداني: أن جعفر بن محمد أتاهم وهم يريدون أن يرتحلوا من المدينة فقال: إنكم إن شاء الله من صالحي أهل مصركم، فأبلغوا عني من زعم أني إمام معصوم مفترض الطاعة، فأنا منه بريء[٣]، ومن زعم أني أبرأ من أبي بكر وعمر، فأنا منه بريئ.

وعن سالم بن أبي حفصة قال: سألت أبا جعفر وابنه جعفر عن أبي بكر وعمر فقال: يا سالم تولهما وابرأ من عدوهما، فإنهما كانا إمامي هدى، ثم قال جعفر: أيسب الرجل جده؟! أبو بكر جدي، لا نالتني شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما[٤].

وعن جعفر بن محمد أنه كان يقول: ما أرجو من شفاعة علي شيئاً، إلا وأنا أرجو من شفاعة أبي مثله، لقد ولدني مرتين[٥].

وعنه ـ رحمه الله ـ: أنه سئل عن أبي بكر وعمر فقال: إنك تسألني عن رجلين قد أكلا من ثمار الجنة[٦]. ـ وعنه أنه قال: بريء الله ممن تبرأ من أبي بكر وعمر[٧].

قال الذهبي معقباً على هذا الأثر: قلت: هذا القول متواتر عن جعفر الصادق، أشهد بالله إنه لبار في قوله غير منافق لأحد، فقبح الله الرافضة[٨].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٧/ ١٣٠٢).
(٢) النهي عن سب الأصحاب للمقدسي، ص ٧٥.
(٣) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٥٩).
(٤) المصدر السابق نفسه (٦/ ٢٥٨).
(٥) المصدر السابق نفسه (٦/ ٢٥٥).
(٦) الانتصار للصحب والآل، ص ١١٩.
(٧) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٦٠).
(٨) المصدر السابق نفسه.

فهذه هي أقوال أئمة أهل البيت ، الطيبين الطاهرين ، الذين تدعي الشيعة الإمامية إمامتهم وولايتهم ، وينسبون إليهم عقيدتهم موضحة ومبينة موقفهم من الشيعة الإمامية ، ومن دينهم ، وبراءتهم منهم ومن كل ما يفعلونه بهم من عقائدهم الفاسدة ، ومطاعنهم على خيار الصحابة ، وأمهات المؤمنين ، وأن هؤلاء الأئمة من أهل البيت على عقيدة السنة ، ظاهراً وباطناً ، في كل كبير وصغير ، فهي عقيدتهم التي بها يدينون ، عليها يوالون ويعادون ، وأن من نسب إليهم غير ذلك فهو كاذب عليهم ظالم لهم ، فرحمهم الله رحمة واسعة ، وأخزى الله من ألصق بهم الأكاذيب[١] .

* * *

---

(١) الانتصار للصحب والآل ، ص ١٢٠ .

الفصل الثالث عشر

التقريب بين أهل السنة والإمامية الاثني عشرية

لقد تبين لنا من خلال البحث مدى ما عند الشيعة الإمامية من ضلال وبدع وانحراف عن كتاب الله وسنة رسوله والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، ومدى الأخطار والأضرار الكبيرة التي احتوت عليها كتبهم المعتمدة في مجال التفسير والتوحيد والحديث وغيرها، وأنها تصيب المسلمين في صميم دينهم، وفي أصول اعتقادهم.

وكل دعوة تقريب تستلزم ضمناً الاعتراف بهذه الكتب التي لا يصل الكيد الاستشراقي والتبشيري إلى مستوى ما وصلت إليه من محاولات لتغيير دين الله وشرعه باسم الإسلام، بل إن الاستشراق والتبشير من معينها يرتوي، وعلى شبهاتها وأساطيرها يعتمد في إفساده وتآمره على الدين وأهله، ولهذا فإن هناك علاقة وثيقة، بل تشابهاً تاماً بين شبهات المستشرقين والمبشرين وآراء الشيعة الغلاة، وليس هذا بجديد، وهذه العلاقة تستحق أن يفرد لها رسالة علمية خاصة.

فمن قديم كان الأعداء يستخدمون (آراء) الشيعة الإمامية تكأة لهم في محاربة الإسلام وأهله، بل كان جنود الشيعة الإمامية أمضى سلاحاً في يد الأعداء، وكان التشيع الإمامي مأوى لكل من أراد هدم الإسلام من ملحد وحاقد وموتور، وأيام التاريخ مليئة بمؤامراتهم وخياناتهم ومؤازرتهم للأعداء، ومن أبرز الأسباب في ذلك: أن هؤلاء الشيعة الإمامية لا يؤمنون بشرعية أي حكومة إسلامية إلا حكومة الإمام المنتظر الذي غاب أكثر من أحد عشر قرناً، ولهذا وجد الأعداء مدخلاً إلى قلوبهم من هذا الطريق[1].

قال ابن تيمية: وكثير منهم يواد الكفار من وسط قلبه أكثر من مودته للمسلمين، ولهذا لما خرج التتر الكفار من جهة المشرق، وقتلوا المسلمين، وسفكوا دماءهم ببلاد خراسان والعراق والشام والجزيرة وغيرها، كان غلاة الشيعة معاونة لهم على المسلمين، وكذلك من كانوا بالشام وحلب وغيرها من غلاة الشيعة كانوا من أشد الناس

---

(١) مسألة التقريب (٢/ ٢٦١ إلى ٢٧٨).

معاونة لهم على قتال المسلمين ، وكذلك النصارى الذين قاتلوا المسلمين بالشام كانت غلاة الشيعة من أعظم المعاونين لهم ، فهم دائماً يوالون الكفار من المشركين والنصارى ، ويعاونوهم على قتال المسلمين ومعاداتهم[(١)] .

ويكفي للتأكيد على ذلك شواهد تاريخية منها :

١ ـ مؤامرة ابن العلقمي الإمامي في إسقاط بغداد ٦٥٦ هـ:

وملخص الحادثة : أن ابن العلقمي كان وزيراً للخليفة العباسي المستعصم ، وكان الخليفة على مذهب أهل السنة ، كما كان أبوه وجده ، ولكن كان فيه لين وعدم تيقظ ، فكان هذا الوزير الإمامي يخطط للقضاء على دولة الخلافة ، وإبادة أهل السنة ، وإقامة دولة على مذهب الشيعة الإمامية ، فاستغل منصبه ، وغفلة الخليفة لتنفيذ مؤامراته ضد الخلافة ، وكانت خيوط مؤامراته تتمثل في ثلاث مراحل :

أ ـ المرحلة الأولى : إضعاف الجيش ، ومضايقة الناس ، حيث سعى في قطع أرزاق عسكر المسلمين ، وضعفتهم . قال ابن كثير : وكان الوزير ابن العلقمي يجتهد في صرف الجيوش ، وإسقاط اسمهم من الديوان ، فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريباً من مئة ألف مقاتل . . فلم يزل يجتهد في تقليلهم ، إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف[(٢)] .

ب ـ المرحلة الثانية : مكاتبة التتار ، يقول ابن كثير : ثم كاتب التتار وأطمعهم في أخذ البلاد ، وسهَّل عليهم ذلك ، وحكى لهم حقيقة الحال وكشف لهم ضعف الرجال[(٣)] .

ج ـ المرحلة الثالثة : النهي عن قتال التتار وتثبيط الخليفة والناس : فقد نهى العامة عن قتالهم[(٤)] ، وأوهم الخليفة وحاشيته أن ملك التتار يريد مصالحتهم ، وأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم ، ونصفه للخليفة ، فخرج الخليفة إليه في سبعمئة راكب من القضاة والفقهاء ، والأمراء

---

(١) منهاج السنة (٢/ ١٠٤) .
(٢) البداية والنهاية (١٣/ ٢٠٢) .
(٣) المصدر السابق نفسه .
(٤) منهاج السنة (٣/ ٣٨) .

والأعيان. فتم بهذه الحيلة قتل الخليفة ومن معه من قواد الأمة وطلائعها بدون أي جهد من التتر.

وقد أشار أولئك الملأ من الشيعة الإمامية على هؤلاء ألاّ يصالح الخليفة، وقال الوزير ابن العلقمي: متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عاماً أو عامين، ثم يعود الأمر إلى ما كانت عليه قبل ذلك، وحسنوا له قتل الخليفة، ويقال: إن الذي أشار بقتله الوزير ابن العلقمي، ونصير الطوسي(١)، وثم مالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشباب، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى، ومن التجأ إليهم، وإلى دار الوزير ابن العلقمي، وقد قتلوا من المسلمين بضعة عشر ألف ألف إنسان أو أكثر أو أقل، ولم يـر الإسلام ملحمـة مثل ملحمة التتر، وقتلوا الهاشميين، وسبـوا نساءهم من العباسيين؛ وغير العباسين؛ فهل يكون موالياً لآل رسول الله ﷺ من يسلط الكفار على قتلهم وسبيهم وعلى سائر المسلمين(٢).

وقتل الخطباء والأئمة، حملة القرآن، وتعطلت المساجد، والجماعات، مدة شهور ببغداد(٣).

وكان هدف ابن العلقمي: أن يزيل السنة بالكلية، وأن يظهر بدعته، وأن يبني لطائفته مدرسة هائلة ينشرون بها مذهبهم فلم يقدره الله على ذلك، بل أزال نعمته عنه وقصف عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة، وأتبعه بولده(٤).

٢ ـ الدولة الصفوية:

في الدولة الصفوية، والتي أسسها الشاه إسماعيل الصفوي: فرض التشيع الاثني عشرية على الإيرانيين قسراً، وجعل المذهب الرسمي لإيران، وكان إسماعيل قاسياً متعطشاً للدماء إلى حد لا يكاد يصدق(٥)، ويشيع عن نفسه أنه معصوم، وليس بينه وبين

---

(١) كان النصير الطوسي عند هولاكو قد استصحبه في خدمته، لما فتح قلعة ألاموت وانتزعها من أيدي الإسماعيلية. البداية والنهاية (١٣/ ٢٠١).

(٢) منهاج السنة (٣/ ٣٨).

(٣) البداية والنهاية (١٣/ ٢٠٣).

(٤) المصدر السابق نفسه (١٣/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣).

(٥) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق. علي الوردي، ص ٥٦.

المهدي فاصل، وأنه لا يتحرك إلا بمقتضى أوامر الأئمة الاثني عشر[١]، ولقد تقلد سيفه وأعمله في أهل السنة، وكان يتخذ سبَّ الخلفاء الثلاثة وسيلة لامتحان الإيرانيين، وقد أمر الشاه أن يعلن السب في الشوارع، والأسواق، وعلى المنابر منذراً المعاندين بقطع رقابهم، وكان إذا فتح مدينة أرغم أهلها على اعتناق التشيع الإمامي بقوة السلاح[٢].

ولقد آزر شيوخ الإمامية سلاطين الصفويين في الأخذ بالتشيع إلى مراحل من الغلو، وفرض ذلك على مسلمي إيران بقوة الحديد والنار، وكان من أبرز هؤلاء الشيوخ: شيخهم علي الكركي[٣]، الذي يلقبه الشيعة الإمامية بالمحقق الثاني، والذي قربه الشاه طهماسب، ابن الشاه إسماعيل، وجعله الآمر المطاع في الدولة، وكذلك كان من شيوخ الدولة الصفوية المجلسي، والذي شارك السلطة في التأثير على المسلمين في إيران حتى يقال بأن كتابه (حق اليقين) كان سبباً في تشيع سبعين ألف سني من الإيرانيين[٤]، والأقرب أن هذا من مبالغات الشيعة الإمامية، فإن الرفض في إيران لم يجد مكانه إلا بالقوة والإرهاب لا بالفكر والإقناع[٥].

ولا ينسى الجانب الآخر من أثر الدولة الصفوية، وذلك في حروبها لدولة الخلافة الإسلامية العثمانية، وتعاونها مع الأعداء من البرتغال ثم الإنجليز ضد المسلمين، وتشجيعها لبناء الكنائس ودخول المبشرين والقسس، مع محاربتهم للسنة وأهلها[٦].

هذه بعض آثار دولهم وأفرادهم في هذا المجال، ومن كلمات ابن تيمية ـ رحمه الله ـ الخالدة والمهمة في هذا الموضوع والتي إذا طبقتها على الواقع، وإذا استقرأت من خلالها وقائع التاريخ رأيت صدقها كالشمس قوله ـ رحمه الله ـ: فلينظر كل عاقل فيما يحدث في زمانه، وما يقرب من زمانه من الفتن والشرور والفساد في الإسلام؛ فإنه يجد معظم ذلك من قبل الشيعة الإمامية، وتجدهم من أعظم الناس فتناً وشراً، وأنهم لا يقعدون عما يمكنهم من الفتن والشرور وإيقاع الفساد بين الأمة[٧]. ونحن قد علمنا

(١) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، كامل الشيبي، ص ٤١٣.
(٢) أصول الشيعة الإمامية (٣/ ١٤٧٥).
(٣) المصدر السابق نفسه (٣/ ١٤٧٦).
(٤) عقيدة الشيعة، دونلدسن، ص ٣٠٢.
(٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١٤٧٨).
(٦) المصدر السابق نفسه.
(٧) منهاج السنة (٣/ ٢٤٣).

بالمعاينة والتواتر أن الفتن والشرور العظيمة التي لا تشابهها فتن ، إنما تخرج عنهم[١] .

فمع من نتحد يا معشر أهل السنة؟ أمع من يطعن في قرآننا ، ويفسره على غير تأويله ، ويحرف الكلم عن مواضعه ، ويكفر الصديق والفاروق وأم المؤمنين وأحب نسائه إليه عائشة رضي الله عنها وطلحة والزبير وغيرهم من أجلة الصحابة رضوان الله عليهم، ويخادع المسلمين باسم التقية[٢]؟! .

٣ ـ من التجارب المعاصرة في التقريب:

أ ـ تجربة مصطفى السباعي :

بذل الدكتور مصطفى السباعي عدة مساعٍ مع بعض علماء الشيعة الإمامية في مسألة التقريب ، وسعى لعقد مؤتمر إسلامي لدراسةً السبل الكفيلة لإرساء دعائم الألفة والمودة والتقارب بين الفريقين ، وكان يرى من أكبر العوامل في التقريب أن يزور علماء الفريقين بعضهم بعضاً ، وأن تصدر ـ الكتب والمؤلفات التي تدعو إلى التقارب ، وكما يرى عدم إصدار الكتب التي تثير ثائرة أحد الطرفين .

وقام مصطفى السباعي بزيارة أحد مراجع الشيعة الإمامية الكبار ، ومن يعتبر عندهم من أكبر دعاة الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب ، والدعوة إلى توحيد الصف ، وجمع الكلمة ؛ وهو شيخهم عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي ، فألفاه متحمساً لهذه الفكرة ومؤمناً بها ، واتفق معه على عقد مؤتمر إسلامي بين علماء السنة والشيعة الإمامية لهذا الغرض ، كما قام السباعي بزيارة وجوه الشيعة من سياسيين وتجار وأدباء للغرض نفسه ، وخرج من هذه الاتصالات فرحاً جذلاً لحصوله على تلك النتائج ، وما كان يخطر ببال السباعي رحمه الله أو يدور بخلده ما تنطوي عليه نفوس القوم من أهداف ، وما يرمون إليه من وراء دعوته التقريب من خطط ، حتى فوجئ السباعي ـ كما يقول ـ بعد فترة بأن هذا الموسوي المتحمس للتقريب قام بإصدار كتاب في أبي هريرة رضي الله عنه مليئ بالسباب والشتائم ، بل انتهى فيه إلى القول بأن أبا هريرة رضي الله عنه كان منافقاً كافراً ، وأن الرسول قد أخبر عنه بأنه من أهل النار[٣] .

---

(١) المصدر السابق نفسه (٣/ ٢٤٥) .

(٢) مسألة التقريب (٢/ ٢٨٠) .

(٣) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، ص ٩ .

ثم يقول السباعي : لقد عجبت من موقف عبد الحسين في كلامه وفي كتابه معاً ، ذلك الموقف الذي لا يدل على رغبة صادقة في التقارب ونسيان الماضي[١] .

ويذكر السباعي أن غاية ما قدم شيوخ الشيعة الإمامية تجاه فكرة التقريب هي جملة من المجاملة في الندوات والمجالس مع استمرار كثير منهم في سب الصحابة وإساءة الظن بهم ، واعتقاد كل ما يروى في كتب أسلافهم من تلك الروايات والأخبار[٢] .

ويذكر أنهم وهم ينادون بالتقريب لا يوجد لروح التقريب أثر لدى علماء الشيعة الإمامية في العراق وإيران، فلا يزال القوم مصرين على ما في كتبهم من ذلك الطعن الجارح والتصوير المكذوب لما كان بين الصحابة من خلاف، كأن المقصود من دعوة التقريب هي تقريب أهل السنة إلى مذهب الشيعة الإمامية[٣] .

ويذكر السباعي : أن كل بحث علمي في تاريخ السنة أو المذاهب الإسلامية لا يتفق مع وجهة نظر الشيعة الإمامية؛ يقيم بعض علمائهم النكير على من يبحث في ذلك، ويتسترون وراء التقريب، ويتهمون صاحب هذا البحث بأنه متعصب معرقل لجهود المصلحين في التقريب ، ولكن كتاباً ، ككتاب عبد الحسين شرف الدين في الطعن في أكبر صحابي موثوق في روايته للأحاديث في نظر أهل السنة يراه أولئك العائبون أو الغاضبون عملاً معرقلاً لجهود الساعين إلى التقريب ، ويقول: لست أحصر المثال بكتاب: «أبي هريرة» المذكور ، فهناك كتب تطبع في العراق وفي إيران ، وفيها من التشنيع على جمهور الصحابة ما لا يتحمل سماعه إنسان ذو وجدان وضمير ، مما يؤجج نيران التفرقة من جديد[٤] .

هذه تجربة الشيخ السباعي رحمه الله ومحاولته فشلت أمام تعصب شيوخ الشيعة الإمامية ، وإصرارهم في عدوانهم على خير جيل وجد في خير القرون[٥] .

لقد أصبح التقريب في مفهوم الشيعة الإمامية ، أن يتاح لهم المجال لنشر عقائدهم في ديار السنة ، وأن يستمروا في نيلهم من أصحاب رسول الله ﷺ ، وأن يسكت أهل السنة

(١) المصدر السابق نفسه ، ص ١٠ .
(٢) المصدر السابق نفسه ، ص ٩ ـ ١٠ .
(٣) المصدر السابق نفسه ، ص ٩ ـ ١٠ .
(٤) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، ص ١٠ .
(٥) مسألة التقريب (٢/ ١٩٨).

عن بيان الحق ، وإن سمع الإمامية الحق يعلو هاجوا وماجوا قائلين : إن الوحدة في خطر[١] .

ب ـ تجربة الشيخ موسى جار الله :

هذا الشيخ الجليل من علماء روسيا؛ فهو موسى بن جار الله التركستاني القازاني الروسي ، شيخ مشايخ روسيا في نهاية العصر القيصري وبداية الحكم السوفييتي ، كان صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في أمور مسلمي روسيا الذين كانوا يزيدون عن الثلاثين مليون نسمة ، ثم هبَّ عليه إعصار الشيوعية ، فأصبح بعيداً عن دياره وأهله ، له تأليف رسائل وكتب ، تنقل بين الهند والحجاز ومصر والعراق وإيران ، قال عن نفسه : كان بوسعي أن أعد كاتب روسيا الأول وأحد زعماء الطليعة فيها لو أنني تخليت عن إيماني ، ولكنني آثرت أن أشتري الآخرة بالدنيا[٢] .

حاول هذا العالم الجليل أن يجمع شمل الأمة ، وأن يوحد أهل السنة والشيعة ، وبذل جهوداً في هذا الجانب عظيمة ، فبدأ بدراسة كتب الشيعة وطالعها باهتمام ، كما يذكر أنه طالع (أصول الكافي وفروعه) (ومن لا يحضره الفقيه) ، وكتاب (الوافي) و(مرآة العقول) و(بحار الأنوار) و(غاية المرام) وكتب كثيرة وغير هذه الكتب[٣] ، ثم زار ديار الشيعة وعاش فيها أكثر من سبعة أشهر يزور معابدها ومشاهدها ومدارسها ، ويحضر محافلها وحفلاتها في العزاء والمآتم، ويحضر حلقات الدروس في البيوت والمساجد وصحونها ، والمدارس وحجرتها ، وأقام بالنجف أيام الحرم ، ورأى كل ما تأتي به الشيعة أيام العزاء ويوم عاشوراء .

وخرج هذا العالم بنتيجة علمية ، فرأى ببصيرته النافذة وعلمه الغزير أن نقد عقائد الشيعة وواقعها هو أول مرحلة من تأليف قلوب الأمة لا تأليف بدونها ، وكان أول مساعيه في التقريب لقاؤه مع شيخ الشيعة محسن الأمين في طهران ، وجرى بينهما بعض الحديث، ثم قدم له الشيخ موسى ورقة صغيرة كان تاريخ الرسالة ٢٦/٨/ ١٩٣٤ م وأرسل منها نسخة إلى علماء النجف ، وأخرى إلى علماء الكاظمية ، فكتب فيها : أقدم هذه المسائل لأساتذة النجف الأشرف بيد الاحترام ، بأمل الاستفادة بقلب سليم

---

(١) المصدر السابق نفسه .
(٢) المصدر السابق نفسه (٢/ ٢٠١) .
(٣) الوشيعة ، ص ١٩ ؛ مسألة التقريب (٢/ ١٩٩) .

صادق ، كله رغبة في تأليف عالمي الإسلام : الشيعة الإمامية الطائفة المحقة ـ يعني على زعمهم[١] ـ ، وعامة أهل السنة والجماعة ، راجياً إجابة الأساتذة جميعاً أو فرادى ، وكل ببيانه البليغ ، وبتوقيع يده مؤكداً بخاتمه ومهره ، ثم أورد في الرسالة ما في كتب الشيعة من أمور منكرة مشيراً إلى أرقام الصفحات في كل ما يذكره ، فذكر عدة قضايا خطيرة في كتب الشيعة الإمامية تحول بين الأمة والائتلاف مثل :

١ ـ تكفير الصحابة .

٢ ـ اللعنات على العصر الأول .

٣ ـ تحريف القرآن الكريم .

٤ ـ حكومات الدول الإسلامية وقضاتها وكل علمائها طواغيت في كتب الشيعة الإمامية .

٥ ـ كل الفرق الإسلامية كافرة ملعونة خالدة في النار إلا الشيعة الإمامية .

٦ ـ الجهاد في كتب الشيعة الإمامية مع غير الإمام المفترض طاعته حرام مثل حرمة الميتة وحرمة الخنزير ، ولا شهيد إلا الشيعة الإمامية ، والشيعي الإمامي شهيد ولو مات على فراشه ، والذين يقاتلون في سبيل الله من غير الشيعة الإمامية فالويل يتعجلون ! !

ثم قال الشيخ بعد ما نقل شواهد هذه المسائل من كتب الشيعة الإمامية المعتمدة مخاطباً شيوخ الشيعة الإمامية : هذه ست من المسائل ، عقيدة الشيعة الإمامية فيها يقين ، فهل يبقى لتوحيد كلمة المسلمين في عالم الإسلام من أمل وهذه عقيدة الشيعة الإمامية ؟ !

وهل يبقى بعد هذه المسائل ، وبعد هذه العقيدة لكلمة التوحيد في قلوب أهليها من أثر ؟ ! .

وهل يمكن أن يكون للأمم الإسلامية ، ولهم هذه العقيدة في سبيل غلبة الإسلام في مستقبل الأيام من سعي ؟ ! ثم أردف ذلك بمسائل منكرة أخرى مثل :

٧ ـ رد الشيعة لأحاديث الأمة ، ودعواهم أن كل ما خالف الأمة فيه الرشاد . ويرى أن هذا المبدأ هدم لدين الشيعة قبل أن يهدم دين الإسلام .

٨ ـ وما في كتب الشيعة من أبواب في آيات وسور نزلت في الأئمة والشيعة الإمامية ،

---

(١) مسألة التقريب (٢/ ٢٠٥).

وفي آيات وسور نزلت في كفر أبي بكر وعمر وكفر من اتبعهما .

٩ ـ وغلو الشيعة الإمامية في التقية .

١٠ ـ ثم ذكر أباطيل أخرى شنيعة في كتب الشيعة الإمامية مثل :

١١ ـ أن علياً أمير المؤمنين طلق عائشة فخرجت من كونها أم المؤمنين .

١٢ ـ أن القائم إذا يقوم يقيم الحد على عائشة انتقاماً لأمه ابنة النبي ﷺ فاطمة عليها وعلى أبيها وأولادها الصلاة والسلام .

١٣ ـ أن القائم إذا ظهر يهدم مساجد الإسلام .

١٤ ـ ثم ذكر أن دين الشيعة الإمامية روحه العداء ، وأن ما في كتب الشيعة الإمامية من حكايات العداء بين الصديق والفاروق ، وبين علي ؛ كلها موضوعة .

١٥ ـ وذكر أن كتب الشيعة تقول على لسان بعض الأئمة : إن الأمة وإن كانت لها أمانة وصدق ووفاء ، لا تكون مؤمنة لإنكارها الولاية .

١٦ ـ وأن الشيعة وإن لم يكن عندها شيء من الدين لا عتب لها ؛ لأنها تدين بولاية إمام عادل .

وذكر مسائل أخرى ثم قال: فتفضلوا أيها الأساتذة السادة بالإفادة حتى يتحد الإسلام ، وتجتمع كلمة المسلمين حول كتاب الله المبين .

فماذا كان جواب الشيعة الإمامية على هذه المسائل التي نقلتها من أمهات كتب الشيعة الإمامية عرضاً على سبيل الاستيضاح عملاً بأمر الله في كتابه : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل : ٤٣] [الأنبياء : ٧٠]، ثم انتظرت سنة وزيادة ولم أسمع جواباً من أحد إلا من كبير مجتهدي الشيعة بالبصرة قد قام بوظيفته وتفضل علي بكل أجوبته في كتاب تزيد صفحاته على تسعين ، بكلمات في الطعن في العصر الأول أشد وأجرح من كلمات كتب الشيعة الإمامية .

ثم كتب الشيخ موسى كتابه (الوشيعة في نقد عقائد الشيعة) بعد أن لم ير استجابة من شيوخ الشيعة الإمامية ، ويقول : إنني أدافع بذلك عن شرف الأمة وحرمة الدين ، وأقضي به حقوق العصر الأول عليَّ وعلى كل الأمة[1] .

---

(١) الوشيعة ، ص ٣٩ ، مسألة التقريب (٢/ ٢٠٨) .

وإذا كان الشيخ موسى جار الله يرى في نشره كتاب (الوشيعة) وفي نصحه لشيوخ الشيعة الإمامية أن ذلك أول تدبير في التأليف والتقريب؛ فإن شيوخ الشيعة الإمامية ترى أن ما كشفه الشيخ موسى يجب أن يكون دفيناً، ويستفزهم مثل هذا الكشف غاية الاستفزاز، والسبب في انزعاج شيوخ الشيعة الإمامية من أي كشف لما في كتبهم من أباطيل : أن في ذلك فضحاً لأغراضهم ومآربهم ، وكشفاً لاستغلالهم للجمهور البسطاء من الشيعة الإمامية دينياً باسم النيابة عن المعصوم المنتظر ، ومالياً باسم خمس هذا المنتظر[١] .

٤ ـ المنهج السليم للتقريب:

أ ـ هو أن يقوم علماء السنة بجهد كبير لنشر اعتقادهم الصحيح المنبثق من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وبيان صحته وتميزه عن مذاهب أهل البدع ، وكشف مؤامرات الشيعة الإمامية وأباطيلهم وما يستدلون به من كتب أهل السنة ، والرد على الشبهات الموجهة لأهل السنة بعلم وعدل وبرهان ، ولا بد من مصاحبة ذلك كله ببيان لانحرافات الشيعة الإمامية ، وكشف ضلالاتهم وأصولهم الفاسدة ، وإذا كان أئمة السنة قد شاركوا في ذلك فإنه يجب مضاعفة الجهد ، وأن يكون جهداً جماعياً مخططاً له .

إن المنهج الأصيل للتقريب هو بيان الحق وكشف الباطل ، وتقريب الشيعة الإمامية إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وفهم الإسلام الصحيح ، من خلال علماء أهل السنة وعلى رأسهم فقهاء وعلماء أهل البيت ؛ كأمير المؤمنين علي وأبنائه رضي الله عنهم وأحفاده من العلماء ، ولابد من الوقوف في وجه المد التوسعي الإمامي الذي يشين لأهل البيت الأطهار، والذي ينشط اليوم بشكل قوي في العالم الإسلامي، وفي أوربة وأمريكة، وحتى يجتمع المسلمون على كلمة سواء ـ ويعتصموا بحبل الله جميعاً ولا يتفرقوا .

وإذا كان لا يجدي مع بعض علماء الشيعة الإمامية الاحتجاج عليهم بالقرآن والسنة والإجماع ، وبيان الحق بهذه الأصول لمخالفتهم لأهل السنة ، في ذلك فلا يعني ذلك أن نتوقف عن بيان مذهب أهل السنة وصحته ، وبطلان مذهب الشيعة الإمامية وضلاله في تلك الأصول ، فذلك سيحد من انتشار ـ عقيدة الإمامية بين أهل السنة ـ بإذن الله تعالى ـ .

ب ـ وعلينا أن نبحث عما يكشف باطلهم من كتبهم نفسها، وهذا المنهج لم يسلكه علماؤنا المتقدمون الذين اهتموا بالرد على الإمامية ، وتفنيد حججهم ودحض دعواهم ، ولعل السبب في ذلك أن كتب القوم لم يكن لها ذلك الذيوع والانتشار ، وكانت موضع

---

(١) مسألة التقريب .

التداول الخاص بهم ، أو أن السبب أن هناك بعض كتبهم الأساسية قد وضعت من المتأخرين، ونسبت للمتقدمين أو زيد عليها في العصور المتأخرة (الدولة الصفوية) أياً كان السبب هذا أو ذاك أو جميعاً ؛ فإن كتب الإمامية اليوم قد انتشرت ، ودان بقدسيتها وآمن بصحتها الكثير من الشيعة الإمامية ؛ فهم لا يؤمنون إلا بما جاء فيها ولا يحتجون إلا بها ، ويردون بها السنة الصحيحة ، بل نصوص الكتاب الظاهرة ، بل منهم من يصدق أساطيرها التي تمسّ كتاب الله العظيم ، وتزعم الوحي للأئمة وعلم الغيب ، فليكن تصحيح وضع الشيعة الإمامية من كتبهم وكشف ضلالهم من روايتهم ومنطلق التقريب الصحيح من مدوناتهم[١] .

وقد قامت جهود مشكورة في هذا المجال، وظهرت بعض الكتب: كـ(الإمامة والنص)، فيصل نور ، (ثم أبصرت الحقيقة) ، محمد سالم الخضر ، و(أصول الشيعة الإمامية الاثني عشرية) ، د. ناصر عبد الله بن علي القفاري ، و(دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين) للدكتور أحمد جلي .

ج ـ إن هذا المسلك ينبغي أن يدرس بعناية واهتمام ؛ فإن القارئ لكتب الشيعة الإمامية يتلمس خيوطاً بيضاء وسط ركام هائل من الضلال ، ومن الممكن أن ينسج من هذه الخيوط العقيدة الحقة للأئمة ، الموافقة للكتاب والسنة الصحيحة من الضياع والتيه الذي يعيشونه ، وهذه الخيوط كما تشمل الأصول تشمل الفروع ، وعلى ذلك يمكن اللقاء والتقارب[٢] ، كما أنه ينبغي التنويه وتشجيع الأصوات الإصلاحية الشيعية الصادقة ، واحترامهم وتقديرهم والوقوف معهم في نصيحة أقوامهم ؛ كالذي قام به السيد حسين الموسوي في كتبه: (لله ثم للتاريخ) ، (كشف الأسرار وتبرئه الأئمة الأطهار) ، وكالجهد العلمي الذي قام به السيد أحمد الكاتب مشكوراً في كتاب (تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه) .

د ـ وعلينا أن نقف مع كل محب صادق لأهل البيت مقتفياً لآثارهم الصحيحة وهديهم الجميل في إرشاد الناس لكتاب الله وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام ، ونعاملهم بكل احترام وتقدير ، ونأخذ بأيديهم نحو شواطئ الأمان ، ونبين لهم أن القرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعريف أحكام الإسلام ، ويفهم القرآن الكريم طبقاً لقواعد

---

(١) مسألة التقريب (٢/ ٢٨٢ ، ٢٨٣).

(٢) مسألة التقريب (٢/ ٢٩٦).

اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف ، و يرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات[١] ، وأن كل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا المعصوم ﷺ ، وكل ما جاء عن السلف رضي الله عنهم موافقاً للكتاب والسنة قبلناه ، وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع ، ولكنا لا نعرض للأشخاص فيما اختلفوا فيه بطعن أو تجريح ، ونكلهم إلى نياتهم وقد أفضوا إلى ما قدموا[٢] .

هـ ـ وكل بدعة في دين الله لا أصل لها استحسنها الناس بأهوائهم سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه ضلالة تجب محاربتها[٣] ، والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي إلى ما هو شر منها ، ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم قربة إلى الله تبارك وتعالى .

و ـ والأولياء هم المذكورون في قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٦٣] ، والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية ، مع اعتقاد أنهم رضوان الله عليهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً في حياتهم أو بعد مماتهم ، فضلاً عن أن يهبوا شيئاً من ذلك لغيرهم[٤] .

ز ـ وزيارة القبور أيا كانت سنة مشروعة بالكيفية المأثورة، ولكن الاستعانة بالمقبورين وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد، والنذر لهم، وتشييد القبور وسترها والتمسح بها، والحلف بغير الله، وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها، ولا نتأول لهذه الأعمال سداً للذريعة[٥] .

ح ـ والعرف الخاطئ لا يغير من حقائق الألفاظ الشرعية ، بل يجب التأكد من حدود المعاني المقصود بها ، والوقوف عندها ، كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظي في كل نواحي الدنيا والدين ، فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء[٦] .

ط ـ والإسلام يحرر العقل ، ويبعث على النظر في الكون ، ويرفع قدر العلم

---

(١) النهج المبين لشرح الأصول العشرين ، د. عبد الله الوشلي ، ص ١٢٦ .
(٢) المصدر السابق نفسه ، ص ١٥٧ .
(٣) المصدر السابق نفسه ، ص ٢٤٣ .
(٤) المصدر السابق نفسه ، ص ٢٥٩ .
(٥) المصدر السابق نفسه ، ص ٢٧٩ .
(٦) المصدر السابق نفسه ، ص ٣٠٥ .

والعلماء ، ويرحب بالصالح والنافع من كل شيء ، والحكمة ضالة المؤمن أين وجدها فهو أحق الناس بها[١] .

ي ـ ولا نكفر مسلماً أقر بالشهادتين ، وعمل بمقتضاها ، وأدى الفرائض ، برأي أو معصية إلا إن أقر بكلمة الكفر ، أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة ، أو كذب صريح القرآن ، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال ، أو عمل عملاً لا يتحمل تأويلاً غير الكفر[٢] .

إن مثل هذه الأصول والمفاهيم تعين الناس عموماً في فهم الإسلام الصحيح المتمثل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ومنهج أهل السنة والجماعة ، الذي أصل لأصوله رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدون المهديون ومن سار على نهجهم من العلماء والفقهاء .

إن أهل الحق المتمسكين بنهج أهل السنة ليس عندهم بدع بحمد الله ، ومستندهم القرآن والسنة الصحيحة ، ولا يمكنهم التنازل عن شيء من ذلك مما قد يجعل الدين عرضة للمساومة ، وأما الشيعة الإمامية فعندهم من البدع الشيء الكثير ، لا يمنعهم شيء من التنازل عنها إلا التعصب واتباع الهوى والمصالح المادية لبعض شيوخهم المنحرفين عن هدى أمير المؤمنين علي وعلماء أهل البيت رضي الله عنهم جميعاً .

وذكر العلماء ـ أن أهل السنة عليهم إنكار بدع المبتدعة ، وإن كان المبتدع متعبداً بها معتقداً صوابها ، ولا بأس أن نقيد إنكارنا على هذه البدع بالقيد المصلحي وفق قاعدة الترجيح بين المفاسد ، والمصالح المتعارضة بأن يحتمل المفسدة اليسيرة من أجل درء المفسدة الكبيرة ، ونحتمل تفويت المعروف الأصغر حرصاً على جلب المعروف الأكبر ، وهذه قاعدة صحيحة عند الفقهاء ، والعمل بهذه القاعدة قد يجعلنا نسكت عن إنكار بدعة الشيعة الإمامية في وقت من الأوقات ، أو في مكان من الأمكنة ؛ سداً للذريعة ، وخروجاً عن أصل الإنكار إذا كان الإنكار يؤدي إلى هياج الفتن وإراقة الدماء والاقتتال بين أهل بلد يتكافأ فيه عدد الشيعة الإمامية مع عدد أهل السنة ، وأما في الأحوال الاعتيادية التي لا تكون هناك مفسدة تصاحب هذا الإنكار يكون مستساغاً أو واجباً[٣] .

وعلى علماء أهل السنة أن يلتزموا أسلوب البحث العلمي الهادي في مناقشة بدع

---

(١) المصدر السابق نفسه ، ص ٣٢٣ .

(٢) المصدر السابق نفسه ، ص ٣٤٣ .

(٣) مسألة التقريب (٢/ ٣٦٠) .

المبتدعة ، وأن يترفَّقوا معهم ، وقد يكون من تمام الترفق زيارتهم ومعاونتهم في الحدود التي لا خلاف فيها ، أو نجدتهم في الملمات وأيام المصاعب ، أو نصرهم إذا كانوا في نزاع مع كافر أو ظالم ، وفق السياسة الشرعية الخاضعة للمصالح والمفاسد، إلا أن هذا الأصل في التعاون وحسن العلاقة وهدوء البحث لا يمكن أن يطَّرد دائماً ليشمل من يأتي من الشيعة الإمامية بغلو قد يكون في السكوت عنه تحريك الغوغاء والدهماء، بل الواجب أن ننكر على أهل الغلو الشديد، والأقوال الشاذة في كل الأحوال.

والحد المميز بين الطائفتين: الأولى التي نترفق معها في الكلام : والثانية التي نغلظ لها الكلام ، إنما يكون كامناً في مدى اعتماد القائل على نص شرعي تكون من شبهة له ، أو على تأويل قد تميل إليه بعض الأذهان. وأما من يتبع غرائب النقول عن المجاهيل والمتأخرين ، ومن لا تأويل له ؛ فالإنكار ـ من تجاهه أولى. وربما كان الإغلاظ له أوجب[١] .

إن أهل الحل والعقد من أهل السنة في المجتمعات الطائفية هم الذين يقدرون المواقف السياسية ، والتحالفات الحزبية مع الطوائف الأخرى وفق فقه المصالح والمفاسد الذي تضبطه قواعد السياسية الشرعية ، وهذا لا يمنع العلماء والدعاة من تعليم المسلمين أصول منهج أهل السنة وتربيتهم عليه ، والتحذير من العقائد المنحرفة المندسة في أوساط المسلمين ، حتى لا يتأثروا بتلك الأفكار الفاسدة التي يجتهد دعاتها في نشرها بالليل والنهار ـ والسر والإعلان بدون ملل ولا كلل ، ولقد قام رسول الله ﷺ إبان هجرته للمدينة بعقد المعاهدات مع اليهود التي تؤمن لهم حياة كريمة في ظل الدولة الإسلامية ، وكان القرآن الكريم في نفس الوقت يتحدث عن عقائد اليهود وتاريخهم وأخلاقهم حتى يعرف المسلمون حقيقة الشخصية اليهودية فلا ينخدعوا بها .

❋ ❋ ❋

---

(١) المصدر السابق نفسه (٢/ ٣٦١).





فهرس الموضوعات

مدخل

التطور العقدي للشيعة عبر الزمن

الإمامة عند الإمامية الاثني عشرية

* * *